
ريمون شاندلر
وداعاً يا حلوتي







وَدَاعًا يَا صُلُوَقِي



ريمون شاندلر

وداعًا يا حلوتي

فيليب مارلو

السلسلة البوليسية

صوت الناس

FAREWELL MY LOVELY

BY

RAYMOND CHANDLER

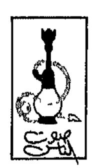
ترجمة

شارل شهوان

ARABIC EDITION 1993

P.O.Box:7038 - Lımassol
CYPRUS
P.O.Box·113/5796 -Beırut
LEBANON

ISBN 1-85513-159-5



الطبعة الاولى: تموز/يوليو ١٩٩٣
الغلاف: تصميم رملة شماعة
رسوم: شيفورن كوريغان

يتجاوز ستة أقدام وخمسة انشات. ولم يكن أعرض من شاحنة لنقل صناديق البيرة. كان يبعد عني قرابة العشرة أقدام. ذراعاه كانتا تتدليان الى جانبيه وسيجاره المنسي ينفث دخاناً خلف أصابعه العملاقة.

عبر زنوج نحيلون الشارع طلوعاً ونزولاً وكانوا يرمقونه بحدّة. كان في الواقع مثيراً للانتباه. كان يرتدي قبعة خشنة من طراز كرات تستخدم في رياضة الغولف. ويرتدي أيضاً قميصاً بنياً، وربطة عنق صفراء، وسروالاً رمادياً فضفاضاً بثنيتين، وينتعل حذاء من جلد القاطور مع انتفاخين بيضويين على مقدمه. من جيب صدره الخارجية تدلى منديل استعراضي أصفر يشعّ كربطة عنقه. كانت ريشتان ملوّنتان مثبتتين في شريط قبعته، لكنه لم يكن حقيقة في حاجة اليهما. حتى في شارع سنترال أفينيو الذي لم يكن البتة شارع الملابس الأكثر خجلاً في العالم، بدا مظهره شاذاً كعنكبة فوق قطعة من الكعك الملائكي.

كانت بشرته شاحبة وفي حاجة الى حلاقة ذقن. بدا وكأنّه دائماً في حاجة الى حلاقة ذقن. كان شعره أسود مجعداً وحاجباه سميكين التقيا تقريباً فوق أنفه الغليظ. كانت أذناه صغيرتين ودقيقتين بالنسبة الى رجل بحجمه، وتشع عيناه ببريق أشبه بالدمع مثل معظم العيون الرمادية. وقف مثل تمثال، وبعد وقت طويل ابتسم.

تقدم متمهلاً فوق الرصيف نحو البابين المتأرجحين اللذين أغلقا السلّمين المؤديين الى الطبقة الثانية. دفعهما فانفتحا وألقى نظرة باردة فاقدة التعبير الى أسفل وأعلى الشارع وتقدم الى

- ١ -

كان واحداً من الأبنية المختلطة الممتدة على طول شارع سنترال أفينيو، تلك الأبنية التي لم يكن بعد قد احتلها السود كلياً. كنت خرجت للتو من دكان حلاقة بثلاثة مقاعد كانت إحدى وكالات التحريات قد أبلغت أن مساعد حلاّق يدعى ديميتريوس أليبدس ربما يعمل هناك. كانت مسألة سخيفة. كانت زوجته على استعداد لدفع بعض المال لاسترجاعه الى المنزل الزوجي.

لم أعثر عليه أبداً، لكن السيدة أليبدس لم تدفع لي أيضاً أي أجر.

كان يومٌ حارٌ عند نهاية شهر آذار/مارس تقريباً. وقفت خارج دكان الحلاقة أنظر الى الأعلى الى لافتة النيون المضيئة لمجمع كازينو ـ مطعم ـ وصالة قمار يدعى فلوريانز. كان هناك رجل يحدق في اللافتة أيضاً. كان ينظر الى النوافذ المغبرة بتركيز وانجذاب مثل مهاجر مجري مبتهج يشاهد للمرة الأولى تمثال الحريّة. كان رجلاً ضخماً إلا أن طوله لم

الداخل. لو كان رجلاً أصغر حجماً وفي ملابس أقل بهرجاً لكنت اعتقدت انه سيقوم بعملية سلب. ولكن ليس في تلك الثياب، وليس مع تلك القبعة وذاك البريم. تأرجح البابان متراجعين واستقرا تقريباً متوقفين. قبل أن يتوقفا كلياً عن الحركة انفتحا مجدداً وبعنف نحو الخارج. طار شيء ما فوق الرصيف وحط في البالوعة بين سيارتين متوقفتين. حطّ الشيء على يديه وركبتيه وأصدر صوتاً حاداً كمثل جرذ مرتعب. نهض ببطء استرد قبعته وعاد الى الرصيف. كان فتى نحيلاً ضيق الكتفين يرتدي بدلة ليلكية اللون غرز في جيب سترتها الأعلى قرنفلة. كان شعره أسود مالساً. أبقى فمه مفتوحاً وراح يئن لفترة قصيرة. حدق فيه الناس بغرابة. ثم سوّى قبعته بأناقة، توجه الى جانب الحائط ومشى صامتاً مفلطح القدمين عبر الرصيف.

صمت. تابع المشاة سيرهم. مشيت متقدماً الى البابين المزدوجين ووقفت أمامهما. كانا الآن من دون حركة. لم يكن لي أي شأن في الأمر. وهكذا دفعت البابين وتطلعت الى الداخل.

خرجت من العتمة يد عريضة كان يمكن أن أقعد فيها، وقبضت على كتفي وعصرتها لتصبح لبّاً. ثم دفعتني عبر الأبواب وبين حين وآخر كانت ترفعني مقدار درجة. تطلعت الى ذلك الوجه العريض. فقال لي صوت منخفض وناعم في هدوء:

ـ «ملوّنون في هذا المكان؟ أوضح لي هذا يا صاح».

كان هناك ظلام في الداخل وكان صمت. وتناهت الى

أسماعنا من فوق أصوات بشرية، لكننا كنا وحيدين على الدرج. حدق بي الرجل الضخم بوقار وتابع يحطم بيده كتفي.

قال: «مجرد أبله. لقد قذفت به الى الخارج للتو. هل شاهدتني أرميه خارجاً؟».

أفلت كتفي. لم يظهر أن العظم تحطم، لكن الذراع كانت فاقدة الحسّ.

قلت فاركاً كتفي: «انه ذاك النوع من الأمكنة. ماذا كنت تتوقع؟».

ـ «لا تقل ذلك يا صاح»، خرخر الرجل الضخم في هدوء مثل أربعة نمور بعد تناولها الغداء. «كانت فيلما تعمل هنا. الصغيرة فيلما».

تطاول للامساك بكتفي مجدداً. حاولت أن أتفاداه لكنه كان رشيقاً مثل الهر وبدأ يدلك المزيد من عضلاتي بأصابعه الفولاذية.

ـ «أجل»، قال، «فيلما الصغيرة. لم أرها منذ ثماني سنوات. هل تقول ان هذا مكانٌ منحطّ».

تمتمت قائلاً انه كذلك.

حملني درجتين اضافيتين. انتفضت محرراً نفسي ودفعته بمرفقي بعض الشيء. لم أكن أحمل مسدساً. البحث عن ديميتريوس إليبدس لم يستلزم ذلك. ولعله ما كان لينفع البتة. ربما كان الرجل الضخم سينتزعه مني وسيأكله.

قلت محاولاً أن لا يفضح صوتي وجهي: «اصعد الى فوق وانظر بنفسك».

أفلتني مرة جديدة. نظر الي ببعض الحزن في عينيه الرماديتين. قال: «أشعر اني جيد. ولست أرغب في أن يجادلني أحد. لنصعد أنت وأنا ونتناول شيئاً».

ـ «لن يخدموك. لقد قلت لك، انه مكان للملوّنين».

قال بصوت خافت وحزين: «أنا لم أر فيلما مذ قلت لها وداعاً. لم تراسلني منذ ست سنوات. ولكن لا بدَّ أن لديها سبباً. كانت تعمل هنا. لقد كانت ظريفة. لنصعد أنت وأنا. هيه؟».

صرخت: «حسناً. سأصعد معك. ولكن توقف عن حملي. دعني أمش. أنا بخير. أنا ناضج. أذهب بمفردي الى المرحاض وكل ما هنالك. فقط توقف عن حملي».

قال في لطف، ولم يكن يستمع اليّ: «كانت فيلما الصغيرة تعمل هنا».

صعد الدرج. تركني أمشي. آلمتني كتفي. كان مؤخر رقبتي مبللاً.

ـ ٢ ـ

حجب بابان متأرجحان قمة الدرج عما يخفيان خلفهما. دفعهما الرجل الضخم في خفة بإبهاميه ودخلنا الغرفة. كانت غرفة طويلة ضيقة، متسخة بعض الشيء، قليلة الضوء، وغير بهيجة. في الزاوية كانت مجموعة من الزنوج تغنّي وتثرثر تحت الضوء المخروطي حول طاولة مغطاة بالقماش. كان هناك بار

بموازاة الحائط الأيمن. في معظم ما تبقى من الغرفة طاولات صغيرة مستديرة. كان هناك عدد قليل من الزبائن. رجال ونساء. كلهم من الزنوج.

توقف الغناء كلياً حول الطاولة وارتعش الضوء فوقها منطفئاً. وخيم صمت مفاجيء وثقيل كقارب مثقل بالمياه. تطلعت إلينا الأعين، أعين كستنائية اللون في وجوه تراوحت ألوانها بين الأسود الفاتح والقاتم. استدارت الرؤوس ببطء والأعين التي فيها تلألأت وحملقت في ذلك الصمت الغريب.

كان زنجيّ متين الجسم سميك الرقبة منحنياً فوق نهاية البار. كان مثبتاً كمّي قميصه برباطين قرنفليّين وتقاطعت حمالتا سرواله فوق ظهره العريض. كل شيء فيه أشار الى أنه قبضاي الحانة. وضع قدمه المرفوعة متمهلاً على الأرض واستدار ببطء وحدّق فينا باسطاً قدميه في سكون. مرر لساناً ضخماً عبر شفتيه. كان وجهه معطوباً بدا وكأنه ضُرب بكل شيء ما عدا دلو الناعورة. كان مليئاً بالندوب، مطروقاً، غليظاً ومتنوع الألوان. وجه ما كان ليهاب أي طارىء. كان أصابه كل ما قد يخطر في ذهن.

كان شعره المتجعد متشحاً بالشيب وإحدى أذنيه معدمة الشحمة.

كان الزنجي بديناً وعريضاً. كانت ساقاه ثقيلتين وبدتا متقوستين بعض الشيء وهذا غير معهود عند السود، مرّغ لسانه مجدداً وابتسم وحرك جسمه. تقدم الينا متراخياً في انحناءة ملاكم. انتظره الرجل الضخم صامتاً.

ألقى الزنجي ذو الرباطين القرنفليين على الساعدين، بيده

البنية الهائلة على صدر الرجل الضخم. وبدت كحصان فحل. فلم يتحرك الرجل الضخم فابتسم القبضاي في لطافة.

- «ممنوع دخول الأشخاص البيض الى هنا يا أخ. هنا للسود فقط. أنا آسف».

حرك الرجل الضخم عينيه الصغيرتين الحزينتين وتطلع في أرجاء الغرفة. تورد خدّاه قليلاً. قال حانقاً بينه وبين نفسه: «علبة لمسح الأحذية». ثم رفع صوته وسأل القبضاي: «أين هي فيلما؟».

لم يضحك القبضاي في الواقع. تفحّص ثياب الرجل الضخم، قميصه البنّي وربطة عنقه الصفراء، معطفه الرمادي السميك، وكرات الغولف المرصوفة فوقه. حرك رأسه الثخين في الاتجاهات وفي كياسة وتفحّص كل هذا من زوايا مختلفة. نظر نزولاً الى الحذاء القاطوري. ضحك قليلاً في خفوت. بدا مسروراً شعرت قليلاً بالأسف من أجله. تكلم مجدداً بنعومة:

- «أتقول فيلما؟ لا يوجد أي فيلما هنا. هيه. يا أخ. ولا خمرة. ولا احتفالات، لا، لا شيء. الانصراف فقط أيها الفتى الأبيض، فقط الإنصراف».

قال الرجل الضخم: «فيلما كانت تعمل هنا». كان يتكلم وكأنه يحلم، كما لو أنه وحده، خارج الى الغابات يجمع بنفسجاً متلوناً. انتشلت منديلي مرة أخرى ومسحت مؤخر رقبتي.

ضحك القبضاي بغتة. صرخ: «طبعاً»، ملقياً من وراء كتفه نظرة سريعة الى جمهوره. «فيلما كانت تعمل هنا، ولكنها لم تعد تعمل هنا. لقد تقاعدت. ها. ها.».

قال الرجل الضخم: «انزع قفاز الملاكمة هذا اللعين عن قميصي».

تجهّم القبضاي. لم يكن معتاداً أن يتحدث اليه أحدهم بهذه الطريقة. رفع يده عن القميص وضاعفها محولاً إياها الى قبضة بحجم وبلون باذنجانة كبيرة. كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار وظيفته، سمعته كرجل مشاكس، وكي يحتفظ باحترام جمهوره. فكر ملياً في كل هذا لثانية ثم ارتكب خطأ. سدد لكمة عنيفة جداً وقصيرة بنخعة أمامية من المرفق وأصاب الرجل الضخم في جانب فكه. تصاعدت في أرجاء الغرفة تحسّرات حسّاسة.

كانت لكمة جيدة. هبطت الكتف واندفع الجسم وراءها. كان هناك ثقل كبير في تلك اللكمة وكان للرجل الذي سددها الكثير من الخبرة. لم يحرك الرجل الضخم رأسه أكثر من انش واحد. لم يحاول اعتراض سبيل اللكمة. تلقّاها، نفض جسمه قليلاً، بعث من حنجرته صوتاً ضئيلاً ثم أمسك القبضاي من حلقه.

حاول القبضاي أن يضربه بركبته على عانته. فأداره الرجل الضخم في الهواء وزلّ حذائيه المبهرجين من قدميه على مشمّع الأرضية الأملس. لوى القبضاي الى الخلف ونقل يده اليمنى الى حزام هذا الأخير. انقطع الحزام ووضع الرجل الضخم يده الهائلة المفلطحة على عمود القبضاي الفقري ودفعه. ثم رماه عبر الغرفة مترنحاً ومتلوياً. هبط القبضاي على طاولة وتحطم فوق الأرضية الخشبية محدثاً حطاماً سمع دويّه بالتأكيد في دنفر. ثم إرتعشت ساقاه، وتمدد من دون حراك.

قال الرجل الضخم: «لدى بعض الرجال فكرة مغلوطة عن الوقت المناسب للمشاكسة». ثم تحول إلي قائلاً: «تعال نتناول شيئاً ما».

تقدم الى البار. أصبح الزبائن أفراداً، أزواجاً، وثلاث مجرد ظلال صامتة، وتدفقوا غير محدثين أدنى ضجة فوق الأرضية، وعبر البابين عند قمة الدرج. كانوا ساكنين كظلال على العشب، ولم يدعوا حتى البابين يتأرجحان.

انحنيا متكئين على البار، قال الرجل الضخم: «ويسكي صرفاً. اطلب أنت».

قلت: «ويسكي صرفاً».

أحضر لنا الويسكي الصرف.

كرع الرجل الضخم كأسه القصير والثخين بلامبالاة حتى قعر حافته. حدق بوقار في الساقي وكان زنجياً هزيلاً قلق السمات مرتدياً معطفاً أبيض، وكان يتحرك كما لو أن قدمه كانت تؤلمه.

ـ «هل تعرف أين هي فيلما؟».

ـ «هل تقول فيلما؟»، رد الساقي منتحباً وأضاف، «لم أرها هنا مؤخراً، ليس مؤخراً، لا يا سيدي».

ـ «منذ متى تعمل هنا؟».

ـ «دعني أر»، وضع الساقي منشفته، جعّد جبينه وبدأ يعد على أصابعه، «حوالى العشرة أشهر، كما أذكر. حوالى السنة، حوالى...».

قال الرجل الضخم: «قرّر».

جحظت عينا الساقي وتخبطت تفاحة آدم في حلقه مثل دجاجة معدمة الرأس.

سأل الرجل الضخم بفظاظة: «منذ متى تحوّل هذا الخمّ الى مكان للسود؟».

- «أي واحد؟».

جعل الرجل الضخم قبضته في وضعية حجبت تقريباً كأس الويسكي الصرف عن الأنظار.

قلت: «بأية حال انها خمس سنوات. هذا الرجل لن يعرف أي شيء عن فتاة بيضاء تدعى فيلما. ولن يعرف أي واحد هنا».

نظر إليّ الرجل البدين وكأني برزت الى الوجود للتو. لم يظهر أن الويسكي الصرف لطّفت مزاجه السيىء.

سألني: «من بحق الجحيم سألك أن تحشر نفسك في الأمر؟».

ابتسمت. جعلتها ابتسامة عريضة حارّة وودودة: «أنا هو الرجل الذي دخل معك. هل تذكر؟».

عندها ردّ ابتسامتي العريضة، كانت ابتسامة شاحبة من دون معنى.

قال للساقي: «ويسكي صرفاً. انفض البراغيث عن بنطالك. الخدمة. هيا».

راح الساقي يعدو في الاتجاهات، مقلّباً بياض عينيه.

أسندت ظهري الى البار وتطلعت الى الغرفة. كانت فارغة. أصبح المكان بكليته للساقي، للرجل الضخم ولي، وكان

القبضاي محطماً قرب الحائط. بدأ يتحرك. كان يتحرك ببطء وبشدة وبصعوبة من الألم. جعل يزحف بإعياء فوق الحافة الخشبية مثل ذبابة بجانح واحد. كان يتحرك وراء الطاولة مجهداً، بدا فجأة رجلاً عجوزاً، فجأة رجلاً خائباً. راقبته يتحرك. وضع الساقي كأسين آخرين من الويسكي الصرف. استدرت الى البار. كان الرجل الضخم يرمق بين الأحايين القبضاي الزاحف، ثم لم يعره أدنى انتباه.

قال متذمراً: «لم يتبق شيء من هذا المكان. كان هناك منصة صغيرة وفرقة موسيقية، وحجرات صغيرة ظريفة حيث كان في وسع المرء أن يلهو بعض الشيء. كانت فيلما تغني أحياناً. كانت حمراء الشعر. جميلة كسروال بمشدّات. كنا قررنا أن نتزوج لما اعتقلوني.

شربت كأسي الثانية. كنت بدأت أضيق ذرعاً بهذه المغامرة. سألت: «أي اعتقال؟».

- «أين تصوّرت أني كنت طوال تلك السنوات الثماني التي ذكرتها لك؟ ألتقط فراشات؟».

جس صدره بسبابة أشبه بموزة، ثم أردف «في السجن. مالوي هو اسمي. يلقبونني الموظ مالوي لأنني ضخم. عملية مصرف «غريت بند». أربعون ألف دولار. بمفردي. أليس هذا إنجازاً؟».

- «هل ستنفقها الآن؟».

تطلع إليّ بحدّة. سمعنا ضجة خلفنا. كان القبضاي وقف مجدداً، مترنحاً بعض الشيء. وضع يده على مقبض باب قاتم

بعيداً وراء الطاولة المغطاة بالقماش. استطاع فتح الباب ثم اندلق عبره فعقع الباب منغلقاً. ثم طقطق قفل.

سأل الموظ مالوي: «أين ذهب هذا؟».

طافت عينا الساقي في رأسه، ركّز بصعوبة الى الباب الذي زلّ عبره القبضاي.

ـ «هذا ـ هذا مكتب ميستا مونتغمري. سيدي. انه الرئيس. إن مكتبه يقع هناك في الخلف».

قال الرجل الضخم: «ربما هو يعرف»، ثم شرب كأسه دفعة واحدة. «من الأفضل أن لا يتحاذق هذا الأخير أيضاً. اثنتين من الصنف عينه».

قطع الغرفة متمهلاً وبخفة غير آبه بمطلق شيء في العالم، حجب ظهره الهائل الباب. كان مقفلاً. هزّه فطارت قطعة من الحاجب الى الجانب. دخل وأغلق الباب خلفه.

حلّ صمت. تطلعت الى الساقي، تطلّع الساقي إليّ. بدا مستغرقاً في التفكير. مسح المنضدة، تنهد ثم انحنى مادا ذراعه اليمنى. تطاولت فوق المنضدة وأمسكت ذراعه. كانت نحيلة هشة. أمسكتها وابتسمت له.

ـ «ماذا لديك هناك في الأسفل؟».

لحس شفتيه. انحنى الى ذراعي ولم يتفوه بكلمة.

قلت له: «انه رجل قاسٍ. ويمكن أن يصبح شريراً. المشروب يفعل به هذا. انه يبحث عن فتاة كان يعرفها. كان هذا المكان سابقا تجمعاً للبيض. هل فهمت ما أعني؟».

قال الساقي ببطء: «كنت ظننت انك رفيقه».

- «لم أستطع أن أرفض. لقد طرح عليَّ سؤالاً تحت في الأسفل. ثم جرّني الى هنا. لم أره قط من قبل. غير أني لم أشعر كما لو أني قذفت فوق السطوح. ماذا لديك هناك في الأسفل؟».

قال الساقي: «لدي بندقية رشّاشة».

- «همم. هذا مخالف للقانون»، وهمست مضيفاً، «إسمع أنت وأنا في صفّ واحد. هل لديك أي شيء آخر؟».

قال الساقي: «لدي مسدس. داخل صندوق السيجار. أفلت ذراعي».

قلت: «هوّن عليك. ابتعد بعض الشيء. ببطء. تنحَّ الى الجانب ليس هذا بالوقت المناسب لرفع السلاح».

نخر الرجل قائلاً: «كما تشاء»، ثم اتكأ بوزنه التعب على ذراعي، «كما تشاء...».

توقف عن الكلام. طافت عيناه. اهتز رأسه بعنف.

تناهى ضجيج خفيض غير واضح من مؤخر المكان، من خلف الباب المغلق وراء الطاولة المغطاة بالقماش. كان يمكن أن يكون صفقة باب عنيفة. لم أعتقد انها كانت كذلك. ولم يعتقد الساقي ذلك أيضاً.

تجمد الساقي، سال اللعاب من فمه. أنصتُّ. لم يسمع أي صوت آخر. حدقت في هدوء الى نهاية المنضدة، كنت بقيت منصتاً لوقت طويل.

انفتح الباب عند المؤخرة محدثاً دوياً. وخرج منه الموظ

مالوي مندفعاً بثقل ورشاقة وتوقف بغتة. انز
الأرض وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة

كان يحمل في يده مسدساً حربياً من طراز
وكأنه أشبه بمسدس ألعوبة.

قال في استكانة: «لا يحاولن أحدكما الن
ضعا أيديكما مسمّرة على البار.

وضعنا أنا والساقي أيدينا على البار.

أجال مالوي الموظ نظره في أنحاء الغرفة ف
كانت ابتسامته مشدودة ومسمرة فوق وج
وتحرك صامتاً عبر الغرفة، بدا كرجل يستطي
على مصرف ـ حتى في ملابسه تلك.

تقدم الى البار وقال ببرودة: «ارفع يديك أ
الساقي يديه عالياً. اقترب الرجل الضخم ال
يفتشني في دقة بيده اليسرى. كان تنفسه ح
ثم تنحى.

قال: «السيد مونتغمري لم يكن يعرف أيض
حاول أن يخبرني ـ بواسطة هذا». ربتت يد
المسدس. استدار في هدوء ونظر اليه. قال:
تتعرف اليه. لن تنساني يا صديقي. قل فقط
يتيقظوا. هذا كل ما هنالك». جعل يهزّ المد
وداعاً أيها الفتيان. ينبغي علي أن أستوقف سيا

انطلق في اتجاه قمة الدرج.

قلت له: «أنت لم تدفع ثمن المشروبات».

مالوي مندفعاً بثقل ورشاقة وتوقف بغتة. انزرعت قدماه في الأرض وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة شاحبة.

كان يحمل في يده مسدساً حربياً من طراز كولت ٤٥ بدا وكأنه أشبه بمسدس ألعوبة.

قال في استكانة: «لا يحاولن أحدكما القيام بأي حركة. ضعا أيديكما مسمّرة على البار.

وضعنا أنا والساقي أيدينا على البار.

أجال مالوي الموظ نظره في أنحاء الغرفة في نظرة خاطفة. كانت ابتسامته مشدودة ومسمرة فوق وجهه. أزاح قدميه وتحرك صامتاً عبر الغرفة، بدا كرجل يستطيع بمفرده السطو على مصرف - حتى في ملابسه تلك.

تقدم الى البار وقال ببرودة: «ارفع يديك أيها الزنجي». رفع الساقي يديه عالياً. اقترب الرجل الضخم الى ظهري وراح يفتشني في دقة بيده اليسرى. كان تنفسه حاراً فوق رقبتي. ثم تنحى.

قال: «السيد مونتغمري لم يكن يعرف أيضاً أين هي فيلما. حاول أن يخبرني - بواسطة هذا». ربتت يده القاسية على المسدس. استدار في هدوء ونظر اليه. قال: «أجل. سوف تتعرف اليه. لن تنساني يا صديقي. قل فقط لأصحابك أن يتيقظوا. هذا كل ما هنالك». جعل يهزّ المسدس. «حسناً. وداعاً أيها الفتيان. ينبغي علي أن أستوقف سيارة اجرة».

انطلق في اتجاه قمة الدرج.

قلت له: «أنت لم تدفع ثمن المشروبات».

توقف وتطلع إليّ بانتباه.

قال: «ربما تفكر في القيام بأمرٍ ما. ولكني لو كنت مكانك فقد أفضل ألا أقحم نفسي كثيراً».

انسلّ عبر البابين المزدوجين وسمعت خطواته نائية هابطاً السلم.

وقف الساقي مطأطأ الرأس. قفزت من فوق المنضدة الى خلفها ودفعته بمنكبي من طريقي. كان هناك بندقية رشاشة ممددة تحت منشفة على رفّ تحت البار. كان يوجد الى جانبها صندوق سيجار. داخل علبة السيجار كان هناك مسدسٍ أوتوماتيكي من عيار ٣٨. انتشلتهما وانزاح الساقي ملتصقاً بصفوف الأكواب خلف البار.

عدت ودرت حول نهاية البار وعبر الغرفة الى الباب المنفرج خلف الطاولة المغطاة بالقماش. كان هناك رواق خلفه مع انعطافة فيه. وكان تقريباً معدم الضوء. كان القبضاي منبطحاً على أرض الرواق فاقد الوعي وفي يده سكين. انحنيت، انتزعتها منه ورميتها الى قعر أدراج خلفية. كان القبضاي يتنفس شاخراً وكانت يده رخوة.

خطوت من فوقه وفتحت باباً كتب فوقه بدهان أسود متقشر، «مكتب».

كان هناك مكتب صغير مليء بالندوب على مقربة من نافذة مكسوة جزئياً بالأخشاب. كان جذع رجل مثبتاً باستقامة الى كرسي. كان رأسه مثنياً الى الوراء فوق ذروة ظهر المقعد وهكذا أشار أنفه الى الشباك المكسوّ بالخشب. كان مثنياً في بساطة مثل محرمة أو مفصلة.

كان أحد جوارير المكتب مفتوحاً الى يمين الرجل. كانت هناك صحيفة في داخله تتوسطها لطخة زيت. لابد أن المسدس جاء من هناك. ربما بدت فكرة جيدة حينذاك، ولكن وضعية رأس السيد مونتغمري أثبتت أن تلك الفكرة كانت خاطئة.

كان هناك هاتف على المكتب. وضعت البندقية الرشاشة ثم توجهت لأقفل الباب قبل أن أتصل بالشرطة. شعرت بأمان أكثر هكذا ولم يبد أن السيد مونتغمري كان يمانع.

حين دوت دعسات فتيان سيارة الشرطة الجوالة طالعة الأدراج، اختفى الساقي والقبضاي وبقي المكان برمته لي وحدي.

- ٣ -

أوكلت القضية الى رجل يدعى نولتي هزيل الحنك متجهم الوجه ذي يدين طويلتين صفراوين كان يبقيهما مطويتين فوق عجزه معظم الوقت وهو يتحدث إليّ. كان تحرياً برتبة ملازم أول ملحقاً بشعبة الشارع رقم ٧٧، وتناقشنا في غرفة عارية إلا من مكتبين متواجهين أمام جدارين وفسحة للمرور بينهما، إن لم يحاول اثنان العبور معاً. كانت الأرضية مشمّعة بنية وقذرة وحلّقت في الهواء رائحة أعقاب السيجار القديمة. كان قميص نولتي بالياً، وكان كمّا معطفه مثنيين عند المعصم. كان فقيراً بما فيه الكفاية ليكون نزيهاً. لكنه لم يبد كرجل يستطيع مواجهة مالوي الموظ.

أشعل نصف سيجار ورمى عود الثقاب على الأرض، حيث كان رفاق كثر بانتظاره. قال بصوت مرير:

- «زنوج. مقتل زنجي آخر. هذا ما أستحقه بعد ثماني عشرة سنة من الخدمة في هذه المنطقة، لا صور، لا تقرير ولا حتى أربعة أسطر في الاعلانات المبوبة.

لم أتفوه بحرف. رفع بطاقتي، قرأها مجدداً ثم رماها.

- «فيليب مارلو. تحري خاص. أحد أولئك الفتيان هه؟ بحق السماء انك تبدو صلباً كفاية. ماذا تفعل طوال ذلك الوقت؟».

- «طوال أي وقت؟».

- «طوال الوقت الذي كان فيه هذا المالوي يلوي عنق هذا الأسود».

- «آه. لقد جرى ذلك في غرفة أخرى»، وتابعت، «لم يعدني مالوي بأنه كان سيحطم عنق أحدهم».

قال نولتي بحدة: «إسخر مني. هيا تابع واسخر مني. الجميع يفعل هذا. ماذا يهم لو فعل واحد آخر؟ العجوز المسكين نولتي. لنصعد ونلفق له بعض الأكاذيب. صالح دائماً لنضحك، هذا هو نولتي».

- «لست أحاول أن أسخر من أحد»، وتابعت، «هكذا جرت الأمور - في غرفة أخرى».

- «آه بالتأكيد». ردد نولتي عبر نفخة من دخان السيجار الفاسد. «لقد ذهبت أنا الى هناك ورأيت المكان، أولم أفعل؟ ألا تحمل مسدساً؟».

- «لا أفعل أثناء ذلك النوع من المهمات».

- «أي نوع من المهمات؟».

- «كنت أبحث عن حلاق فرّ من زوجته. لقد اعتقدت انه كان من الممكن اقناعه بالعودة الى المنزل».

- «هل تعني انه أسود؟».

- «لا، انه يوناني».

- «جيد»، قال نولتي وبصق في سلة القاذورات. «حسناً. لقد التقيت الرجل الضخم. كيف؟».

- «لقد حكيت لك هذا. صادف أني كنت هناك. لقد قذف زنجياً عبر أبواب ملهى الفلوريانز، ولقد أقحمت رأسي بحماقة لأرى ماذا كان يجري. وهكذا جرّني الى فوق».

- «هل تعني انه هددك بالمسدس؟».

- «لا لم يكن يحمل مسدساً عندها. على الأقل، لم يظهر واحداً. لعلّه انتزع المسدس من مونتغمري. لقد اصطحبني معه الى فوق. هذا كل ما هنالك. أنا جذاب أحياناً».

قال نولتي: «هذا معقول، يبدو على أية حال أن لديك استعداداً لمصاحبة أي كان وبسهولة».

- «حسناً. لمَ المجادلة؟»، وأضفت، «لقد شاهدت هذا الرجل وأنت لم تره. إن في وسعه أن يعلقني أنا أو أنت كحلية على سلسلة ساعته. كنت أجهل انه قتل أحداً قبل أن يغادر. سمعت طلقة، ولكنني اعتقدت ان أحداً ما أصيب بالهلع وأطلق النار على مالوي. وبعدها انتزع مالوي المسدس من ذاك الذي قام بذلك».

سألني نولتي بدماثة: «ومن أين خطرت لك هذه الفكرة. لقد استخدم مسدساً للسطو على ذاك المصرف، أولم يفعل؟».

ـ «لو أخذنا بعين الاعتبار الملابس التي كان يرتديها. ما كان ممكناً انه توجه الى هناك بنيّة القتل. مستحيل وهو في تلك الملابس. توجه الى هناك بحثاً عن فتاة تدعى فيلما كانت صديقته قبل أن يسجن بعد عملية المصرف. لن تجد صعوبة في القبض عليه».

قال نولتي: «بالتأكيد. خصوصاً بحجمه ذلك وبملابسه. سيكون الأمر سهلاً جداً».

قلت: «ربما لديه بدلة أخرى، وسيارة ومخبأ، ومال وأصدقاء. لكنك ستنال منه بالتأكيد».

بصق نولتي مجدداً في سلة المهملات. قال: «سأنال منه، حين ستنبت أسناني مرة ثالثة. هل تعرف كم رجلاً أوكلتْ بالقضية؟ واحد فقط. إسمع، هل تعرف ما السبب؟ الصحافة غير مهتمة. مرة في هارلم قطّع خمسة زنوج لحم بعضهم، هناك في شرقي الشارع ٨٤. وكان أحدهم قضى على الفور. كانت هناك دماء على المفروشات، دماء على الجدران، حتى دماء على السقف. توجهت الى هناك والتقيت أمام المنزل بأحد الفتيان من صحيفة «الكرونيكل»، أحد صقور الأخبار أولئك. كان خارجاً من الرواق ومتوجهاً الى سيارته. تطلع الينا باشمئزاز وقال: «آوه. اللعنة، انهم سود». ثم صعد في سيارته وغادر. لم يدخل حتى الى المنزل».

قلت: «قد يكون منتهكاً لشروط اطلاق سراحه. هذا سيسهّل تحرياتك. ولكن اعتقله بأسلوب هادىء وإلا سيحطم لك سيارتيّ شرطة في أقل تقدير. وعندها ستنال تغطيتك الصحافية بكل تأكيد».

لاحظ نولتي بسخرية: «وسوف لن أحظى بعدها بالقضية أيضاً».

رن جرس الهاتف على مكتبه. أنصت الى السماعة وابتسم بأسى. وضع السماعة، خرتش على إضمامة ورق، وتراءى لي وميض واهن في عينيه. أشبه بنور بعيد في رواق مغبر.

ـ «يا للشيطان. لقد نالوا منه. كان هذا قسم الأرشيف. لقد وجدوا بصماته، صورته وكل سجلّه. ليس هذا سوى أمر يسير في مطلق الأحوال. ثم قرأ من الملف: «يا الهي، هذا رجل بكل معنى الكلمة، طوله قرابة المترين، ووزنه مئتان وأربعة وستون باونداً، من دون ربطة عنقه. رباه انه فتى مثير للاهتمام. حسناً، اللعنة عليه. لقد عمّموا مواصفاته بواسطة اللاسلكي. ربما في أسفل لائحة السيارات المسروقة. ليس لدينا سوى الأنتظار». ثم رمى سيجارة داخل مبصقة.

بادرته: «حاول أن تبحث عن الفتاة فيلما. لابد وأن مالوي يبحث الآن عنها. هنا بدأت كل المسألة. حاول أن تعثر على فيلما».

رد نولتي: «لم لا تحاول أنت. أنا لم أدخل بيت بغاء منذ عشرين سنة».

وقفت وقلت: «حسناً، وانطلقت نحو الباب».

انبرى نولتي: «هاي. انتظر دقيقة. كنت فقط أمزح. لست منشغلاً البتة. أليس كذلك؟».

شقلبت سيجارة بين أصابعي وتطلعت اليه منتظراً قرب الباب.

ـ «أعني ان كنت متفرغاً للتسكع في الأرجاء بحثاً عن تلك المرأة. ان فكرتك جيدة. قد تكتشف شيئاً ما. تستطيع أن تعمل في الخفاء».

ـ «ماذا سأكسب من كل هذا؟».

مدد يديه الصفراوين بتعاسة. لم تكن ابتسامته الحذقة أكثر من فخ فئران محطم، وقال: «لقد وقعت في ورطات معنا سابقاً. لا تنكر، لقد سمعت العكس. لن يضرك في المرة القادمة أن يكون لديك صديق هنا».

ـ «ماذا سينفعني هذا؟».

أصر نولتي قائلاً: «إسمعني. قد أكون قليل الكلام. لكن سينفعك كثيراً في المرة القادمة أن يكون لك صديق في القسم».

ـ «هل سأفعل هذا حباً وكرماً، أم انك ستدفع لي أجري؟».

ـ «لا أجر»، قال نولتي مجعداً أنفه الحزين المصفر. «لكني في حاجة ماسة لبعض الاعتبار. لقد ساءت الأمور كثيراً بعد التغيير الأخير. لن أنسى لك هذه المساعدة أبداً أيها الصديق. إطلاقاً».

رمقت ساعة يدي قائلاً: «حسناً. إن خطرت لي فكرة ما، سأطلعك عليها. وحين ستلقي القبض على هذا السفاح، سوف أشهد ضده». بعد الغداء، تصافحنا وخرجت عبر رواق وحلي اللون ثم نزولاً على الأدراج الى واجهة البناء والى سيارتي.

كانت مضت ساعتان على مغادرة الموظ مالوي ملهى الفلوريانز حاملاً بيده مسدس الكولت الحربي. تناولت الغداء في مطعم «دراغستور»، ابتعت قنينة «بوربون»، وقدت سيارتي

شرقاً نحو جادة سنترال أفينيو ثم جنوباً في الجادة نفسها. كان الحدس الذي راودني غريباً كأمواج الحرارة التي رقصت فوق جانبي الطريق.

لم يكن يعنيني أي شيء في تلك المسألة غير الحشرية. ولكن بصراحة، أنا لم أعمل منذ شهر. أنا في حاجة الى تغيير ما ولو كان وظيفة مجانية.

ـ ٤ ـ

كان ملهى الفلوريانز مقفلاً بالطبع. كان شرطي تحرٍّ واضحاً كالشمس قاعداً في سيارة أمام المكان يقرأ صحيفة بعين واحدة. لا أعرف لماذا يزعجون أنفسهم. لم يكن أي واحد هناك يعرف أي شيء عن الموظ مالوي. لم يعثر لا على الساقي ولا على القبضاي. لم يكن أحد في البناء يعرف أي شيء عنهما، لا شيء يستحق التقرير.

قدت سيارتي مجتازاً المكان متمهلاً وأوقفتها وراء المنعطف، وقعدت أراقب فندقاً للسود. كان يطل بشكل ملتو على بناء الفلوريانز، ويقع مباشرة بعد أول تقاطع. كان يدعى فندق «سان سوسي». نزلت ومشيت عائداً عابراً التقاطع ودخلته. صفّا المقاعد القاسية والخالية يتطلعان في بعضهما بعضاً عبر امتداد سجادة ليفية مبقعة. في العتمة في قعر المكان كان هناك مكتب ووراء المكتب جلس رجل أصلع، كانت عيناه مغلقتين، وتعانقت يداه الناعمتان القاتمتان مسالمتين فوق المكتب أمامه. كان نائماً أو انه بدا كذلك. كان يضع سلسلة ذهبية حول رقبته وبدت كأنما كانت قد عقدت منذ العام ١٨٨٠. لم

يكن الحجر الأخضر الذي يعتلي دبوسها الزيتي تماماً في حجم تفاحة. كان ذقنه العريض المتراخي مثنياً بنعومة فوق السلسلة، وكانت يداه المتشابكتان، المسالمتان والنظيفتان، مطليتي الأظافر.

على لافتة معدنية صغيرة نافرة الكتابة علقها على بابه كتب: «هذا الفندق هو تحت حماية وكالات التحري العالمية المتحدة المحدودة».

حين فتح الرجل الأسود المسالم عيناً واحدة متطلعاً اليّ في إمعان، أشرت الى اللافتة.

ـ «أنا موظف أمن في الـ«ق. ح. ف» في جولة استكشافية. هل من مشاكل هنا؟».

«ق. ح. ف». تعني قسم حماية الفنادق، وهو قسم من وكالة كبيرة تلاحق أصحاب الشيكات المزورة، والأشخاص الذين يتسللون من الأدراج الخلفية من غير أن يدفعوا فواتيرهم، مخلّفين حقائب بالية محشوة بأحجار الطوب.

قال الموظف بصوت مرتفع وحاد: «مشاكل. لقد انتهينا للتو من واحدة». خفت صوته أربع أو خمس درجات وأضاف: «ماذا قلت اسمك؟».

ـ «مارلو. فيليب مارلو».

ـ «اسم جميل. أنيق وبهيج. تبدو ظريفاً». ثم خفت صوته مجدداً، «لكنك لست موظف أمن. لم يحضر الينا واحد منذ سنوات». أفلت يديه وأشار بكسل الى اللافتة. «لقد ابتعت هذه من سوق البالة، انها فقط لأجل التأثير على الزبائن».

ـ «فهمت» قلت وانحنيت على المنضدة وجعلت ألعب بقطعة معدنية من فئة نصف دولار على خشب المنضدة العاري والمخربش.

ـ «هل سمعت بما جرى في الفلوريانز هذا الصباح؟».

ـ «أنا أنسى يا بني». كانت عيناه مفتوحتين، وكان يشاهد التماعات الضوء التي كانت تعكسها القطعة النقدية.

قلت: «لقد قتلوا صاحب الملهى. انه رجل يدعى مونتغمري. حطم أحدهم عنقه».

ـ «رحمة الله على روحه يا بني». ثم خفت صوته من جديد، «هل أنت شرطي؟».

ـ «أنا تحري خاص في مهمة سريّة. وأعرف الرجل الجدير بالثقة من النظرة الأولى».

تطلع إليّ في إمعان، ثم أغلق عينيه واستغرق في التفكير. أعاد فتحهما بحذر وحدّق في القطعة النقدية. لم يستطع مقاومة رغبة التحديق فيها.

سألني في هدوء: «من قام بذلك؟ من الذي قتل سام؟».

ـ «انه رجل شرير خرج مؤخراً من السجن، وقد استشاط غيظاً لأن المكان لم يكن للبيض. يبدو انه كان كذلك. ربما أنت تذكر؟».

لم يقل شيئاً. سقطت القطعة النقدية محدثة طنيناً هزيلاً واستقرت ثابتة.

قلت: «اختر لعبتك. سأقرأ لك فصلاً من الانجيل أو أبتاع لك كأساً من الشراب. ماذا تختار؟».

- «يا بني، أفضل أن أقرأ انجيلي في عزلة مع أسرتي». كانت عيناه صافيتين وثابتتين مثل عيني علجوم.

قلت: «يبدو انك تناولت على التو طعام الغداء».

قال: «الغداء هو أمر يسعى رجل في حالتي وفي وضعيتي للاستمرار من دونه». ثم خفت صوته، «تعال من خلف هذه الناحية من المكتب».

درت حول المكتب وانتشلت قنينة البوربون المختومة من جيبي ووضعتها على الرف. ثم عدت الى مقدمة المكتب. فانحنى وتفحص القنينة. وبدت على وجهه أمارات الاكتفاء.

قال: «يا بني. عملتك هذه لن تشتري لك شيئاً البتة. لكن يسعدني أن أحتسي جرعة في صحبتك».

فتح الزجاجة، وضع كأسين صغيرين على المكتب وسكب بسكون مطفحاً الاثنين. رفع واحداً، اشتمّه بعناية ثم صبّه في جوف بلعومه رافعاً إصبعه الصغير.

تذوقه، أمعن التفكير، هز رأسه مستحسناً وقال: «ان هذا مصدره القنينة الصحيحة يا صاحبي. بأي شكل أستطيع أن أخدمك؟ لا يوجد زقاق في هذا الشارع لا أعرف اسمه. أجل يا سيدي. لقد حصل هذا الشراب على صاحبيه المناسبين». ثم ملأ كأسه مجدداً.

أخبرته ما جرى في الفلوريانز ولماذا. فحدّق إليّ بوقار وهز رأسه الأصلع.

- «إن سام يدير مكاناً محترماً وهادئاً. لم يطعن أحد هناك منذ شهر».

ـ «حين كان الفلوريانز مكاناً للبيض منذ ست أو ثماني سنوات أو أقل، ماذا كان يدعى؟».

ـ «لقد أصبحت تكاليف اللافتات الكهربائية مرتفعة يا صديقي».

هززت رأسي موافقاً: «لقد خطر لي انه كان له الاسم نفسه. كان مالوي على الأرجح أشار الى ذلك لو تغيّر الاسم. ولكن من كان يديره في ذاك الوقت؟».

ـ «انك تفاجئني هنا قليلاً يا صاحبي. لقد كان اسم ذاك الخاطىء المسكين فلوريان. مايك فلوريان».

ـ «وما الذي حدث لمايك فلوريان؟».

بسط الزنجي يديه المسالمتين القاتمتين. أصبح صوته حاداً وقال: «لقد مات يا صاحبي. صعد الى عند الرب. سنة ١٩٣٤ أو ١٩٣٥. لا أعرف بالتحديد. لقد عاش حياة منحلّة يا صاح. أصيب بعلة في كليتيه، هذا ما سمعت. يسقط الرجل القليل الايمان مثل ثور متدحرج، إلا أن رحمة الرب تنتظره هناك فوق». ثم انخفض صوته الى مستوى عادي، «أكون ملعوناً لو عرفت السبب».

ـ «من ترك وراءه؟ صُبّ لنفسك كأساً أخرى».

أقفل القنينة بإحكام ودفعها عبر المنضدة قائلاً: «اثنتان تكفيان يا صاحبي ـ قبل غياب الشمس. أشكرك. أسلوبك في التقرب لطيف يحفظ كرامة الانسان... لقد ترك أرملة. انها تدعى جيسي».

ـ «ماذا حدث لها؟».

ـ «ان البحث عن المعرفة يا صاحبي يتطلب إكثار الأسئلة. أنا لم أسمع شيئاً. يمكنك أن تجرّب الاستعانة بدليل الهاتف».

ـ «هذا لا طائل فيه».

انحنى الزنجي بأسف وسحب دليلاً للمدينة من حافة المكتب ودفعه في اتجاهي. أقفل عينيه. كان بدأ يضجر. كان هناك في الدليل اسم جيسي فلوريان، أرملة. تسكن في الرقم ١٦٤٤ غربي الشارع رقم ٥٤. وتساءلت عما إذا كنت استخدمت أبداً دماغي طوال حياتي.

سجلت العنوان على قطعة من الورق ودفعت الدليل الى حيث كان فوق المكتب. وضعه الزنجي من جديد حيث وجده، صافحني ثم شبك يديه ومددهما على المنضدة تماماً حيث كانتا حين دخلت. هبطت عيناه ببطء وبدا كأنه على وشك أن يغفو.

لقد انتهى هذا الحديث بالنسبة اليه. عند منتصف الطريق الى الباب استدرت ورمقته. كانت عيناه مغمضتين ورأسه الأصلع يلمع ويتنفس بنعومة طبيعية، نافخاً قليلاً بشفتيه عند انتهاء كل زفير.

خرجت من فندق «سان سوسي» وقطعت الطريق في اتجاه سيارتي. بدا الأمر سهلاً جداً. بدت المسألة في منتهى السهولة.

ـ ٥ ـ

كان الرقم ١٦٤٤ غربي الشارع رقم ٥٤ منزلاً حجرياً بنياً ومجدباً، وامتدت أمامه مرجة بنية جافة. كانت هناك بقعة واسعة وجرداء حول شجرة نخيل صامدة، وعلى الشرفة

كرسي وحيدة هزازة، وجعل نسيم ما بعد الظهيرة أغصان نبتات البونسية غير المشذبة، تفرقع على الجدار المتقطع والمتصدع. وتبعث صدى على حبل الغسيل المربوط الى جانب المنزل حيث تخبطت ثياب منشورة نصف مغسولة متيبسة ومصفرّة.

قدت سيارتي متقدماً مسافة ربع عمارة، ثم أوقفتها الى جانب الشارع وعدت ماشياً.

لم يعمل جرس الباب فطرقت على الإطار الخشبي للباب السلكي الواقي. فانجرّ خطوات متثاقلة وفتح الباب فرأيتني أنظر في العتمة القليلة الى امرأة في رداء فضفاض وكانت تتمخط وهي تفتح الباب.

كان وجهها قاتماً ومنفوخاً. وشعرها كريه المنظر غريب اللون، لا هو بنيّ ولا هو أشقر، لم يكن حيوياً كفاية ليكون زنجبيلياً ولا نظيفاً كفاية ليكون بنياً. كان جسمها مرصوصاً داخل برنس الحمام القطني الذي كان أكل الدهر على لونه وشكله وشرب. لم يكن غير مجرد شيء يلفّ جسمها. كانت أصابع قدميها ضخمة وبدت واضحة داخل خفّين رجاليين من الجلد البني البالي.

بادرتها: «هل أنت السيدة فلوريان؟ السيدة جيسي فلوريان؟».

- «نعم»، انجرّ صوتها من حلقها مثل رجل مريض يحاول النهوض من الفراش.

- «هل أنت السيدة فلوريان التي امتلك زوجها مايك فلوريان يوماً ملهى في شارع سنترال أفينيو؟».

جرت بإبهامها خصلة شعر فوق أذنها العريضة. ومضت عيناها بفعل المفاجأة. قال صوتها الثخين المتخثر: «ما... ماذا؟ يا الهي. لقد مات منذ خمس سنوات. ماذا قلت اسمك؟».

كان الباب الواقي لا يزال مغلقاً ومقفلاً.

قلت: «أنا تحرٍ. أريد بعض المعلومات».

حدقت إلي طوال دقيقة موحشة. ثم فتحت قفل الباب بصعوبة وابتعدت من أمامه.

- «هيا ادخل إذن. لم يتسنَّ لي الوقت لأنظّف المكان. أنت شرطي أليس كذلك؟».

دخلت وأقفلت الباب الواقي مجدداً. من زاوية الى يسار الغرفة بعث راديو خشبي رائع أزيزاً.. لقد كان قطعة الأثاث الوحيدة اللائقة بالمكان. بدا جديداً. كان كل ما تبقى من السقط - قطع متسخة ومتراكمة. كرسي هزاز مشابه للذي على الشرفة، ووراء قنطرة مربعة امتدت طاولة طعام مبقعة. كانت هناك آثار أصابع فوق كل الباب المتأرجح الموصل الى المطبخ. مصباحان مهترئان كانا يبعثان يوماً ظلالاً مبهرجة أصبحا الآن خليعين كعاهرتين متقاعدتين.

جلست المرأة على الكرسي الهزاز، خلعت خفّيها ونظرت الي. تطلعتُ الى الراديو وقعدت على حافة كنبة عريضة. رأتني أنظر اليه. فاتشح وجهها وصوتها بمودة زائفة وهشة كشاي صيني وقالت: «انه رفيقي الوحيد». ثم ضحكت ضحكة مكبوتة، «أو هل قام مايك بفعلة ما سيئة مجدداً، هل هذا معقول؟ نادراً ما تقوم الشرطة بزيارتي».

كان في ضحكتها انفلات نبرة كحولية. اتكأت على شيء

ما قاس، تحسسته فعثرت على قنينة صغيرة فارغة من شراب «الجن». ضحكت المرأة من جديد.

قالت: «هذه كانت نكتة. ولكن أطلب إلى الرب أن يكون هناك الكثير من الشقراوات الزائفات حيث هو انه لم يشبع منهن البتة».

قلت: «لقد كنت أفكر في الواقع في حمراوات الشعر».

ـ «أعتقد انه لن يتأنف إن صادف أيضاً بعضهن. بدت لي عيناها غير ضائعتين الآن، «أنا لا أذكر في الواقع. هل تتحدث عن واحدة معينة ذات شعر أحمر؟».

ـ «أجل. انها فتاة تدعى فيلما. لا أعرف ماذا كان اسم عائلتها، إلا انه لن يكون بالتأكيد اسمها الحقيقي. أنا أفتش عنها بناء على طلب أهلها. لقد أصبح ملهاكم القديم الآن مكاناً للزنوج، على الرغم من انهم لم يغيّروا الاسم، وبالطبع هؤلاء لم يسمعوا بها إطلاقاً. ولهذا خطرت أنت لي».

قالت المرأة وهي مستغرقة في التفكير: «لقد تمهل أهلها كثيراً في اتخاذ قرار البحث عنها».

ـ «أظن ان الأمر يتعلق بمبلغ ما من المال. أعتقد انه يتوجب عليهم العثور عليها للتصرف بهذه الأموال. ان المال يشحذ الذاكرة».

قالت المرأة: «وهكذا تفعل الخمرة أيضاً. انه يوم حار، أليس كذلك؟ قلت انك شرطي كما فهمت؟». تطلعت إلي بمكر وكان وجهها ثابتاً شديد الانتباه. قدماها في الخفيّن الرجاليين لم يتحركا.

تناولت مرة جديدة قنينة «البوربون» التي كنا أنا والبوّاب استهلكنا بعضها. وأمسكتها فوق ركبتي. تسمرت عينا المرأة محملقتين بنظرة ملؤها الشك. ثم غمر الشك كل وجهها، مثل هرة ولكن أقل منها تلاعباً.

قالت بنعومة: «أنت لست شرطياً. لا يمكن أن يبتاع أبداً شرطي شراباً من هذا الصنف. ما هي خدعتك يا سيد؟».

تمخطت مجدداً بواسطة منديل كان من أكثر ما رأيت اتساخاً. بقيت عيناها مسمرتين في القنينة. كان الشك يصارع العطش، وكان العطش ينتصر. انه ينتصر دوماً.

ـ «هذه الفيلما كانت فنانة، مغنيّة. ألم تعرفيها؟ لا أظن انك كنت تترددين غالباً الى هناك؟».

لم تبارح عيناها اللتان هما بلون أعشاب بحرية القنينة. ثم لفّت لسانها المصقول فوق شفتيها.

تنهدت قائلة: «يا رجل، هذا شراب ممتاز: لا آبه البتة من تكون فقط أحمله بانتباه. لا وقت لهدر نقطة واحدة منه».

نهضت، تهادت منصرفة من الغرفة ثم عادت بكوبين سميكين زجاجيين متسخين.

قالت: «سنشربه من دون أية إضافات، كما أحضرته».

صببت لها جرعة كان يمكن أن أطفو لو شربتها عل الحائط. رفعتها بجوع ودلقتها في حلقها مثل حبة أسبرين وحملقت في القنينة. صبّت لها جرعة أخرى وثانية لي أقل حجماً. حملت الكأس وتوجهت الى كرسيها الهزاز. كان لون عينيها أعمق.

قالت وهي تقعد: «يا رجل، ان هذا الشراب توافيه المنية في

جوفي من دون أدنى ألم. لن يعرف أبداً ما الذي أصابه. ماذا كنا نقول؟».

ـ «كانت فتاة حمراء الشعر تدعى فيلما تعمل لديكم في شارع سنترال أفينيو».

ـ «أجل»، وابتلعت كأسها الثانية. اقتربت منها ووضعت القنينة فوق حافة قربها. تناولتها، نعم. من قلت انك تكون؟».

انتشلت بطاقتي وناولتها اياها. قرأتها بلسانها وبشفتيها، رمتها على الطاولة قربها ووضعت عليها كأسها الفارغة.

ـ «آه. تحرٍ خاص. أنت لم تقل لي هذا يا رجل». ثم هزت إصبعاً في اتجاهي متوعدة بمزاح.. «لكن قنينتك تعرّف عنك بشكل ممتاز يا صديقي. سأشرب نخب الجريمة». صبت لنفسها جرعة ثالثة وابتلعتها على الفور.

جلست مقلباً سيجارة بين أصابعي وانتظرت. كان من المحتمل أن تعرف أو لا تعرف شيئاً. لو كانت تعرف شيئاً كان يمكن أن تقوله لي أو أن تمتنع عن هذا. كان الأمر بهذه البساطة.

قالت ببطء وبتثاقل: «لقد كانت تلك الصغيرة حمراء الشعر ظريفة. أجل أذكرها. كانت تغني وترقص. لقد امتلكت ساقين خارقتين وكانت كريمة بهما. لقد غادرت الى مكان ما. كيف تريدني أن أعرف الى أين تذهب تلك العاهرات؟».

قلت: «في الواقع لم أعتقد انك تعرفين. لكنه كان من الطبيعي أن آتي وأسألك يا سيدة فلوريان. اسكبي لنفسك مزيداً من «البوربون» ـ أستطيع أن أبتاع واحدة أخرى ـ حين أحتاج اليها.

انبرت فجأة: «أنت لم تشرب».

أمسكت الكأس واحتسيت متمهلاً ما كان فيه لأجعله يبدو أكثر مما كان.

ثم سألت بغتة: «ماذا يفعل أهلها؟».

« ماذا يهمني في هذا؟».

- «حسناً»، ولاحظت هازئة، «كل رجال الشرطة متشابهون. حسناً يا جميلي. ان الرجل الذي يقدم لك شراباً هو صديق حقيقي». تناولت القنينة وسكبت جرعتها الرقم ٤.

- «ما كان ينبغي أن أبربر معك. ولكني حين أحب شخصاً فلا حدود لذلك. تكلّفت ابتسامة وبدت ظريفة كحوض غسيل. «تشبث بكرسيك واربط حزام الأمان. لقد راودتني فكرة».

نهضت عن الكرسي الهزاز، عطست وكاد يسقط روبها عنها. صفقته مجدداً في اتجاه بطنها وحملقت فيّ ببرودة.

- «ممنوع اختلاس النظر أثناء غيابي»، قالت هذا وخرجت من الغرفة مجدداً لاطمة إطار الباب بكتفها.

سمعت خطواتها المرتبكة في القسم الخلفي من المنزل. كانت استطالات زهرة البونسية تفرقع برتابة على الحائط الخارجي. كان حبل الغسيل يبعث صريراً غريباً عجيباً الى جانب المنزل. عبر الشارع بائع بوظة متجول وهو يرنّ جرسه. همس الراديو الجديد الرائع في الزاوية أغاني راقصة وغرامية بإيقاعات ناعمة نابضة، أشبه بالغناء الرومنطيقي.

ثم سمعت من مؤخر المنزل أنواعاً مختلفة من أصوات

التحطم. بدا كأنه كنبةً سقطت الى الخلف، أو درجاً سحب بقوة وأكثر من اللزوم وتحطّم على الأرض. كان هناك اضطراب، ارتطامات مكبوتة، وتمتمة شتائم بشعة ثم سمعت طقطقة مبطئة، وصرير انفتاح غطاء صندوق. ثم مزيداً من الفوضى والدويّ. حطت صينية على الأرض. نهضتُ عن الكنبة وتسللتُ الى غرفة الطعام ومن هناك الى رواق قصير. تطلعت في الغرفة من خلال باب مفتوح.

كانت هناك مترنحة أمام صندوق خشبي منتشلة ما كان فيه، وملقية بغضب بين حين وآخر شعرها الى ما وراء جبينها. كانت سكرانة أكثر مما اعتقدت. ثم انحنت، أثبتت نفسها بالصندوق، عطست وتنهدت. ركعت على ركبتيها الثخينتين، غمست يديها في الصندوق متلمسة طريقها.

عادت يداها ممسكتين بارتباك بشيء ما. كانت رزمة سميكة مربوطة بشريط زهري باهت. فكّت الرباط ببطء ثم سحبت من الرزمة مغلفاً، وانحنت مجدداً لتحشر المغلف وتخفيه عن الأنظار في موضع الى يمين جوف الصندوق. ثم أوثقت الرباط بأصابعها المرتبكة.

تسللت عائداً من حيث أتيت وجلست على الكنبة. عادت المرأة وكان تنفسها شاخراً، دخلت غرفة الجلوس ووقفت مترنحة أمام الباب حاملة رزمة موثقة بشريط. ابتسمت منتصرة، ورمت الرزمة التي سقطت في مكان ما قرب قدمي. تهادت عائدة الى مقعدها الهزاز، جلست ثم تطاولت متناولة قنينة «البوربون».

التقطت الرزمة عن الأرض وحلت شريطها الزهري.

قالت بصوت أشبه بقباع الخنزير: «فتش فيها انها صور فوتوغرافية وقصاصات صور من الجرائد. لم تظهر صور أولئك البغايا في الصحف إلا من خلال أرشيف الشرطة. جميعهن خرّيجات سجون. هذا كل ما تركه لي ابن الزانية هذا ـ هذا الملف وثيابه القديمة.

قلبّت كدسة من الصور الفوتوغرافية اللمّاعة لرجال ونساء متموضعين في أساليب محترفة. كان للرجال وجوه ماكرة ولبوسهم كالتي لحلبات سباق الخيل. أما تبرجهم فشاذ وأشبه بالمهرجين. راقصون محترفون وممثلون هزليون من فرقة مسرحية جوّالة وحقيرة. بالتأكيد لم يتسنَّ لكثير منهم العمل في مسارح محترمة غربي شارع هاين ستريت. إنك تجد معدمين أمثالهم في المسرحيات القروية من نوع الفودفيل، أو في المسارح الهزلية الخفيفة. يقدمون عروضاً مشينة بموازاة أقصى ما يسمح به القانون، وأحياناً أشياء أكثر قذارة مبررين غارات للشرطة ومحاكمات قضائية. ليعودوا مرة جديدة إلى عروضهم مبتسمين، وقذرين بساديّة، وأكثر عفونة من رائحة عرق عفن. كانت للنسوة سيقان جيدة، وكن يعرضن ما بين أفخاذهن أكثر مما كانت تسمح به الرقابة. لكن وجوههن كانت مبتذلة كهر في مكتب كاتب حسابات. شقراوات، سمراوات، بعيون ضخمة بقرية وغباء فلاحات. عيون صغيرة حادة جشعة كاسرة. واحدة أو اثنتان بدتا بوضوح شريرتين. واحدة أو اثنتان بدتا حمراوي الشعر. لم أستطع أن أتأكد من هذا في الصور. تطلعت الى الصور عرضاً من غير اهتمام ثم ربطت الرزمة مجدداً.

قلت: «لن أعرف أية واحدة من هؤلاء. لماذا أنظر اليهن؟».

نظرت شذراً الى القنينة التي كانت يدها اليمنى تتشبث بها مترنحة: «ألست تبحث عن فيلما؟».

- «هل هي بينهن؟».

ارتسمت ملامح خبيثة على وجهها، ثم غادرت قائلة: «أولم يعطك أهلها صورة لها؟».

- «لا».

أقلقها هذا الجواب. هناك دائماً في مكان ما صور لمطلق فتاة ولو بفستان قصير أو عقدة في الشعر. كان ينبغي أن تكون في حوزتي واحدة.

قالت المرأة بخفوت: «لقد بدأت لا أثق بك».

وقفت حاملاً كأسي واقتربت ووضعته بقربها عند حافة الطاولة.

طلبت اليها أن تصب لي كأساً قبل أن تقضي على القنينة.

تناولت الكأس واستدرت ماشياً بخفة عبر القنطرة المربعة الى غرفة الطعام، الى غرفة النوم المركومة، الى الصندوق المفتوح، وعبر الصينية المرمية. سمعت هتافاً ورائي. ثم غطست في الصندوق في الجانب الأيمن منه، تحسست المغلف وانتشلته بسرعة.

كانت خارج مقعدها حين رجعت الى غرفة الجلوس، كانت عيناها غريبتين، كأنما من زجاج. كانتا زجاجيتين وقاتلتين.

زجرتها متعمداً: «اجلسي. أنت لا تتعاطين هذه المرة مع عملاق ساذج مثل الموظ مالوي».

كان هذا بمثابة طلقة في الظلام، ولم تصب شيئاً. رفّت عيناها مرتين، وحاولت رفع أنفها بشفتها العليا. انبرت أسنانها المتسخة كاشفة خبثاً في تكشيرتها الأرنبية.

قالت بخمود: «موظ، الموظ، ماذا في شأنه؟».

قلت: «لقد أفلتوه. انه خارج السجن. انه يتجول حاملاً مسدساً من عيار ٤٥. لقد قتل زنجياً في شارع سنترال أفينيو هذا الصباح لأنه رفض أن يخبره عن مكان وجود فيلما. انه يبحث الآن عن الواشي الذي سلّمه قبل ثماني سنوات».

أصبح وجه المرأة شاحباً، ودفعت القنينة الى شفتيها وشربت مقرقرة. انساب بعض الشراب فوق ذقنها.

قالت ضاحكة: «والشرطة تبحث عنه. الشرطة، أليس كذا!».

امرأة عجوز رائعة. أحببت المكوث معها. استمتعت باسكارها من أجل أهدافي الخسيسة. أنا في الواقع شخص ممتاز. وفخور بهذا. يمكنني أن ألتقي أشخاصاً من مختلف الأصناف في مهنتي هذه، ولكنني في الحقيقة كنت بدأت أشمئز.

فتحت المغلف الذي كنت أقبض عليه بإحكام وسحبت صورة لمّاعة. كانت كالأخريات لكنها كانت مختلفة. أفضل بكثير. ارتدت في الصورة زي المهرج الحزين «بييرو». تحت القبعة الاسطوانية البيضاء التي كللتها كان شعرها المنفوش مشوباً بلون قاتم كان بالتأكيد أحمر. كانت تقف جانباً لكن

ما شوهد من عينيها نضح بهجة. ليس بمقدوري القول انه كان وجهاً فاتناً غير مستنفد، لست خبيراً بالوجوه. لكنها كانت جميلة. لقد عومل هذا الوجه بلطافة وبالأحرى بأقصى ما تسنى من لطافة عند ناس من هذا النوع. في النهاية كان وجهاً عادياً جداً، وكان جماله معهوداً. من الممكن أن ترى دزينة وجوه تشبهه في أية عمارة في المدينة عند وقت الظهيرة.

كانت حدود زي «بييرو» خصرها. أما تحت الخصر فلم يكن هناك سوى ساقيها، وكانتا ساقين بديعتين. كانت الصورة موقّعة أسفل يمينها: «لك الى الأبد ـ فيلما فالينتو».

رفعت الصورة أمام السيدة فلوريان، وبعيداً عن متناول يدها تطاولت ولكنها فشلت في محاولتها.

سألتها: «لماذا تخبئينها؟».

لم أسمع سوى لهاثها. حشرت الصورة مجدداً في المغلف ثم وضعت المغلف في جيبي.

ـ «لماذا خبأتِها»، سألت مجدداً، «ما الذي يجعلها مختلفة عن الأخريات؟ أين هي الآن؟».

قالت المرأة: «انها ميتة. لقد كانت فتاة طيبة، ولكنها ماتت أيها الشرطي. انصرف الآن».

تقافز جفناها الأصفران الباليان. انفتحت يدها وانزلقت قنينة البوربون لتسقط على السجادة ويندلق محتواها مقرقراً. انحنيت لأنتشلها. حاولت أن تركلني على وجهي، فتراجعت متجنباً ذلك.

انبريت قائلاً: «لكن هذا لايفسر لماذا خبأت الصورة. متى ماتت؟ كيف؟».

قالت بصوت أجش: «أنا امرأة عجوز مريضة مسكينة. ابتعد عني يا ابن العاهرة».

وقفت محدقاً فيها غير متفوه بحرف، لا أفكر في أي كلام معين أقوله. اقتربت منها بعد هنيهة ووضعت القنينة المسطحة، والتي كانت شبه فارغة على الطاولة الى جانبها.

كانت تحدق الى الأسفل في السجادة. بينما كان الراديو يدندن بهناء في الزاوية. عبرت سيارة في الخارج، وأزّت ذبابة على إحدى النوافذ. بعد وقت طويل وضعتْ شفة فوق الأخرى وحدثت الأرض في خليط من دون معنى، هو أقرب الى الهذيان. ثم قهقهت، ألقت رأسها الى الوراء متمتمة هراء، تناولت بعدها القنينة التي قعقعت على أسنانها بينما ابتلعتها الى آخر رمق. حين فرغت القنينة رفعتها، هزّتها ورمتها في اتجاهي. سقطت في مكان ما في الزاوية بعدما انزلقت على السجادة وارتطمت بطوق الجدران الداخلية الخشبي.

نظرت إلي شزراً مرة جديدة، ثم انغلقت عيناها وبدأت تشخر.

كان من المحتمل انها تمثل. لكنني لم آبه، فجأة شعرت أنني لم أعد أطيق المشهد برمته، لقد أتخمت، أتخمت حتى أبعد الحدود.

انتشلت قبعتي من عن الكنبة، توجهت الى الباب، فتحته وتابعت عبر الباب الواقي. كان الراديو لايزال يدندن في الزاوية

وتابعت المرأة تشخر بنعومة في مقعدها. التفت اليها لحظة قبل أن أغلق الباب، ثم أغلقته، فتحته مجدداً بسكون وتطلعت مجدداً.

كانت عيناها لاتزالان مغلقتين والتمع شيء ما تحت جفنيها. هبطت الدرجات مجتازاً المعبر المتصدع إلى الشارع.

في المنزل المجاور انزاحت ستارة نافذة وانكبّ وجه هزيل ملتصقاً بالزجاج مختلساً النظر. كان وجه امرأة بيضاء الشعر، حادّة الأنف.

عجوز فضولية تتلصص على الجيران. هناك باستمرار واحدة من هذا الصنف في كل حيّ. لوّحت لها بيدي فأغلقت الستارة.

عدت الى سيارتي، ركبتها وقدتها عائداً الى قسم الشرطة في الشارع رقم ٧٧. صعدت الدرجات في اتجاه مكتب نولتي النتن والأشبة بالزنزانة في الطبقة الثانية.

- ٦ -

لم يبد أن نولتي تحرك قيد أنملة من مكانه. كان جالساً في مقعده بالطريقة نفسها منتظراً بصبر. لكن كان هناك عقبا سيجار إضافيان في المنفضة، وعلى الأرضية ارتفع مستوى أعواد الثقاب المحروقة.

جلست الى المكتب الشاغر، وتحول نولتي الى الصورة الفوتوغرافية الملقاة على وجهها على مكتبه وناولني اياها. كانت صورة من أرشيف الشرطة. الوجه والبروفيل وتحتهما

بصمات الأصابع. كانت صورة مالوي وقد التقطت في إنارة قوية وظهر معدم الحاجبين كسندويش حليبي فرنسي.

أعدتها قائلاً: «هذا هو الطفل المعجزة».

ـ «لقد وصلتنا في شأنه برقية من سجن ولاية أوراغون»، وتابع نولتي، «لقد أتم كل مدة عقابه، الأمور تسير نحو الأفضل. لقد حشرناه في الزاوية. تحدث أفراد سيارة جوالة الى سائق قطار في نهاية الشارع السابع. وذكر السائق انه شاهد رجلاً بهذا الحجم والهيئة. ينزل من الترامواي عند تقاطع الشارع رقم ٣ وشارع الكسندريا. أتصور انه سيقتحم منزلاً ما كبيراً وشاغراً. هناك الكثير من هذه البيوت القديمة العهد بعيداً في قاع المدينة الآن، وهي أمكنة يصعب تأجيرها. سوف يقتحم أحدها وسننال منه. وأنت ماذا كنت تفعل؟».

ـ «هل كان يرتدي قبعة مبهرجة وكرات غولف على سترته؟».

عبس نولتي ونقّل يديه فوق ركبتيه: «لا كان يرتدي بدلة زرقاء. ربما بنيّة».

ـ «هل أنت متأكد انه كان يرتدي السارونغ؟».

ـ هيه، آه أجل. هذا مضحك. ذكّرني أن أضحك في يوم عطلتي».

قلت: «هذا لم يكن الموظ. انه لا يستعمل أبداً المواصلات العامة. لديه مال. لو أخذنا بعين الاعتبار الملابس التي كان يرتديها. ليس بمقدور رجل من حجمه أن يعثر على ثياب جاهزة. لابد وأنه أوصى عليها عند خياط».

قال نولتي مقطباً: «حسناً، إهزأ بي. ماذا جرى معك؟».

ـ «فعلت ما كان ينبغي أن تقوم أنت به. هذا الملهى المدعو فلوريانز، كان يحمل الاسم نفسه حين كان ملهى ومصيدة للبيض. تحدثت الى موظف فندق زنجي يعرف جيداً الجوار. كانت تكاليف اللافتة باهظة لذا فضّل السود استخدامها حين ابتاعوا المكان. كان اسم صاحبه مايك فلوريان. مات منذ بضع سنوات، لكن أرملته لاتزال حية. انها تسكن في المنزل رقم ١٦٤٤ غربي الشارع رقم ٥٤. إنها تدعى جيسي فلوريان. اسمها غير مذكور في دليل الهاتف لكنه موجود في دليل المدينة».

سأل نولتي: «حسناً، ماذا يتوجب عليَّ أن أفعل؟ هل أصطحبها الى المرقص؟».

ـ «لقد فعلت هذا من أجلك. حملت معي قنينة بوربون. انها سيدة ظريفة في منتصف العمر. وجهها يشبه دلواً من الوحل. وإذا أكدوا لي انها غسلت شعرها منذ إعادة انتخاب الرئيس كولريدج فانني سوف آكل دولاب سيارتي الاحتياطي، مع الاطار وكل ما هنالك».

قال نولتي: «أعفني من النكات».

ـ «سألت السيدة فلوريان عن فيلما. أنت تذكر يا سيد نولتي حمراء الشعر المدعوة فيلما تلك التي كان الموظ مالوي يبحث عنها، أليس كذلك؟ أنا لا أتعبك يا سيد نولتي، أليس كذلك؟».

ـ ما الذي يغيظك؟».

ـ «أنت لا تفهم. قالت السيدة فلوريان انها لا تذكر فيلما.

منزلها مهترىء ما عدا جهاز راديو جديد يبلغ ثمنه سبعين أو ثمانين دولاراً».

- «لم تقل لي بعد ما هو بيت القصيد في كل هذا لأرقص فرحاً».

- «السيدة فلوريان - أو جيسي - قالت ان زوجها لم يترك لها غير ثيابه القديمة ومجموعة صور لفريق الفنانين الذين كانوا يعملون في ملهاه من وقت لآخر. لقد رشوتها بقنينة بوربون وانها من النوع المستعد للملاكمة عندما ينوي الحصول على شراب. وهكذا بعد الكأس الثالثة أو الرابعة توجهت الى غرفة نومها المتواضعة وبعثرت أشياء كثيرة الى أن عثرت على رزمة صور في قعر صندوق قديم. ولكني كنت أراقبها من غير أن تعلم ورأيتها تخبىء مغلفاً كان داخل الرزمة. وهكذا تسللت بعد فترة واختطفته».

وضعت يدي في جيبي ثم طرحت الآنسة المرتدية زي «بييرو» على مكتبه. رفعها وحدق فيها وقد التوت شفتاه عند نهايتهما. قال: «جميلة. جميلة بقدر كاف. كنت سأعشق غزالة من هذا الصنف حين كنت شاباً. هاوو. هاوو. فيلما فالنتو، هه. ما حدث لهذه الغادة؟».

- «تدّعي السيدة فلوريان انها ماتت. ولكن هذا لا يفسر أبداً سبب إخفائها الصورة».

- «هذا لا يفسر لي أي شيء إطلاقاً. لماذا أخفتها؟».

- «لقد امتنعت عن التفسير. في النهاية حين أطلعتها على إطلاق سراح الموظ، بدت وكأنها نفرت مني. هذا يبدو غير قابل للتصديق، أليس كذلك؟».

قال نولتي: «تابع».

- «هذا كل شيء. لقد أطلعتك على الوقائع وعرضت عليك كل ما جرى. إن لم يكن في وسعك الانطلاق من هنا، فلن يساعدك أي شيء آخر سأقوله».

- «إلى أين سيصل بي كل هذا؟ إن القضية لم تبرح كونها مقتل زنجي. انتظر حتى نلقي القبض على الموظ. يا للشيطان، انه لم ير هذه الفتاة منذ ثماني سنوات، إلا إذا كانت قد زارته في السجن».

قلت: «حسناً. لكن لا تنسَ انه يبحث عنها وانه من النوع العنيد. بالمناسبة، لقد قام بسلب مصرف. هذا يعني ان الواشي حصل على مكافأة مالية ثمناً لرأسه. من الذي حصل على هذه المكافأة؟».

قال نولتي: «لست أعرف. ربما أستطيع أن أستعلم. لماذا؟».

- «لقد وشى به أحدهم. ربما يعرف من هو». ثم وقفت قائلاً، «وأظن ان النيل منه هو شغله الشاغل حالياً».

- «وداعاً، وحظاً سعيداً».

- «أأنت تتخلى عني؟».

تابعت الى الباب: «يجب أن أذهب الى البيت، لأستحم وأغرغر حلقي، وأطلي أظافري أيضاً».

- «هل أنت مريض؟».

قلت: «لا وإنما متسخ جداً جداً».

- «إذاً لِمَ العجلة؟ اقعد دقيقة». تراجع وعلّق ابهاميه بجيبي

سترته. وجعله هذا يبدو أكثر شبهاً برجل شرطة، إلا انه حرمه جاذبيته.

ـ «لست على عجلة»، قلت: «لست مستعجلاً البتة. ليس بمقدوري القيام بأي شيء آخر. ظاهرياً يبدو ان فيلما هذه ميتة. هذا إن كانت السيدة تقول الحقيقة. ولا أجد في الوقت الحاضر أي سبب منطقي لتفعل العكس. هذا كان كل ما أثار اهتمامي في المسألة».

ـ «أجل». ردد نولتي مرتاباً ـ كما هي العادة.

ـ «في مطلق الأحوال. أصبح الموظ مالوي في قبضتك الآن. وهذا هو الأهم. جلّ ما سأفعله الآن هو العودة الى المنزل ومحاولة ايجاد عمل ما لكسب رزقي».

قال نولتي: «قد نفشل في القبض على الموظ. أحياناً يستطيع بعضهم الاختفاء، حتى ولو كانوا عمالقة كرجلنا هذا». كانت نظراته مرتابة أيضاً، هذا إن اعتبرنا أنها كانت تعكس مطلق تعبير. «ماذا دفعت لك؟».

ـ «ماذا؟».

ـ «كم دفعت لك المرأة العجوز لتتناسى؟».

ـ «أتناسى ماذا؟».

ـ «لتتناسى ما ستتناساه من الآن فصاعداً» أخرج ابهاميه من جيبي سترته ثم شبكهما أمام سترته، وابتسم.

قلت: «آه». وخرجت من المكتب تاركاً اياه فاغر الفم.

ما ان ابتعدت ما يقارب الياردة عن الباب، طفقت راجعاً وفتحته بسكون وحدقت الى الداخل. كان لايزال جالساً في

الوضعية نفسها، ضارباً ابهاميه ببعضهما البعض. لكنه لم يكن يتبسم. بدا قلقاً، وكان فمه لايزال فاغراً.

لم يتحرك ولم يلتفت. لم أعرف إن كان سمعني أم لا. أغلقت الباب مجدداً وغادرت.

- ٧ -

كانوا وضعوا على روزنامة تلك السنة بورتريه ذاتية لرمبرانت. كانت الصورة ملطخة وألوانها مطبوعة بشكل رديء. أظهرته حاملاً بإبهامه المتسخ لوحة ألوان ملطخة، ويضع على رأسه قلنسوة صوفية لم تكن هي أيضاً نظيفة. حمل بيده الأخرى فرشاة رفعها في الهواء كما لو انه على وشك الشروع بالعمل، إن دفع له أحدهم عربوناً. كان وجهه كهلاً، واهناً وعكس قرفاً من الحياة وتهالكاً سببته الكحول. لكن كانت فيه هناءة صلبة، أحببتها. وكانت العينان مشعّتين كقطرتي ندى.

كنت أحدق فيه من وراء طاولة مكتبي، وكانت الساعة حوالى الرابعة والنصف حين رنّ الهاتف وسمعت صوتاً متكبراً بدا معجباً جداً بنفسه. قال متشدقاً:

- «أنت فيليب مارلو، التحري الخاص، أليس كذلك؟».

- «هو بالذات».

- «آه. أنت تعني أجل. لقد نصحوني بك وقالوا انك موضع ثقة. أرغب أن تحضر الى منزلي هذا المساء عند الساعة السابعة. حيث نستطيع أن نناقش المسألة. اسمي ليندساي ماريوت

وأسكن في الرقم ٤٢١٢ في شارع كابريلو قرب جادة مونتيمار. هل تعرف المكان؟».

- «أعرف أين تقع حادة مونتيمار يا سيد ماريوت».

- «أجل. في الواقع يصعب العثور على شارع كابريلو. الشوارع هنا مرصوفة بشكل جميل إنما يضيّع بالتواءاته العديدة. أقترح عليك أن تسير وتطلع الدرجات من قرب المقهى المجاور. إن فعلت هذا فسوف تجد شارع كابريلو عند ثالث مفرق، ومنزلي هو الوحيد القائم في هذا الشارع. إذاً نلتقي عند السابعة».

- «ما هو نوع العمل الذي تطلبه إلي يا سيد ماريوت؟».

- «أفضل أن لا نبحث هذا الأمر بالهاتف».

- «أليس في وسعك إعطائي ولو فكرة؟ إن جادة مونتيمار بعيدة كما تعرف».

- سوف أدفع لك بكل سرور كلّ مصاريفك إن لم نتفق. هل لديك أية موانع بالنسبة لأنواع ما من المسائل؟».

- «ليس إن كانت قانونية».

أصبح صوته جليدياً وقال: «لم أكن لأتصل بك، لو لم تكن المسألة كذلك».

لا بد انه من خريجي جامعة هارفرد. خارق في استخدام الأفعال الشرطية. شعرت بحكاك في أسفل قدمي، ولكن حسابي المصرفي كان هزيلاً الى حد يمكنه من الزحف تحت بطن بطّة. لطّفت لهجتي وقلت: «شكراً جزيلاً على اتصالك يا سيد ماريوت. سأكون هناك».

أقفل الخط وهذا كان كل شيء. خطر لي أن السيد رمبرانت كان يبتسم هازئاً. تناولت قنينة المكتب من درج عميق وشربت جرعة قصيرة. وهذا أضحك أيضاً السيد رامبرانت.

انسل شعاع شمس فوق حافة طاولة المكتب وسقط صامتاً على السجادة. كانت شارات السير تقرع في الخارج على البولفار، فيما اجتازته عربات الترامواي متثاقلة. وراء الحائط كانت الآلة الكاتبة تفرقع برتابة في مكتب المحامي. كنت ملأت لتوي وأشعلت غليوناً حين رن جرس الهاتف من جديد.

كان نولتي هذه المرة. بدا صوته كأنه محشو بالبطاطا المطبوخة. قال: «حسناً، أظن اني لست بارعاً بهذا. فشلت المحاولة. لقد قام مالوي بزيارة السيدة فلوريان».

أمسكت السمّاعة بقوة كانت تكفي لتحطيمها. أحسست فجأة أن شفتي العليا باردة: «تابع. كنت ظننت انك على وشك النيل منه».

ـ «كان ذلك رجلاً آخر. لم يكن مالوي هناك أبداً. كنّا تلقينا مكالمة من عجوز متلصصة في الشارع الغربي رقم ٥٤، وكان توجه شرطيان لمقابلة السيدة فلوريان. أوقف المشبوه الأول سيارته الى الجانب الآخر من الطريق وتصرف بحذر. تفحص الجوار جيداً قبل أن يدخل. بقي هناك قرابة الساعة. طوله حوالى ١٨٠سنتم، متوسط ابنية. ثم خرج بسكون».

قلت: «وكانت رائحة الشراب منبعثة من أنفاسه أيضاً».

ـ «آه. بالطبع. كان أنت، أليس كذلك؟ حسناً الرقم ٢ كان الموظ. كان رجلاً في ثياب مبهرجة وضخماً كمنزل. جاء أيضاً

في سيارة غير أن العجوز المتلصصة لم تستطع رؤية رقمها، لا تستطيع قراءة الرقم من بعيد. قالت انه أتى بعد ساعة من مغادرتك. دخل مسرعاً وبقي مدة خمس دقائق فقط. قبيل دخوله السيارة مجدداً انتشل مسدساً ضخماً وأخذ يتفقد خزانة الرصاصات. أعتقد ان هذا ما رأته العجوز. لهذا السبب اتصلت بنا. غير انها لم تسمع أي اطلاق رصاص داخل المنزل».

قلت: «لا بد ان هذا سبب لها خيبة أمل عارمة».

ـ «آه، نكتة جديدة. ذكرني أن أضحك يوم عطلتي».

توجه رجال الشرطة الى هناك ولم يفتح لهم الباب، فدخلوا إذ إن الباب الخارجي لم يكن مقفلاً.. لم تكن هناك أية جثة على الأرض، لم يكن هناك أحد. خرجت السيدة فلوريان متسللة. عندها قاموا بزيارة العجوز المتلصصة، وأكدت هذه الأخيرة جازمة انها لم ترها تخرج البتة. بعد قرابة الساعة، أو ربما ساعة ونصف اتصلت المرأة العجوز مجدداً وقالت ان السيدة فلوريان عادت الى منزلها. تناولت الهاتف وسألتها عن السبب الذي يجعل مثل هذا أمراً مهماً، فأقفلت السمّاعة في وجهي.

توقف نولتي ليسترجع أنفاسه ومنتظراً تعليقاتي. لم يكن لدي أي واحد. بعد برهة عاد مدمدماً:

ـ «ما الذي تستنتج من كل هذا؟».

ـ «ليس بالشيء الكثير. بالطبع كان من المتوقع أن يذهب الموظ الى هناك. لابد انه كان يعرف السيدة فلوريان معرفة

وثيقة. من الطبيعي أن لا يمكث هناك طويلاً. سيخاف من أن تكون الشرطة تراقبها».

قال نولتي بهدوء: «ما أتصوره. ربما ينبغي أن أتوجه الى هناك وأقابلها ـ لأكتشف الى أين خرجت».

قلت: «يا لها من فكرة ممتازة. هذا لو استطعت ايجاد من يرفعك عن كرسيك».

ـ صه، نكتة أخرى، على أية حال لم أعدْ مهماً. أظن انه من الأفضل أن لا أفعل».

قلت: «جيد، فليكن ما يكون».

ضحك وقال: «استطعنا رصد تحركات مالوي. سننال منه بالتأكيد هذه المرة. انه شوهد عند محطة جيرار ثم توجه نحو الغرب في سيارة مستأجرة. كان توقف هناك لتزويد السيارة بالوقود، وتعرف اليه عامل المحطة من المواصفات التي بثثناها بالراديو قبل وقت. قال ان كل المواصفات كانت متوافقة ما عدا انه كان يرتدي بدلة قاتمة. لقد عممنا مذكرة الجلب ضده لتشمل كل الولاية. لو تابع غرباً فسوف نقبض عليه على طريق فنتورا، ولو انعطف متخذاً أوتوستراد آلريدج، فسيتوجب عليه التوقف في منطقة كاستايك من أجل ابتياع بطاقة عبور للجسر. إن لم يتوقف فسوف يتّصلون بالمركز المتقدم وسيقطعون عليه الطريق. لا نريد أن يتأذى أي شرطي، هذا إن استطعنا تجنب هذا. ما رأيك بهذا؟».

قلت: «يبدو هذا جيداً. ان كان هذا الرجل هو مالوي نفسه، ولو فعل تماماً ما تتوقعون منه أن يفعل».

تنحنح نولتي بعناية وبدأ: «أجل. ماذا كنت أنت تفعل لو كنت في مكاني؟».

- «لا شيء. ولماذا يتوجب علي أن أتدخل في هذا؟».

- «انك قمت بعمل جيد مع زوجة فلوريان. قد يمكنك استخلاص بعض الأفكار الأخرى منها؟».

قلت: «كل ما يتوجب عليك أن تجد هو قنينة ملآنة».

- «انك تصرفت معها بأسلوب ممتاز. ربما ينبغي أن تقضي معها مزيداً من الوقت».

- «كنت أعتقد ان هذا العمل هو من اختصاص الشرطة».

- «آه. بالتأكيد. ولكن مسألة البحث عن الفتاة كانت فكرتك أنت».

- «يبدو أن هذه المسألة انتهت، إلا إذا كانت السيدة فلوريان تكذب في شأنها».

- «ان النسوة يكذبن طوال الوقت - ومن أجل التمرين فقط». وأضاف نولتي متجهماً، «أنت لست منشغلاً في هذه الأيام، أليس كذلك؟».

- «ينبغي أن أقوم بعمل ما. تلقيت اتصالاً بعدما رأيتك، من أجل عمل مدفوع. أنا آسف».

- «أنت تنسحب، هل هذا ما أفهمه من كلامك؟».

- «إنك تبالغ أنا لا أفسر الأمر بهذه الطريقة. المسألة بكل بساطة، هي انه يتوجّب عليّ العمل لأكسب رزقي».

- «حسناً يا صديقي. إن كان هذا شعورك بالنسبة للمسألة فلن أمانع».

بأسنانها على جبل، وتخال أن عطسة قوية كان يمكن أن تسقطها كلها على الشاطىء مع سلال السمك المهملة.

فوق الشاطىء تسرب الأوتوستراد تحت قنطرة اسمنتية واسعة، كانت في الحقيقة معبر مشاة. عند نهايتها الداخلية تصاعدت أدراج اسمنتية يحدّها من الجانب متكأ حديدي تطاول كمسطرة الى جانب الجبل. وراء القنطرة كان المقهى الذي ذكره لي الزبون مضيئاً وبهيجاً من الداخل، غير أن الطاولات ذات القوائم الفولاذية التي انتشرت في الخارج تحت المظلّة المقلمة كانت مقفرة ما عدا واحدة جلست اليها امرأة سمراء تدخن وتحملق مأخوذة بالبحر وأمامها كأس جعة. كان كلب صيد يبول على قائمة طاولة. طردتِ الكلب بلامبالاة بينما قدت سيارتي مجتازاً المقهى والى جانبه بقصد استخدام موقف للسيارة.

مشيت عائداً عبر القنطرة وتدرجت طالعاً الدرجات. كانت نزهة لطيفة بالنسبة لهواة اللهاث. كان ينبغي أن أتسلق مئة وثمانين درجة لأدرك شارع كابريلو. كانت الدرجات مكسوة برمل البحر والمتكأ بارداً ومبللاً كبطن ضفدع.

حين وصلت قمة الأدراج كان توارى بريق المياه، وراح نورس مكسور القائمة يتقلب مصارعاً نسيم البحر. قعدت على الدرجة الأخيرة الرطبة والباردة ونفضت الرمل من حذائي وانتظرت عودة نبضي الى ما دون المئات. حين بدأت أتنفس تقريباً بطريقة طبيعية، أزحت قميصي الملتصق بظهري، وتقدمت نحو المنزل المضاء والوحيد في الأرجاء.

كان منزلاً صغيراً وجميلاً يتقدمه درج حلزوني ملطخ

بالرمل. كان الدرج يرتفع الى مدخل المنزل حيث علق مصباحا عربة. كان المرآب في الأسفل الى الجانب. كان بابه مرفوعاً وملفوفاً، وأضاء المصباحين بانكسار سيارة ضخمة سوداء بحجم سفينة حربية. كانت منكّلة الزوايا، علق ذنب دئب صغير على الجناح المظفّر الذي يعتمر غطاء «الرادياتور». حفرت على ذروة الرادياتور أحرف كانت تمثل بالتأكيد شعار صاحبها. كان مقود السيارة الى ناحية اليمين وبدت أغلى ثمناً من المنزل.

صعدت الدرجات الحلزونية، بحثت عن الجرس، واستخدمت القارع اليدوي الذي كان بشكل رأس نمر. ابتلع ضباب العشية المبكرة القعقعة. لم أسمع أدنى خطوة في المنزل. شعرت بقميصي البليلة كقطعة جليدية على ظهري. فتح الباب بسكون، ورأيت نفسي ناظراً الى رجل أشقر طويل في بدلة قطنية بيضاء وشال ليلكيّ من الساتان لفّ عنقه.

كان هناك رسم زهرة عميقة الإزرقاق على صدر سترته، وبدت عيناه الزرقاوان الشاحبتان بالمقارنة معها معدمتي اللون. لم يكن الشال مشدوداً وتسنى لي ملاحظة انه لم يكن مرتدياً ربطة عنق وان رقبته كانت غليظة ناعمة وسمراء أشبه بعنق امرأة قويّة. كانت ملامحه قاسية بعض الشيء ولكن جذّابة. كان أطول مني بإصبع واحدة أي ١٨٥سنتيمتراً. كان شعره الأشقر مصففاً بالطبيعة في ثلاث تجاعيد ذكرتني بالأدراج، ولهذا لم يعجبني. لم أكن لأحبه بأية حال. كل مواصفاته المتبقية لم تكن لغير واحد يرتدي بدلة قطنية بيضاء، مع شال ليلكي حول عنقه وزهرة على صدر السترة.

تنحنح قليلاً وتطلع الى وراء كتفي الى البحر المدلهم شيئاً فشيئاً. ثم قال بصوته المتشدق: «ماذا تريد؟».

قلت: «الساعة السابعة. على التمام».

- «آه. أجل. دعني أذكر. ان اسمك هو...» توقف وتجهم محاولاً التذكر بجهد. كانت محاولته زائفة كأصالة سيارة مستعملة. تركته يحاول طوال دقيقة ثم قلت:

- «فيليب مارلو. لا يزال كما كان في ما بعد الظهيرة».

عبس لحظة، كما لو انه ينبغي أن يفعل شيئاً بالنسبة لهذا. ثم تراجع وقال ببرودة:

- «آه. أجل. طبعاً. أدخل يا مارلو. لقد خرج خادمي في هذه العشية».

شرّع الباب برؤوس أصابعه، خشية الاتساخ.

اجتزته وشممت عطره. أقفل الباب. كان المدخل عبارة عن شرفة واطئة ذات متكأ حديدي كان يلف جهات الشقة «الأستديو» الثلاث. في الجهة الرابعة كان هناك مصطلى وبابان. فرقعت النار في المصطلى. كانت الشرفة محاطة برفوف للكتب انتشرت عليها قطع صغيرة معدنية من منحوتات وما يشابه.

نزلنا ثلاث درجات وأدركنا غرفة الجلوس الأساسية. كانت السجادة سميكة الى درجة انها دغدغت تقريباً ركبتيّ. كان هناك بيانو ضخم مقفل. في احدى الزوايا انبرىء إناء طويل فضيّ كان موضوعاً على قماشة مقلّمة حمراء دراقيّة. ومن داخل الإناء انبثقت زهرة وحيدة. كان المكان يغصّ

بالمفروشات الجميلة الناعمة، وبالمساند الأرضية، وكان بعضها مزيناً بشرّابات مذهّبة، فيما كان البعض الآخر قماشاً مجرداً. وكان هناك ديوان دمشقي واسع وهو غرفة من النوع الذي يجلس فيه الناس وأقدامهم في حضونهم متناولين الشاي في مكعبات من السكر، ويتكلمون بأصوات مبحوحة، كان يمكن أن يحدث أي شيء في هذه الغرفة ما عدا العمل.

اتخذ السيد لندساي ماريوت له موضعاً قرب التواءة البيانو الكبير، وانحنى يشم الوردة الصفراء ثم فتح علبة سجائر فرنسية لمّاعة، وأشعل سيجارة طويلة سمراء ذات عقب مذهّب.

جلست على كنبة حمراء وخفت أن أترك أي أثر عليها. أشعلت سيجارة «كامل»، ونفخت الدخان عبر أنفي وتطلعت الى قطعة معدنية سوداء لمّاعة على الرف. حدقت فيها ورآني ماريوت محدقاً فقال بتهاون: «انها قطعة مهمة. لقد ابتعتها منذ أيام قليلة. انها تدعى «روح الفجر»، للفنانة آستا ديال».

قلت: «لقد خلت انها «مسماران على فخذ» للفنان كلوبشتاين».

ظهر على ملامح لندساي ماريوت وكأنه ابتلع نحلة. حاول جاهداً ابتلاع الملاحظة.

قال: «يبدو انك تمتلك حساً غريباً بالمزاح».

ـ «لا أقول غريباً إنما غير مكبوت».

ـ «فهمت»، قال ببرودة وتابع، «أجل، طبعاً، لا شك عندي في هذا... حسناً، ما أردت رؤيتك في شأنه هو في الواقع مسألة ضئيلة الأهمية. ولا تستأهل ربما عناء مجيئك الى هنا.

سألتقي هذه الليلة رجلين لأدفع لهما بعض المال. فكرت انه من المستحسن أن يصحبني أحد ما. هل تحمل مسدساً؟».

قلت: «في الأوقات المناسبة، أجل».

ـ «لا أريدك أن تحمل أي شيء من هذا القبيل. انها مجرد عملية تجارية».

قلت: «نادراً ما يحصل أن أطلق النار على شخص ما. هل هي عملية ابتزاز؟».

عبس قائلاً: «بالطبع لا. لست من النوع الذي يسمح لأحد بابتزازه».

ـ «هذه الأشياء تحصل مع أحسن العائلات، لا بل معها بشكل خاص».

لوح بسيجارته بازدراء. عكست عيناه الزرقاوان ارتياباً، إلا أن شفتيه ابتسمتا. ابتسامة تماشي نعومة شاله.

نفخ سحابات من الدخان ثم لوى رأسه الى الخلف مما كشف عن خطوط رقبته الدقيقة والناعمة. ثم هبطت عيناه وتفحصني.

ـ «سوف ألتقي هذين الرجلين في أقرب تقدير في مكان منعزل. لست أعرف بعد أين. أنا أتوقع اتصالاً منهما لإبلاغي التفاصيل وعندها يجب أن أستعد للمغادرة على الفور. لن يكون المكان بعيداً جداً من هنا، هكذا تمّ الاتفاق».

ـ «كم مضى على ترتيبك هذا اللقاء؟».

ـ «في الحقيقة ثلاثة أو أربعة أيام».

ـ «لقد تأخرت كثيراً في البحث عن مرافق حارس».

فكر في هذا، ثم انتشل قشة صغيرة من سيجارته: «هذا صحيح، لم أستطع أن أقرر هذا الأمر بسهولة. من الأفضل أن أذهب وحدي، على الرغم من أننا لم نتفق بالتحديد على هذه المسألة. ومن جانب آخر لست بذاك البطل».

ـ «انهم يعرفونك بالهيئة طبعاً، أليس كذلك؟».

ـ «لست ـ لست متأكداً. سأحمل مبلغاً ضخماً من المال. وهذا المال ليس ملكي. إني أقوم بهذا العمل خدمة لصديق، ولهذا ليس في مقدوري التفريط به».

نفضت سيجارتي وتراجعت متكئاً على الكنبة الحمراء، ورحت أحرّك إبهامي: «كم هو المبلغ الذي تحمله؟ وما الغرض من المسألة؟».

ـ «حسناً، في الواقع...»، أصبحت ابتسامته لطيفة الآن، غير أني لم أحبها، «لا أستطيع أن أطلعك على هذه التفاصيل».

ـ «آه. أنت تريدني فقط أن أرافقك لأمسك لك يدك...».

انتفضت سيجارته مجدداً بعصبية وسقط بعض رمادها على كمّ سترته البيضاء. نفضه وحملق حيث كان سقط الرماد ثم انبرى قائلاً: «أخشى أن أقول اني لا أحب أسلوبك في العمل». وكانت نبرته حادة بعض الشيء.

قلت: «لطالما احتجّوا على أسلوبي هذا، لكن يبدو أن لا شيء ينفع معي. دعنا نراجع هذه المسألة قليلاً. تريد مرافقاً حارساً ولا تقبل أن يحمل مسدساً. تريد مساعداً ولا ترغب أن يعرف ما هو نوع المساعدة التي سيقوم فيها. تريدني أن أجازف بحياتي من غير أن أفقه لماذا وما السبب، أو ما نوع الخطورة التي تنتظرني. ما الذي تعرضه عليّ مقابل كل هذا؟».

- «في الواقع لم أفكر جدياً في هذه المسألة». قال هذا وقد احمرّت وجنتاه.

- «هل في مقدورك أن تفكر الآن في هذه المسألة؟».

إنحنى الى الأمام بدلال وابتسم كاشفاً أسنانه.

- «ما رأيك بلكمة سريعة على أنفك؟».

وقفت عابساً، اعتمرت قبعتي ومشيت عبر السجّادة في اتجاه الباب الخارجي ولكن على مهل.

سمعت صوته من وراء ظهري: «إني أعرض عليك مئة دولار مقابل بضع ساعات من وقتك. إن كان هذا لا يكفيك، صارحني ليس هناك أدنى مجازفة. لقد سلب أحد أصدقائي في عملية سرقة وأنا أحاول أن أعيد شراء المجوهرات المسروقة خدمة له. ولاداعي لحساسيتك المفرطة».

عدت الى الكنبة الحمراء وقعدت من جديد.

قلت: «حسناً، أخبرني ما القصة؟».

حدّقنا الى بعضنا بعضاً ما يقارب العشر ثوانٍ وسألني ببطء بعدما أشعل مجدداً احدى سجائره السمراء: «هل سمعت أبداً بحجر اليشب الكريم من نوع «فيو تسيو»؟».

- «لا».

- «انه النوع الوحيد المهم في هذا الصنف من الأحجار الكريمة. الأنواع الأخرى قيّمة الى حد ما بالنسبة لنوعها لأن قيمتها تتأتى من زخرفتها. كل الكمية المتوافرة من هذا النوع استهلكت منذ مئات السنين. إن صديقة لي تملك عقداً يتألف من ستين خرزة تزن كل منها ستة قراريط، وهي محفورة

بشكل رائع. ان ثمنه يبلغ نحو الثمانين أو التسعين ألف دولار. الحكومة الصينية تملك عقداً آخر أكبر بقليل ويثمّن بمئة وخمسة وعشرين ألف دولار. لقد سرق عقد صديقتي منذ أيام أثناء عملية سلب. كنت حاضراً آنذاك ولم أستطع أن أفعل شيئاً. كنت في صحبة صديقتي الى حفل مسائي وبعدها الى التروكاديرو وكنا في طريق العودة الى منزلها حين اصطدمت سيارة بمقدم سيارتي الأيسر فتوقفت وخطر لي انه ينوي الاعتذار. ولكنه عوضاً عن هذا تعرضنا لعملية سلب سريعة ومنظمة. كانوا ثلاثة أو أربعة رجال، أنا رأيت في الواقع اثنين فقط. لكني متأكد أن واحداً منهم بقي في السيارة وراء المقود، وأظن اني لمحت واحداً رابعاً خلف زجاج النافذة الخلفية. كانت صديقتي تعلق في عنقها عقدها اليشب. سلبوها إياه مع خاتمين وإسوارة. كان أحدهم وأعتقد انه قائدهم يفتش ويتفحّص الأشياء غير مستعجل البتة وبواسطة مشعل كهربائي. ثم أعاد الينا أحد الخاتمين وقال ان هذا يعطينا فكرة ما عن نوع الأشخاص الذين نتعامل معهم، وأن ننتظر مكالمة هاتفية منهم قبل الاتصال بالشرطة أو إعلام شركة التأمين. وهكذا أطعنا تعليماتهم. أظن ان هناك الكثير من الحوادث المشابهة. تكتم القضية وتدفع فدية وإلا لن ترى جواهرك على الاطلاق. وإذا كانت الجواهر مؤمنة كلياً فلن تأبه، ولكنها إذا كانت نادرة الوجود فيبدو من الأفضل لك دفع فدية».

أطرقت موافقاً وقلت: «وهل هذا العقد هو من النوع النادر».

مرر إصبعاً عبر صفحة البيانو المصقولة، وبنظرة حالمة وكأنما مستمتعاً بملمسه.

ـ «انه نادر جداً. ليس له مثيل. ما كان ينبغي أن تعلقه أبداً. لكنها امرأة مستهترة كانت المسروقات الأخرى قيّمة وإنما عاديّة».

ـ «فهمت. ما هو المبلغ الذي ستدفعه؟».

ـ «ثمانية آلاف دولار. انه مبلغ زهيد. ربما لا تستطيع صديقتي الحصول على واحد مثله، ولكن سيجد هؤلاء اللصوص صعوبة أكبر في التخلص منه. الكل في هذه التجارة يعرفه تقريباً وفي كل البلاد».

ـ صديقتك هذه، هل لديها اسم؟».

ـ «أفضل أن لا أكشفه الآن».

ـ «ما هي الاجراءات المتفق عليها؟».

نظر إلي بعينيه الشاحبتين، خطر لي انه خائف بعض الشيء، لكني لم أكن أعرفه معرفة جيدة. قد تكون هذه عادة لديه. كانت اليد التي تمسك السيجارة السمراء ترتجف باستمرار.

ـ «لقد تفاوضنا عبر الهاتف طوال عدة أيام، وكنت أنا الوسيط. اتفقنا على كل الأمور ما عدا موعد ومكان اللقاء. سنتلاقى في وقت ما هذه الليلة. سوف أتلقى مكالمة تحدد لي المكان. قالوا انه لن يكون بعيداً ويجب أن أكون مستعداً للمغادرة على الفور. أعتقد انهم يتصرفون على هذا النحو كي لا أهيىء لهم فخاً. أعني بواسطة الشرطة».

- «فهمت. هل الأموال التي ستدفعها موسومة بعلامة؟ أظن انك تدفع نقداً، أليس كذلك؟».

- «بالطبع نقداً. أوراق من فئة العشرين دولاراً. لا ليست معلّمة، لماذا ينبغي أن تكون كذلك؟».

- «يمكن القيام بذلك كي يكون في وسع الشرطة تقصّيها بواسطة الضوء الأسود. هذا هو السبب الرئيسي لذلك. الشرطة تسعى باستمرار للقبض على هذه العصابات، ويمكن ذلك عبر أساليب من هذا النوع. يحصل أن يعثروا على قسم ما من هذه الأموال مع أحد أصحاب السوابق».

ضغط حاجبيه مستغرقاً في التفكير: «أعتقد أني لا أعرف ما هو الضوء الأسود».

- «انه الضوء ما فوق البنفسجي. انه يجعل بعض أنواع الحبر المعدنية تشع في العتمة. أستطيع أن أقوم لك بهذا إن كنت ترغب».

قال باقتضاب: «أخشى ان الوقت غير مناسب الآن».

- «إن هذا هو أكثر ما يقلقني في المسألة».

- «لماذا؟».

- «لماذا لم تتصل بي قبلاً؟ ولماذا اخترتني؟ ومن نصحك بي؟».

ضحك. كانت ضحكته صبيانية الى حدما: «حسناً، في الواقع ينبغي أن أعترف انني اخترت اسمك عشوائياً من دليل الهاتف. أترى أنا لم أكن أنوي أبداً أن أصطحب أحداً معي. ولكني عدت وفكرت ما بعد الظهيرة وقلت، لم لا؟».

أشعلت من جديد إحدى سجائري وراقبت عضلات عنقه: «ما هو المخطط؟».

بسط يده وقال: «المخطط بسيط. أن أتوجه الى حيث يحددون لي، أن أسلّم المال وأستلم العقد اليشب».

- «فهمت».

- «إنك مغرم بهذه العبارة!».

- «أية عبارة؟».

- «فهمت».

- «أين سأكون إبّان اللقاء. أفي المقعد الخلفي من السيارة؟».

- «أتصور هذا. انها سيارة كبيرة. يمكنك الاختباء بسهولة في الخلف».

قلت متمهلاً: «إسمع. أنت تخطط للخروج مصطحباً إياي مختبئاً في السيارة الى وجهة ستحدد لك على الهاتف في وقت ما هذه الليلة. وستحمل ثمانية آلاف دولار نقداً من المقرر أن تستبدلها بعقد تبلغ قيمته عشرة أضعاف هذا المبلغ أو أكثر، وما ستحصل عليه سيكون ربما رزمة لن يسمحوا لك بفتحها، هذا إن حصلت على مطلق شيء. أغلب الظن انهم سيستولون ببساطة على مالك، أن يتأكدوا من المبلغ في مكان آخر، ثم يبعثون اليك العقد بواسطة البريد، هذا إن شعروا عندئذ بكرم أخلاق. لا شيء يمنعهم من خداعك. بالطبع لا أستطيع منعهم عن القيام بهذا. انهم محترفون من دون رحمة. قد يضربونك على رأسك - ضربة خفيفة - لما يكفي لتأخيرك الى أن يبتعدوا».

- «أجل، في الواقع أنا خائف بعض الشيء من أمر كهذا»، ردد هذا بخفوت وومضت عيناه وتابع «ربما لهذا أردت اصطحاب أحد ما معي».

- «هل وجهوا اليك المشعل الكهربائي حين هاجموكما؟».

هز رأسه قائلاً، لا.

- «هذا ليس بذي أهمية. لابد انه تسنت لهم أكثر من دزينة من الفرص لمشاهدتك منذ ذلك الحادث. وربما كانوا يعرفون كل شيء عنك قبل قيامهم بالعملية. عموماً هذه العمليات يخطط لها مسبقاً هل تخرج غالباً مع هذه السيدة؟».

ردّ متضايقاً: «في الواقع ليس كثيراً».

- «هل هي متزوجة؟».

أجاب بحدة: «اسمعني جيداً. فلندع السيدة خارج هذه القضية كلياً».

قلت: «حسناً. ولكن إن ازددت اطلاعاً على المسألة فسأتمكن من التصرف بطريقة أفضل. ينبغي أن أنسحب من هذه القضية يا ماريوت. حقيقة يجب أن أفعل. ان كان هؤلاء الفتيان ينوون اللعب بطريقة شريفة، فأنت لست في حاجة إلي. وإن كانوا ينوون المخادعة فلن يكون في وسعي التصرف ومنعهم».

قال بسرعة: «كل ما أريد هو أن تصحبني».

هززت كتفي وبسطت يدي مذعناً بلامبالاة. وقلت: «حسناً. ولكن أنا من يقود السيارة ويحمل المال - وأنت من

سيختبىء في المؤخرة. لنا الطول نفسه، ولو اكتشفوا الأمر فسنطلعهم ببساطة على الحقيقة. لن نخسر شيئاً بهذا».

قال عاضاً شفته: «لا».

ـ «ما دمت سأحصل على مئة دولار من غير أن أفعل شيئاً. فليكن أنا من سيغمى عليه، إن كان لابد من هذا».

تجهم وهز رأسه موافقاً، ولكن بعد وقت طويل انشرح وجهه ببطء وابتسم.

قال ببطء: «جيد جداً. ليس هذا بالأمر المهم. سنذهب معاً. ما رأيك بجرعة من البراندي؟».

ـ «جيد. ويمكنك أيضاً أن تحضر معك المئة دولار. أحب أن أتحسس المال».

تحرك مبتعداً مثل راقص من غير أن يتحرك جسمه في القسم المرتفع فوق الخصر.

رن جرس الهاتف فيما كان على وشك الخروج من الغرفة. كان الهاتف موضوعاً في فجوة المكتبة الصغيرة داخل غرفة الجلوس. لم تكن بأية حال المكالمة التي كنا ننتظرها. بدأ يتحدث برقة.

عاد بعد فترة متراقصاً بقنينة مارتيل ذات الخمس نجوم، وبخمس أوراق من فئة العشرين دولاراً. وذلك ما جعل الأمسية ممتازة ـ حتى الآن.

ـ ٩ ـ

كان المنزل هادئاً إلى أقصى الحدود. من بعيد تناهت

أصوات كان يمكن أن تكون لأشرعة متلاطمة، أو سيارات منزلقة عبر الأوتوستراد، أو صوت الريح في أشجار الصنوبر. وبالطبع هدير انكسارات الأمواج في البعيد. جلست هناك منصتاً مستغرقاً وممعناً في التفكير لوقت طويل.

رن الهاتف أربع مرات خلال الساعة والنصف التالية. ثم تلقينا المكالمة الأهم تماماً الساعة العاشرة وثماني دقائق. تحدث ماريوت باقتضاب بصوت خفيض جداً. ثم وضع السماعة بسكون ووقف بتردد. بدا وكأنه هرم فجأة. كان الآن مرتدياً بدلة قاتمة. عاد صامتاً عبر الغرفة وصب لنفسه جرعة كبيرة من قنينة البراندي. رفعها بمواجهة الضوء لوهلة، ابتسم بضيق ابتسامة غريبة، ثم أدار الكأس بسرعة ورفع رأسه الى الخلف ليصبّها في حلقه.

- «حسناً. لقد اتفقنا. هل أنت جاهز يا مارلو؟».

- «لم أكن غير ذلك طوال العشية. إلى أين سنتوجه؟».

- «إلى مكان يدعى وادي بيوريسيما».

- «لم أسمع بهذا المكان من قبل».

- «سأحضر خارطة»، ثم أحضر واحدة وفرشها بسرعة وانحنى فوقها وقد التمع ضوء في شعره النحاسي وفجأة أشار بإصبعه. كان المكان يقع بين مجموعة من الوديان الضيقة الواقعة وراء منحدر تلة البولفار الذي ينعطف في اتجاه المدينة من أوتوستراد الشاطىء شمال باي سيتي. تصورت الموقع بضبابية، ولا شيء أكثر. بدا لي انه يقع عند نهاية الشارع المدعو كامينو دو لاكوستا.

لاحظ ماريوت بسرعة: «لن يلزمنا أكثر من اثنتي عشرة

دقيقة لنصل الى هناك. يستحسن أن ننطلق.. لدينا فقط عشرون دقيقة كحد أقصى».

ناولني المعطف الفاتح اللون مما يجعلني هدفاً ممتازاً. ولقد ناسبني جيداً. اعتمرت قبعتي، وكنت أحمل مسدساً تحت إبطي، ولكنني لم أكن قد كشفت عن وجوده له.

بينما ارتديت المعطف، كان يتحدث بخفوت وبنبرة عصبية، ويرقّص بين يديه المغلف الذي احتوى الآلاف الثمانية.

- «يقول ان هناك حافة مرتفعة عند النهاية الداخلية لوادي بيوريسيما. وان هذه الحافة يمسكها عن الطريق سياج أبيض مربع. ولكن يمكننا أن نتسلل عبره. ثم نهبط طريقاً قذرة تؤدي الى واد صغير، ويتوجب علينا أن ننتظر هناك مطفئين مصباحي السيارة. لا بيوت في الجوار».

- «أنت تتحدث بصيغة المثنى؟».

- «أجل، أعني أنا وحدي في الواقع».

- «آه. فهمت».

ناولني المغلف، فتحته ونظرت الى ما في داخله، كان هناك، كما هو متوقع، مبلغ كبير من المال. لم أعدّه. لففت الشريط المطاطي حوله مجدداً وحشرت المغلف داخل معطفي.

توجهنا الى الباب وأطفأ ماريوت كل الأضواء. فتح باب المدخل بحذر وتطلع بحذر في الضباب. خرجنا ونزلنا الدرج الحلزوني الى الشارع ونحو المرآب.

كان المساء ضبابياً كما هو على الدوام في العشيات. وكان عليّ أن أشغّل المساحات لفترة. كانت السيارة الضخمة

والغريبة تسير وحدها، ولكني أمسكت المقود فقط من أجل الشكليات.

بقينا قرابة الدقيقتين نتلوى ذهاباً وإياباً عبر سفح الجبل، حتى انبثقنا بصخب تماماً قرب المقهى الجانبي. وفهمت عندها لماذا نصحني ماريوت بتسلق الدرجات. كان يمكن أن أقود عبر كل تلك المنعطفات والشوارع الملتوية طوال ساعات من غير أن أتقدم مسافة تزيد على فسحة دودة داخل علبة سردين.

على الأتوستراد شكلت الأضواء المترقرقة من السيارات العابرة في الاتجاهين شعاعين صلبين. كانت الشاحنات الضخمة تتسلق هادرة في اتجاه الشمال مزينة بمصابيح خضراء وصفراء معلّقة. بعد ثلاث دقائق تركنا الأوتوستراد الى داخل الجوار، عبرنا محطة وقود وانجرينا ملتويين بين مجموعة تلال.

عاودني الهدوء. كانت المساحة توحي بالعزلة وغمرتها رائحة الأعشاب البحرية، والقصعين البرّي من ناحية التلال. كنت ألمح بين الوقت والآخر نافذة صفراء متوحدة مثل برتقالة أخيرة. كانت السيارات تعبر وترش الرصيف بالضوء الأبيض البارد، ثم تهدر متوارية في العتمة من جديد. كانت حفنات من الضباب تطارد النجوم عبر السماء.

انحنى ماريوت الى الأمام من المقعد الخلفي المظلم وقال: «هذه الأضواء الى الميمنة هي أضواء نادي شاطىء بيليفردي. الوادي التالي هو وادي لاس بولفاس والذي يليه هو وادي بيوريسيما. سنعطف الى اليمين عن ذروة التلة الثانية». كان صوته متوتراً وخامداً.

همهمت وتابعت أقود قائلاً: «أبق رأسك منخفضاً، قد نكون مراقبين طوال الطريق فسيارتك هذه العجيبة أكثر حماقة من نعامة، إن تعلق الأمر بالاختباء. قد لا يعجب أولئك الفتيان أن يجدوك مع توأم لك».

انحدرنا عبر زقاق داخل نهاية واد ثم صعوداً الى أرض مرتفعة ومجدداً نزولاً، مجدداً ومجدداً. ردد ماريوت في أذني بصوته المكبوت:

- «في الشارع التالي الى اليمين. عند المنزل ذي البرج المربع. انعطف من هناك».

- «هل ساعدتهم أنت في اختيار هذا المكان؟».

قال وهو يضحك بوجوم: «هذا صعب بعض الشيء، ولكني أعرف جيداً هذه الوديان».

انزحت بالسيارة الى اليمين مجتازاً زاوية المنزل المذكور. فانفرش ضوء المصباحين لحظة على شارة طريق وقرأت: «كامينو دو لاكوستا». هبطنا بعدها منحدرين في جادة واسعة انتشرت بموازاتها أعمدة مصابيح كهربائية غير منجزة وأعشاب برية. وكأنها حلم تاجر عقارات تحول الى آثار تنقّ في ظلمتها الضفادع العملاقة. كانت سيارة ماريوت ساكنة الى حد أني كنت أسمع ذلك.

كان هناك منزل من طبقة واحدة، ثم منزل من طبقتين وبعدهما لا منازل اطلاقاً. كانت نافذة غربية أو اثنتان لاتزالان مضاءتين، ولكن بدا أن الناس في هذه المنطقة كانوا ينامون مع الدجاج. ثم انتهت الجادة المعبّدة بغتة ودخلنا طريقاً بدائياً قاسياً كالاسمنت بفعل الطقس الجاف. ضاقت الطريق

البدائية وانحدرت ببطء الى أسفل التلّ بين جدران من الأجم. كانت أضواء نادي شاطىء بيليفردي معلّقة في الهواء الى اليمين، وبعيداً في المقدمة رأيت ومض مياه مترقرقة. كان هناك سياج بموازاة الطريق البدائي وتكلم ماريوت من خلف كتفي مجدداً:

ـ «لا أعتقد ان في استطاعتك العبور خلالها. تبدو الفسحة غير كافية».

أطفأت المحرك الصامت، ونوّصت أضواء السيارة وبقيت جالساً هناك منصتاً. انعدمت الأضواء كلياً وخرجت من السيارة. كانت صراصير الليل قد توقفت عن السقسقة، ولفترة قصيرة كان الصمت بالغاً الى درجة أني استطعت سماع إطارات السيارات على الأتوستراد عند أسفل التل الى مسافة ميل. ثم بدأ مجدداً صرصار ليلي الى أن غصّ الليل بها.

همست في اتجاه المقعد الخلفي من السيارة: «إبق ساكناً. سأنزل الى هناك وألقي نظرة».

تحسست مسدسي داخل المعطف وتقدمت. كانت المسافة بين الدغل ونهاية السياج الأبيض أكبر مما بدت من داخل السيارة. كان أحدهم قد حطم قسماً من أغصان الدغل مفسحاً معبراً، ورأيت آثار عجلات على التراب. يحتمل انها لشبان وشابات كانوا يقصدون المكان للمعانقة في الأيام الدافئة. اجتزت السياج. انحدرتْ الطريق ثم انعطفت. في الأسفل كانت ظلمة وصوت للبحر بعيد وغير واضح، وكانت أيضاً أضواء السيارات على الأتوستراد. تابعت متقدماً وانتهت الطريق الى تجويف عميق يحيط به دغل متشابك.

كان التجويف فارغاً وظهر أن لا طريق اليه غير السبيل الذي كنت سلكته. وقفت هنا صامتاً أتنصت.

مرت الدقائق بطيئة ولكني بقيت منتظراً مطلق صوت جديد. لم أسمع أي صوت. بدا كما لو أن التجويف كان ملكي كلياً.

تطلعت الى البعيد الى نادي الشاطىء المضاء. كان في وسع رجل ما أن يراقب جيداً هذه البقعة من نوافذه العليا بواسطة منظار مقرّب. في مقدوره أن يرى اقتراب أو ابتعاد سيّارة، وأن يرى من خرج منها، إن كانوا مجموعة رجال أو رجلاً واحداً. إن كنت قاعداً في غرفة مظلمة في حوزتك منظار ليلي قوي، يمكنك رؤية تفاصيل لا يمكن أن تخطر لك البتة.

استدرت لأصعد التلة من جديد، فزعق صرصور ليلي من قعر الدغل وجعلني أقفز من مكاني. تابعت صاعداً حول المنعطف ومجتازاً السياج الأبيض. أيضاً لم يحصل شيء. ربضت السيارة السوداء ملتمعة بشحوب في عتمة ما حيث لم تكن الظلمة ولا الضوء. توجهت اليها ووضعت يدي على الحافة الى جانب مقعد السائق.

ـ «يبدو انه اختبار»، قلت بانقطاع النفس ولكن بصوت مرتفع يسمح لماريوت القاعد على المقعد الخلفي سماعي، «انها تجربة ليختبروا إن كنت تطيع الأوامر».

كانت هناك حركة غريبة في الخلف لكنه لم يرد. ثم ابتعدت لأتفحص شيئاً ما قرب الشجيرات. كنت في وضعية ممتازة لتلقي ضربة على الرأس. وهذا ما حصل بالفعل. خطر لي

بعدئذ أني سمعت هفيف الهراوة. يخالجنا هذا دائماً ـ في ما بعد.

ـ ١٠ ـ

قال صوت: «أربع دقائق. ربما ست. لابد انهم تصرفوا بسرعة وبصمت. لم يلفظ حتى صرخة».

فتحت عيني ونظرت مشوشاً الى التماعة نجمة باردة. كنت ممدداً على ظهري وشعرت أني مريض.

قال الصوت: «ربما استغرقهم ذلك وقتاً أكثر بقليل. ربما ثماني دقائق كوقت اجمالي. لابد انهم كانوا مختبئين داخل الدغل تماماً حيث توقفت السيارة. لقد ارتعب ذلك الفتى بسهولة. لابد انهم سلطوا الى وجهه مشعلاً كهربائياً فغاب عن الوعي للتو خوفاً. يا له من مخنّث!».

حل صمت، استندت على ركبة واحدة اندفع الوجع من مؤخر رأسي الى ركبتي.

وتابع الصوت: «ثم صعد أحدهم الى السيارة وانتظر عودتك بينما اختبأ الآخرون مجدداً. لابد انهم توقعوا انه سيخاف أن يأتي بمفرده أو أن نبرة ما في صوته جعلتهم يرتابون فيه حين حدّثوه على الهاتف».

توازنت دائخاً على باطن يدي مستمعاً.

قال الصوت مجدداً: «أجل هكذا حدث الأمر».

لقد كان هذا صوتي. كنت أتحدث الى نفسي وأنا أعود الى الوعي. كنت أحاول تخيّل حصول الأمر في لا وعيي.

قلت: «أقفل فمك أيها الغبي» وتوقفت عن التحدث الى نفسي.

من بعيد خرير المحركات، وفي مسافة أقرب سقسقة الصراصير الليلية والنقيق الشاذ المتواصل لضفادع الأشجار. وخطر لي أني لن أحب هذه الأصوات بعد اليوم.

رفعت يدي عن الأرض وحاولت انتزاع تحلّب القصعين اللزج عنها، ثم مسحتها بجانب معطفي. لقد قمت بعمل ممتاز مقابل المئة دولار. قفزت يدي الى جيب سترتي الداخلي، وكانت المحفظة لاتزال هناك، وتساءلت إن كانت المئة دولار خاصتي لاتزال فيها. ربما لا. وسقط شيء ما ثقيلاً على ضلوعي اليسرى، كان المسدس الذي حملته تحت كتفي.

كانت هذه مبادرة لطيفة من قبلهم. لقد تركوا لي مسدسي. مبادرة لطيفة كمثل إغماض عيني رجل بعد طعنه بالخنجر.

تحسست مؤخر رأسي وكنت لأزال معتمراً قبعتي. رفعتها متألماً وتحسست رأسي تحتها. رأسي القديم الطيب، لقد امتلكته منذ زمن طويل. كان الآن طرياً، ليّناً بعض الشيء، وموجعاً عند اللمس. لقد كانت الضربة خفيفة. قد تكون القبعة ساعدت في تخفيفها. مازال في مقدوري استخدام رأسي. في مقدوري استخدامه سنة أخرى في مطلق الأحوال.

وضعت يدي اليمنى مجدداً على الأرض، ورفعت اليسرى وأدرتها حتى استطعت رؤية الساعة فيها. أشارت العقارب المضيئة الى الساعة ١٠,٥٦.

كنا تلقينا المكالمة عند الساعة ١٠,٠٨ وتحدث ماريوت معهم على مدى دقيقتين تقريباً. ولزمنا ما يقارب الأربع دقائق لنغادر المنزل. الوقت يمضي بطيئاً إبان القيام بعمل ما. أعني في مقدورك القيام بتحركات كثيرة في دقائق قلائل. هل هذا ما أعنيه. اللعنة، ماذا يهمني في الذي أعنيه؟. حسناً، لقد عنى رجال أهم مني أقل مما عنيت. حسناً، ما أقصده هو أن الساعة كانت عندها لنقل ١٠,١٥. كان المكان يبعد حوالى ١٢ دقيقة، أي وصلنا اليه ١٠,٢٧. ثم خرجت من السيارة ونزلت الى الحفرة وأمضيت على الأكثر ثماني دقائق متسكعاً وعدت لأتلقى ضربة على رأسي عند الساعة ١٠,٣٥. أعطني دقيقة لأسقط وأقبل بوجهي الأرض. وعرفت هذا لأني خدشت ذقني. أنا أشعر بهذا، ولهذا أعرف انه مخدوش. لا، ليس في وسعي أن أراه. ليس مهماً أن أرى الخدش. انه ذقني وأنا أعرف إن كان مخدوشاً أم لا. آه أنت تريد افتعال مشاجرة. حسناً أقفل فاك ودعني أفكر. أفكر بواسطة ماذا؟...

أشارت الساعة الى ١٠,٥٦. وهذا يعني أني بقيت فاقد الرشد عشرين دقيقة.

غفوت عشرين دقيقة. جرعة لابأس بها. خلال ذلك الوقت أخفقت في القبض على عصابة وفقدت ثمانية آلاف دولار. حسن، لِمَ لا؟ قد تستطيع خلال عشرين دقيقة إغراق سفينة حربية، إسقاط ثلاث أو أربع طائرات، وإعدام رجلين. يمكنك أن تموت، أن تتزوج، أن تطرد وتجد وظيفة جديدة، أن يُقتلع ضرسك أو تستأصل لوزتاك. يمكنك خلال هذا الوقت أن

تنهض في الصباح. ويمكنك ربما أن تحتسي كأساً في ملهى ليلي.

غفوة دامت عشرين دقيقة. هذا وقت طويل خصوصاً في ليلة باردة وخارجاً في العراء. بدأت أرتجف.

كنت لاأزال راكعاً على ركبتيّ. وبدأت أتضايق من رائحة القصعين. النحل يستخلص عسله من التحلّب اللزج. العسل حلو الطعم، شديد الحلاوة. خفقت معدتي. ضغطت أسناني واستطعت منع نفسي من الاستفراغ. تسمرت نقاط عرق باردة على جبهتي، ولكني ارتجفت مرتعشاً. نهضت على رجل واحدة ثم على رجلين، استقمت متمايلاً بعض الشيء. أحسست كما لو أن رجلي مبتورةٌ.

استدرت ببطء، لم تكن السيارة هناك. امتدت الطريق البدائية مقفرة. وعدت متسلقاً التلة الحادة في اتجاه الشارع المعبد عند نهاية شارع كامينو دو لاكوستا. الى اليسار ارتفع السياج الأبيض المربع في مواجهة الظلام. ووراء جدار الدغل الخفيض كان توهج السماء الباهت تحدثه ربما أضواء باي سيتي. وفي البعيد الى اليمين كانت تشع أضواء نادي بيليفردي.

توجهت الى حيث كانت السيارة، وقفت وانتشلت من جيبي مصباحي الذي هو على شكل قلم وسلطت شعاعه الصغير في اتجاه الأرض. كان التراب طفالاً أحمر وقاسياً جداً في الطقس الجاف، لكن الطقس لم يكن جافاً كثيراً. كان هناك ضباب قليل من الهواء، وما يكفي من الرطوبة على صفحة التربة لإظهار المكان الذي وقفت فيه السيارة.

استطعت أن أرى بصعوبة آثار الاطارات الثقيلة والغريبة الطراز. وجّهت الضوء نحو الاثر وانحنيت وجعلني الألم أشعر بدوار في رأسي. انطلقت اتقفى آثارها التي استمرت مستقيمة حوالى الأربعة أو الخمسة أمتار ثم انعطفت الى اليمين. اتجهت نحو الفتحة عند نهاية السياج الأبيض ثم تلاشت.

توجهت الى السياج الأبيض ووجهت النور نحو الدغل فبدا لي تكسر الأغصان حديث العهد. مررت عبر الفتحة وهبطت عابراً منعطف الطريق. كانت الأرض أكثر طراوة هناك ورأيت آثار العجلات أشد عمقاً. تابعت منحدراً واجتزت المنعطف ووصلت الى حافة الحفرة المسورة بالدغل.

لقد كانت هناك بالفعل. كان طلاؤها اللماع والكرّوم الذي فيها يشعان قليلاً على الرغم من الظلمة، وعكس زجاج الشارة الخلفية الأحمر شعاع مصباحي الصغير. كانت هناك ساكنة، مطفأة وكل أبوابها مغلقة. تقدمت نحوها متمهلاً ضاغطاً أسناني مع كل خطوة. فتحت أحد البابين الخلفيين ووجهت شعاع مصباحي الكهربائي الى جوفها. كانت فارغة. كان المقعد الأمامي فارغاً أيضاً. كانت المصابيح مطفأة أيضاً وتدلى المفتاح من القفل في سلسلة رفيعة. لم يكن أيّ مقعد ممزقاً، أو أي زجاج مجرحاً، لا دماء ولا جثث. كان كل شيء مرتباً وفي وضعه الطبيعي. أقفلت الأبواب ودرت حول السيارة ببطء بحثاً عن أي علامة، فلم أجد شيئاً.

سمّرني صوت انبعث فجأة.

هدر محرك فوق حافة الدغل، فقفزت من مكاني أقل من خطوة. انطفأ ضوء المصباح في يدي. انسل المسدس الى يدي

وحده. انبثق شعاع مصباحين كشافين وانتشر في الفضاء ثم انخفض مجدداً. بدا صوت محرك سيارة صغيرة. كان هانئاً كصوت تحمله رطوبة في الطقس.

انخفض ضوء الكشّافين وشع أكثر. كانت سيارة منحدرة حول منعطف الطريق البدائية. تقدمت ثلثي المسافة ثم توقفت. واندلع شعاع كشّاف نقال الى جانبها، وبقي منيراً البقعة فترة طويلة، ثم انطفأ. انحدرت السيارة مجدداً على التلة. سحبت المسدس من غمده وركعت مختبئاً وراء مقدم سيارة ماريوت.

انحدرت سيارة صغيرة مكشوفة غير متميزة الشكل أو اللون، ودخلت الحفرة واستدارت بحيث أنار كشّافاها سيارة ماريوت بأكملها. أخفضت رأسي بعجلة وانجرف الضوء فوق رأسي مثل ضربة سيف. توقفت السيارة وانطفأ محركها. ثم انطفأ كشافاها، فتح الباب ووطأت قدم خفيفة الأرض. حل بعدها صمت شديد، حتى صراصير الليل صمتت. شقّ بعدها شعاع من الضوء العتمة، كان تقريباً بمحاذاة الأرض على علو بضعة سنتيمترات. انتشر الشعاع وكنت عاجزاً عن ابعاد ركبتي من طريقه بسرعة كافية. توقف الشعاع على قدمي، وكان صمت. ثم ارتفع مجدداً وكشف غطاء السيارة.

فجأة انفجرت ضحكة. كانت ضحكة فتاة. ضحكة متوترة كوتر الماندولين. كان بالتأكيد صوتاً شاذاً في ذاك المكان بالذات. انحدر الشعاع الأبيض مجدداً الى أسفل السيارة واستقر على قدمي.

قال الصوت صائحاً تقريباً: «حسناً أنت، أخرج من هناك

مرفوع اليدين ومن الأفضل أن تكونا فارغتين. إني مصوّبة اليك مسدساً».

لم أتحرك.

ترنح الشعاع قليلاً كما لو أن اليد التي أمسكته لوّحت، ثم صوبته في اتجاه غطاء السيارة مرة جديدة. زجرني الصوت مرة أخرى قائلاً:

- «اسمع أيها الغريب. أنا أحمل مسدساً أوتوماتيكياً بعشر طلقات. أستطيع أن أطلق النار مباشرة. لأني أرى قدميك بوضوح. ماذا تحاول أن تفعل؟».

- «أبعدي مسدسك وإلاّ فجرته في يدك»، صرخت مزمجراً كمن يقتلع رأس دجاجة حيّة.

- «آه، لدينا هنا رجل صلب المراس». وكان صوتها قد أصبح متهدجاً. «هل ستخرج؟ سأعدّ الى ثلاثة. إني أعطيك فرصة، لدي هنا ترسانة رصاص. سوف تؤلمك قدماك ويلزم عظام الركبة سنوات وسنوات لتشفى، وأحياناً لا تشفى إطلاقاً...».

وقفت ببطء ونظرت في شعاع المصباح. وقلت: «أنا أيضاً أتكلم كثيراً حين أكون خائفاً».

- «توقف، لا تتحرك سنتيمتراً واحداً، من أنت؟».

التفت حول مقدم السيارة وتقدمت نحوها. حين أصبحت على بعد مترين تقريباً من الهيئة النحيلة السوداء وراء شعاع المصباح توقفت. ومض الشعاع في اتجاهي ثابتاً.

زمجرت الفتاة بغضب بعد أن توقفت: «ابق تماماً حيث أنت، من تكون؟».

- «دعيني أرَ مسدسك».

قربته تحت ضوء المصباح. كان موجهاً نحو بطني. كان مسدساً صغيراً وأشبه بطراز مسدس الكولت الأتوماتيكي الصغير.

قلت: «آه. هذا. هذه الدمية. انه لا يتسع لعشر رصاصات. انه يتسع فقط لست. انه مجرد مسدس ضئيل لصيد الفراشات. عار عليك أن تكذبي عليَّ بهذه الطريقة».

- «هل أنت مجنون؟».

- «أنا؟ لقد ضربني على رأسي أحد اللصوص. قد أكون أبله بعض الشيء».

- «هل هذه - هل هذه سيارتك؟».

- «لا».

- «من تكون؟».

- «ماذا كنت تتفحصين هناك في الخلف بمصباحك؟».

- «فهمت. أنت تجيب بطرح الأسئلة. يبدو انك من الصنف الفحل. كنت أنظر الى رجل».

- «هل كان شعره أشقر متموجاً؟».

قالت بهدوء: «لم يعد الآن. ربما كان لديه واحد - في ما مضى».

صعقني هذا، لم أكن أتوقعه البتة. وقلت بوهن: «أنا لم أره. كنت تتبعت آثار العجلات بواسطة مصباحي حتى أسفل التل.

هل تأذى جداً؟»، واقتربت نحوها خطوة أخرى فقفز مسدسها الصغير في اتجاهي وتسمر ضوء مصباحها عليَّ.

قالت بهدوء: «اضبط أعصابك. اضبطها جيداً. لقد مات صديقك».

لم أتفوه بحرف لبرهة. ثم قلت: «حسناً فلنتوجه ونلقي نظرة عليه».

«فلنبقَ حيث نحن من دون حراك وقل لي أولاً من أنت، وما الذي حدث هنا». كانت نبرتها جازمة، لم تكن خائفة، كانت تعني ما تقول.

ـ «أنا مارلو، فيليب مارلو. تحرّي. تحرّي خاص».

ـ «أهذا من تكون؟ ان كان هذا صحيحاً أثبته».

ـ «سوف أخرج محفظتي».

ـ «لا أعتقد انك ستفعل هذا. فقط أبق يديك حيث هما الآن. سوف نؤجل اظهار الدليل حالياً. أخبرني قصتك».

ـ «ربما لا يكون هذا الرجل ميتاً بعد».

ـ «انه ميت من دون أدنى ريب. ان دماغه يغطي وجهه. إبدأ وأخبرني القصة أيها السيد وباختصار».

ـ «كما سبق وقلت لك، ربما هذا الرجل لم يمت بعد. سنتوجه ونلقي عليه نظرة». قلت هذا وتقدمت خطوة الى الأمام.

صرخت مزمجرة: «تحرك وسأقضي عليك!».

خطوت خطوة أخرى الى الأمام فقفز ضوء المصباح قليلاً. أعتقد انها تراجعت خطوة الى الوراء.

قالت بصوت منخفض: «انك تجازف كثيراً أيها السيد. حسناً، تقدم وسألحق بك. تبدو مريضاً. لو لم تكن تبدو هكذا...».

ـ «لكنتِ أطلقتِ عليّ النار. لقد ضربوني على رأسي. ان هذا يسبب لي دائماً اسوداداً قليلاً تحت العينين».

قالت: «انك تمتلك حس مزاح ممتازاً، مثل حارس براد الجثث».

أدرت وجهي من أمام الضوء وعلى الفور أضاء الأرض أمامي. تقدمت مجتازاً السيارة، وكانت تبدو صغيرة عادية، نظيفة ولمّاعة تحت وهج النجوم الضبابيّ. تابعت عبر الطريق البدائية وحول المنعطف. كانت خطواتها قريبة ورائي وتبعت ضوء المصباح. لم يسمع أي صوت الآن في أي مكان باستثناء وقع أقدامنا وتنفس الفتاة. لم أسمع تنفسي.

ـ ١١ ـ

عند منتصف المنحدر نظرت الى اليمين ورأيت قدمه. أزاحت الضوء ورأيت عندها جسمه كان ينبغي أن أراه حين نزلت ولكني كنت منحنياً ومحدقاً في الأرض ولم يكن معي سوى مصباح صغير. كنت أحاول تتبع آثار العجلات بمصباح بحجم قطعة نقد صغيرة.

مددت يدي الى الخلف وقلت لها: «أعطني المصباح».

وضعته في يدي من دون كلام. ركعت على ركبتي. كانت الأرض باردة ومبللة.

كان ممدداً على ظهره عند جذع شجرة. ومكوّماً مثل كيس

ملابس، وهذا يعني دائماً الشيء نفسه. انه ميت. كان وجهه وجهاً لم أره أبداً من قبل. كان شعره قاتماً بفعل الدماء، وتحابكت تموّجاته الجميلة الشقراء بالدم السميك، وبسائل رمادي لزج وبدائيّ.

كانت الفتاة تتنفس ورائي لاهثة لكنها لم تتكلم. صوّبت الضوء نحو وجهه. كان محطماً كلياً. كانت احدى يديه ممدودة وأصابعها مطوية. كان معطفه نصف محشور تحته، كما لو أنه تدحرج وهو يسقط. كانت رجلاه مشبوكتين. عند طرف فمه سال خيط رفيع أسود كزيت متسخ.

ناولتها المصباح وقلت: «صوّبيه نحوه ان كان هذا لن يصيبك بالغثيان».

تناولته وأمسكته من دون كلام وصوبته بثبات كخبير قديم في الجرائم. انتشلت مصباحي الصغير مجدداً ورحت أفتش في جيوبه محاولاً أن لا أحركه.

قالت بحدة: «لا ينبغي أن تفعل هذا، لا يجب أن تلمسه قبل أن تأتي الشرطة».

قلت: «معك حق. ولا يجدر برجال الدورية أن يلمسوه قبل وصول رجال التحريات، ولا يجدر بهؤلاء لمسه قبل حضور المحقق الجنائي والمصور الجنائي واختصاصي البصمات. وهل تعرفين كم يستغرق هدا من الوقت؟ ساعتين في أقل تقدير».

قالت: «حسناً، أظن انك على حق. أعتقد انك من النوع الذي يصيب على الدوام. لابد ان الذي هشّم رأسه بهذا الشكل كان يكرهه جداً».

دمدمت قائلاً: «لا أظن انها كانت قضية شخصية. مجرد الأمر ان بعضهم يحب فقط تحطيم الرؤوس».

قالت بجفاف: «بما أني أجهل ما المسألة فأنا لست قادرة أن أحذر».

فتشت في ثيابه. كانت هناك قطع نقود معدنية وورقية في أحد جيوبه، وفي الجيب الآخر علاّقة مفاتيح جلدية وسكين صغير أيضاً. وفي جيب سرواله الخلفي كانت هناك نقود، بطاقات تأمين، رخصة قيادة وبعض الأيصالات. وفي جيب سترته كان هناك قلم ذهبي، ومنديلان صغيران من الكتان شديدا البياض كثلج ناعم. وعلبة السجائر المعدنية التي كنت رأيته يخرج منها سجائره السمراء الذهبية الأعقاب. كانت سجائر من أميركا الجنوبية، وبالتحديد من مونتيفيديو. وفي الجيب الآخر عثرت على علبة سجائر معدنية لم أرها من قبل. كانت مصنوعة من الحرير المطرز مع تنّين عند كل طرف، وإطار هو تقليد لقشرة سلحفاة ورقيق جداً. فتحتها ونظرت الى ثلاث سجائر روسية ضخمة تحت شريط مطّاطي. انتشلت واحدة، بدت قديمة العهد، جافة وفارغة بعض الشيء. كانت أعقابها كلها فارغة.

قلت محولاً رأسي: «لقد دخّن البقية. لابد وأن هذه تخص صديقة له. كان لديه بالتأكيد الكثير من الصديقات».

كانت الفتاة منحنية، تتنفس فوق رقبتي: «ألا تعرفه؟».

- لقد التقيته فقط هذه الليلة. كان استخدمني كحارس شخصي».

- «ونِعْمَ الحارس!».

لم أجب على سخريتها.

ثم قالت هامسة: «أنا آسفة. لست أعرف بالضبط ظروف الحادث. هل تعتقد ان هذه سجائر حشيشة؟ هل أستطيع أن أتفحصها؟».

ناولتها علبة السجائر.

قالت: «عرفت مرة شاباً كان يدخن حشيشة الكيف. بعد ثلاث كؤوس ويسكي، وثلاث سجائر حشيشة كنا نحتاج الى رافعة لنرفعه عن الكرسي».

ـ «امسكي المصباح جيداً».

خشخشت علبة السجائر برهة ثم قالت مجدداً:

ـ «أنا آسفة». وناولتني العلبة فدسستها من جديد في الجيب كان هذا كل ما كان في حوزته. ما أثبته كل هذا هو انه لم يسلب كلياً.

وقفت وأخرجت محفظتي. كانت أوراق الدولار الخمس من فئة العشرين دولاراً لاتزال فيها.

قلت: «انهم رفيعو المستوى. لقد أخذوا فقط المبلغ الكبير».

كان ضوء المصباح متجهاً الى الأرض، أعدت المحفظة الى جيبي، علقت مصباحي الصغير في جيبي الداخلي أيضاً، وانقضضت بغتة على المسدس الصغير الذي كانت لاتزال تحمله في اليد نفسه مع المصباح فسقط المصباح ولكنني حصلت على المسدس، تقهقرت بسرعة وانحنيت منتشلاً المصباح فوجهته نحو وجهها برهة ثم أطفأته.

ـ «لم يكن من الضروري أن تتصرف بخشونة»، قالت

واضعة يديها في جيبي معطفها السميك الطويل ذي الكتفين العريضين. «لم يخطر لي البتة انك أنت الذي قتلته».

أحببت صوتها الهادىء الخافت. أحببت جرأتها، وقفنا في العتمة وجهاً لوجه صامتين برهة، رأيت تورد الضوء في السماء.

وجهت ضوء المصباح الى وجهها فرفّ جفناها. كان وجهها الصغير بارع التقاطيع ومتوقداً بعينيه الكبيرتين. كانت عظام وجهها بارزة تحت بشرتها وبديعة التكوين. كان وجهاً جميلاً جداً.

قلت: «ان شعرك أحمر، تبدين إيرلندية».

ـ «واسمي ريوردان، وماذا إذاً؟ أطفىء هذا المصباح. انه ليس أحمر، انه أسمر محمرّاً.

اسمي الأول آن. ولا تدعُني أبداً آني».

ـ «وماذا تفعلين في هذا المكان؟».

ـ «أتجول أحياناً في الليل. أضجر. أعيش بمفردي. أنا يتيمة. أعرف هذه المنطقة عن ظهر قلب. صادف أني كنت أتجول في سيارتي في الجوار ولاحظت ضوء مصباحك في الحفرة. بدا لي الطقس بارداً بعض الشيء لخروج العشاق المراهقين. وهم لا يستخدمون أية مصابيح. أليس كذلك؟».

ـ «أنا لم أكن أستخدمها آنذاك. انك تجازفين جداً يا آنسة ريوردان».

ـ «أظن أني قلت الشيء نفسه عنك. كنت أحمل مسدساً. لم أكن خائفة، ثم لا قانون يمنع النزول الى هنا».

ـ «آه. جيد. هناك فقط قانون يدعى حب البقاء. تفضلي.

هذه ليست بالليلة المناسبة لاستعراض الحذاقة. أظن انك تمتلكين رخصة حيازة مسدس، ان لم أكن مخطئاً»، ناولتها المسدس مقلوباً.

أخذته ودسّته في جيبها: «غريب كم يكون الناس فضوليين أحياناً، أليس كذلك؟ أنا أكتب قليلاً. أكتب قصصاً».

ـ «هل تكسبين مالاً بهذا الشيء؟».

ـ «قليلاً جداً، عمّا كنت تبحث في جيوبه».

ـ «لا شيء محدداً. أنا مهووس بالتطفل. كان معنا ثمانية آلاف دولار لنسترجع بها بعض المجوهرات المسروقة. لقد تعرضنا لعملية سطو. لا أعرف لماذا قتلوه. لم يبد لي إطلاقاً كواحد ينفع للمشاكسة في عراك، ولم أسمع مطلق عراك. كنت هنا في الحفرة حين انقضوا عليه. كان هو في السيارة هناك في الأعلى. كان من المفترض أن ننزل بالسيارة الى هنا ولكن بدا لنا أن الطريق ضيقة وكان يمكن أن تتعرض السيارة لخدوش. لذلك نزلت الى هنا مشياً على قدمي. ولا بد انهم هاجموه حين كنت هنا. ثم دخل أحدهم السيارة وخدعني. وبالطبع كان خيّل لي أن صديقي لايزال في السيارة.

قالت: «ألست تشعر بعد هذا انك أنت في منتهى الحماقة».

ـ «كان هناك شيء مريب في هذه المسألة منذ البداية، كنت شعرت بذلك، غير أني كنت في حاجة ماسة للمال. والآن ينبغي أن أتوجه الى الشرطة وأتحمل كل قرفهم. هل بامكانك إيصالي الى جادة مونتيمار؟ كنت تركت سيارتي هناك. كان يعيش هناك».

ـ «بالتأكيد. ولكن ألا ينبغي أن يبقى أحد ما هنا معه؟

يمكنك أنت أن تأخذي سيارتي ـ أو أستطيع أنا الذهاب واحضار الشرطة».

رمقت ساعة معصمي. كان عقرباها المشعّان يشيران الى اقتراب منتصف الليل.

ـ «لا».

ـ «لم لا؟».

ـ «لا أعرف لم لا. انه الشعور الذي يخالجني فقط. سأتصرف بمفردي».

لم تقل شيئاً. هبطنا الى أسفل الحفرة، وركبنا سيارتها الصغيرة. أدارتها ولفتها من غير أن تشعل الكشافات. ثم قادت متسلقة التلة وأبطأت متخطية معبر السياج. بعدما تخطت أول منعطف أشعلت الكشّافات.

آلمني رأسي. بقينا صامتين حتى وصلنا بمحاذاة أول منزل عند القسم المعبد من الطريق. عندها قالت:

ـ «أنت في حاجة الى تناول كأس شراب. لم لا نتوجه الى منزلي وتحتسي واحداً؟ في مقدورك أن تتصل بالشرطة من هناك. سوف يحضرون من غرب لوس أنجلوس في مطلق الأحوال. لا يوجد أي مركز هنا غير مركز الإطفاء».

ـ «تابعي فقط نزولاً نحو الشاطىء. سأتصرف منفرداً».

ـ «ولكن لماذا؟ أنا لست خائفة منهم. قصتي أنا ستساعدك بالتأكيد».

ـ «لا أريد أية مساعدة. عليّ أن أفكر ملياً. أريد أن أختلي بنفسي لفترة».

ـ «أنا ـ حسناً، كما تريد».

أصدرت صوتاً غريباً وانعطفت متخذة طريق البولفار. وصلنا الى محطة الوقود عند أوتوستراد الشاطىء وانعطفنا شمالاً نحو جادة مونتيمار، والمقهى الواقع عند زاويتها. كان المقهى مضاء كلياً وبدا كحمولة فخمة. توقفت الفتاة قربه وخرجت أنا ووقفت ممسكاً بالباب.

أخرجت بطاقة شخصية من محفظتي وناولتها إياها. وقلت لها: «قد تحتاجين يوماً ما الى حماية جسدية. إن حدث هذا اتصلي بي. ولكن لا تتصلي إذا كان الأمر يتعلق بمسألة تحتاج الى دماغ، من الأفضل أن لا تفعلي؟».

ربتت بالبطاقة على المقود وقالت بهدوء: «سوف تجد رقمي في دليل هاتف منطقة باي سيتي، عنواني هو الرقم ٨١٩ في الشارع رقم ٢٥. مر بي في أحد الأيام وأحضر لي معك ميدالية من الشوكولا كمكافأة لي على التدخل في أمور لا تعنيني. أظن انك لاتزال دائخاً بسبب الضربة على رأسك».

انطلقت بسيارتها بخفّة نحو الأوتوستراد وراقبت ضوءيها الخلفيين المذيّلين يخبوان في العتمة.

مشيت مجتازاً القنطرة والمقهى الجانبي الى فسحة الموقف وركبت سيارتي. كنت أرتعش مجدداً ورأيت ملهى قبالتي. بدا لي انه من المستحسن أن أتوجه الى مركز شرطة غرب لوس أنجلوس، وهذا ما فعلت بعد عشرين دقيقة، وكنت بارداً كضفدع ومزرقّاً كمؤخر ورقة الدولار الجديدة.

- ١٢ -

بعد ساعة ونصف الساعة، نقلوا الجثة، وفُتشت البقعة، وكنت رويت لهم قصتي ثلاث أو أربع مرات. جلسنا وكنا أربعة في مكتب الضابط المسؤول يومذاك في قسم شرطة غربي لوس أنجلوس. كان القسم هادئاً باستثناء صرخات قبائل الزولو التي كان يطلقها مسجون سكران منتظراً نقله في صباح اليوم التالي الى المحكمة.

سطع ضوء أبيض بعثه مصباح مخروطي على طاولة مسطحة فرشت عليها الأشياء التي استخرجت من جيوب ليندساي ماريوت. أشياء بدت الآن ميتة ومشردة كصاحبها. جلس الى جانبي رجل يدعى راندال من فصيلة الجنايات المركزية في لوس أنجلوس. كان رجلاً هزيلاً صامتاً في الخمسين. كان شعره أملس رمادياً ضارباً الى البياض، وعيناه باردتين حتى ليبدو متحفظ السلوك. ارتدى ربطة عنق قاتمة الاحمرار منقطة بالسواد، وكانت تلك النقاط تتراقص أمام عيني. خلفي، وراء الضوء المخروطي وقف حارسان ضخمان كبغلين محمرّي الوجه. كان كل منهما يراقب واحدة من أذنيّ.

تحسست آلياً سيجارة بين أصابعي، وأشعلتها ولكني لم أستسغ طعمها. كنت أراقب احتراقها بين أصابعي. شعرت كما لو أني عجوز في الثمانين وعلى وشك أن أغفو.

قال راندال ببرودة: «كلما عاودت إخبار هذه القصة، بدت أكثر غباوة. هذا الرجل ماريوت، كان يفاوضهم من دون أدنى

شك على مدى أيام، يقوم قبيل موعد التبادل ببضع ساعا‍
بالاتصال برجل لا يعرفه البتة ويستأجره لمرافقته كحار‍
شخصي!».

قلت: «ليس تماماً كحارس شخصي. لم أقل له حتى إن‍
كنت أحمل مسدساً. اصطحبني فقط لمجرد الأمر».

- «كيف عرف رقم هاتفك؟».

- «قال أولاً ان صديقاً مشتركاً لنا نصحه بي، ثم قال ا‍
اختار اسمي بالصدفة من دليل الهاتف».

فتش راندال بنعومة بين الأغراض الموضوعة على الطاولة ث‍
انتشل بشيء من القرف بطاقة بيضاء. ثم دفعها الى حا‍
الطاولة.

- «كان يحمل بطاقتك. بطاقة عملك».

رفعت البطاقة. كانت في محفظته مع مجموعة أخرى م‍
البطاقات التي لم أتعب نفسي بتفحصها هناك في حفرة واد‍
بيوريسيما. كانت حقاً إحدى بطاقاتي. لكنها بدت متسخة إ‍
أخذنا بعين الاعتبار تأنف رجل كماريوت. كان هناك بقعة عن‍
أحد جوانبها.

قلت: «بالتأكيد. إني أوزّع هذه البطاقة هنا وهناك. هذ‍
طبيعي».

قال راندال: «لقد سمح لك بحمل المبلغ. ثمانية آلا‍
دولار. ألا تجد انه كان شديد الثقة بالأشخاص؟».

رفعت سيجارتي ونفخت الدخان نحو السقف. ألهب
الضوء عيني، وآلمني مؤخر رأسي.

ـ «الثمانية آلاف دولار ليست في حوزتي. أنا آسف».

ـ «لا. ما كنت أتيت الى هنا لو كان المبلغ في حوزتك. أوليس كذلك؟». ارتسمت فوق وجهه ملامح سخرية مكبوتة، ولكنها بدت مصطنعة.

قلت: «قد أقوم بأشياء كثيرة من أجل الحصول على ثمانية آلاف دولار. ولكنني إن أردت أن أقتل رجلاً ما بهراوة، فسأكتفي فقط بضربتين على مؤخر رأسه».

هز رأسه موافقاً. بصق أحد البغلين اللذين وقفا وراءه في سلة القاذورات.

ـ «إن التشويه بهذا الشكل هو أحد أكثر وجوه المسألة غرابة. يبدو وكأنه تصرف هواة، ولكن بالطبع ربما فعلوا هذا قصداً لكي يعطي هذا الانطباع. لم يكن المال يخص ماريوت. أليس كذلك؟».

ـ «لا أعرف. هذا ما خيّل إليّ. وقد يكون مجرد احتمال. رفض أن يفصح لي عن اسم المرأة المتورطة في القضية».

قال راندال ببطء: «لسنا نعرف بعد أي شيء عن ماريوت. ولكنني أعتقد انه لم ينو هو نفسه البتة سرقة المبلغ».

ـ «هيه». فوجئت بالملاحظة. وربما ظهر هذا في وجهي. إلا أن شيئاً لم يتغير في ملامح وجه راندال الأملس.

ـ هل عددت المبلغ؟».

ـ «بالطبع لا. ناولني الرزمة فقط. كانت تحتوي مالاً وبدا المبلغ كبيراً. قال لي انه يبلغ ثمانية آلاف. لماذا تظن انه أراد

سرقته مني في حين أن المبلغ كان في حوزته قبل أن أصل لزيارته؟».

حدق راندال في زاوية من السقف ومطّ فمه نحو طرفيه. ثم هز كتفيه بلامبالاة.

قال: «عد بالمسألة الى الوراء قليلاً. سطا أحدهم على ماريوت والفتاة واستولى على عقد اليشب وأغراض أخرى. ثم عرض عليهما أن يبيعهما العقد بمبلغ زهيد بالنسبة لسعره الحقيقي. كان من المقرر أن يتولى ماريوت وحيداً تنفيذ عملية التبادل. ولا نعرف إن كان الطرف الآخر قد أخذ علماً بهذا أو إن كان الطرفان بحثا الأمر كلياً. عمليات كهذه تجري عادة بتسرّع. ولكن ماريوت قرر كما نرى أن يصحبك معه. وخيل لكليكما انكما تتعاملان مع عصابة منظمة وانها ستتصرف بشكل ما في حدود التصور.

كان ماريوت خائفاً. وهذا طبيعي. أراد أن يصحبه مرافق. كنت أنت مرافقه ولكنه لم يكن يعرفك البتة، كان يملك فقط اسمك على البطاقة التي أعطته إياها جهة مجهولة كان قال عنها انها صديق مشترك. ثم يقرر ماريوت في اللحظة الأخيرة أن تحمل أنت المبلغ، وأن تباحثهم بينما يبقى هو مختبئاً في السيارة. تقول أنت أن هذه كانت فكرتك، ولكن ربما كان هو ينتظر أن تقترح أنت هذا عليه. ولو لم تفعل لكان هو اقترح عليك هذه الفكرة بنفسه».

قلت: «ولكن هذه الفكرة لم ترق له للوهلة الأولى».

هز راندال كتفيه بازدراء مجدداً وقال: «لقد تظاهر بذلك أولاً - ثم أسرع موافقاً. وفي النهاية راح يرد على مخابرة هاتفية

وتنطلقان الى المكان الذي يدلك اليه. كل هذا مصدره ماريوت. أنت لم تعرف أياً من هذه التفاصيل وحدك. حين تصلان الى هناك، لا تجدان أحداً بانتظاركما. كان من المفترض أن تنزلا بالسيارة الى الحفرة لكن الطريق كانت أضيق من أن تعبر فيها سيارتكما الضخمة. وهكذا تخرج أنت وتنحدر مشياً الى الحفرة، وهناك لا ترى ولا تسمع أي شيء، تنتظر بضع دقائق ثم تعود الى السيارة، وبعدها يضربك أحدهم على مؤخر رأسك. افترض أن ماريوت كان يريد سلب ذلك المبلغ ـ ويريدك أن تكون أنت الضحية المغفلة. ألم تكن أنت تصرفت بالطريقة نفسها لو كنت مكانه؟».

قلت: «انها نظرية رائعة. لقد ضربني ماريوت على رأسي، استولى على المال، ثم أنّبه ضميره فحطّم دماغه بنفسه بعد أن قام أولاً بدفن المال تحت إحدى الشجيرات».

تطلع إلي راندال بجفاف وقال: «كان لديه بالطبع شريك. كان من المفترض أن تضربا أنتما الاثنان على رأسيكما، ليهرب الشريك بالمبلغ. إلا أن الشريك خدع ماريوت وقتله. ولم يضطر الى قتلك لأنك لم تكن تعرفه».

نظرت اليه بإعجاب وزرعت عقب سيجارتي في منفضة خشبية كان لها يوماً إطار زجاجي.

قال راندال بهدوء: «هذا التفسير موافق للوقائع ـ تلك التي نعرفها على الأقل. وهو ليس أسوأ من أي تفسير ممكن في الوقت الحاضر».

ـ «انه فقط لا يناسب واقعاً واحداً، وهو أن من ضربني على رأسي خرج من السيارة. أليس كذلك؟ وهذا كان سيجعلني

أشك مباشرة في ماريوت. تفسيراتك الأخرى تتوافق جيداً مع الوقائع. على الرغم من أني لم أشك به أبداً بعدما قتل».

قال راندال: «الطريقة التي ضربوك فيها على رأسك تناسب هذا التفسير تماماً. أنت لم تخبر ماريوت انك تحمل مسدساً، لكن يمكن انه رأى انتفاخه تحت ذراعك، وربما شك على الأقل في الأمر. وفي هذه الحال كان عليه أن يضربك حين لم تشك في شيء. ولم تكن لترتاب بشيء قد يأتيك من مؤخر السيارة».

قلت: «حسناً، أنت ربحت. إنها نظرية جيدة. ان افترضنا دائماً أن المال لم يكن خاصة ماريوت وانه أراد سرقته، وان لديه شريكاً. إذن كانت خطته ببساطة أن نعود أنا وهو الى وعينا متورّمي الرأس ولا نجد المبلغ ونعتذر من بعضنا بعضاً ويعود كل الى منزله وننسى كل ما جرى. أهكذا كانت ستنتهي المسألة؟ أعني هل هكذا توقع هو أن تنتهي. كان اعتبرها هو خطة جميلة، أليس كذلك؟».

ابتسم راندال ساخراً: «أنا نفسي لست مقتنعاً بهذه النظرية. كنت أجرّبها فقط. انها تناسب الوقائع التي نعرفها الى الآن. وهذا ليس بالشيء الكثير».

قلت: «اننا لا نعرف الى الآن ما يكفي حتى للشروع في التنظير. لماذا لا نفترض انه كان يقول الحقيقة وانه ربما تعرّف الى أحد اللصوص؟».

ـ «تقول انك لم تسمع مطلق شجار أو صراخ؟».

ـ «لا ولكن ربما انقضّوا بسرعة على عنفه. أو انه خاف جداً الى درجة انه لم يستطع الصراخ حين هاجموه. لنفترض انهم

كانوا يراقبون من وراء الدغل وشاهدوني وأنا أنزل التلة. لقد ابتعدت مسافة طويلة لا تنس، قرابة الخمسين متراً. عندها انسلوا الى السيارة وعثروا على ماريوت. صوب أحدهم مسدساً الى وجهه وأجبره على الخروج بصمت. ثم قضوا عليه. لا بد وأن شيئاً ما كان قاله أو نظرة ما في عينيه جعلتهم يعتقدون انه تعرّف الى أحدهم».

ـ «أفي تلك الظلمة؟».

قلت: «أجل. لا بد وانه حدث شيء ما من هذا القبيل. بعض الأصوات يبقى محفوراً في الذاكرة. وفي المقدور تبيّن الأشخاص حتى في العتمة».

هز راندال رأسه وقال: «ان عصابة سلب مجوهرات منظمة لا تقتل إلا إذا حشرت، وكاحتمال أخير». توقف فجأة عن الكلام وتسمّرت عيناه. أقفل فمه ببطء شديد وضغطه جداً. خطرت له فكرة وقال: «عملية اختطاف».

أطرقت موافقاً: «أظن ان هذه فكرة جيدة أيضاً».

قال: «هناك أمر آخر. كيف وصلت أنت الى هنا؟».

ـ «قدت سيارتي».

ـ «أين كانت سيارتك؟».

ـ «هناك في جادة مونتيمار في موقف قرب مقهى جانبي».

نظر إليّ مفكراً. الشرطيان نظرا إليّ من ورائه بارتياب. راح السكير يغني في الزنزانة لكن صوته لم يسعفه، فشرع يبكي.

ـ «كنت عدت ماشياً الى الأتوستراد. استوقفت سيارة. كانت تقودها فتاة بمفردها. توقفت ونقلتني معها».

قال راندال: «يا لها من فتاة. كان الوقت متأخراً في الليل على طريق منعزلة وعلى الرغم من ذلك توقفت».

- «أجل. ان بعضهن يفعلن ذلك. لم أستطع التعرف اليها جيداً. لكنها بدت فتاة لطيفة». حدقت فيهم عارفاً انهم لم يصدقوني وانهم يتساءلون لماذا أكذب في هذا الموضوع.

قلت: «كانت تقود سيارة صغيرة. شيفروليه مكشوفة «كوبي» ولم أسجل رقم السيارة».

- «ها ها، انه لم يسجل رقم السيارة»، قال أحد الشرطيين الضخمين ذلك وبصق في سلة القاذورات مجدداً.

انحنى راندال الى الأمام وحدق فيَّ بانتباه: «إن كنت تخبىء عني شيئاً يا مارلو بقصد حل هذه المسألة بمفردك من أجل الحصول على بعض الشهرة، أنصحك أن لا تفعل ولو كنت أنا مكانك ما كنت لأجرؤ. لا تعجبني كل التفاصيل في قصتك وسأعطيك ليلة كاملة لمراجعة نفسك. قد أطلب إليك غداً أن تقدم شهادة تحت قَسَم اليمين. في هذا الوقت سأقدم اليك نصيحة مجانية. هذه جريمة، وهذا من اختصاص الشرطة ولسنا في حاجة الى مساعدتك. حتى ولو كانت مفيدة. كل ما نريده منك هو الوقائع. هل فهمتني جيداً؟».

- «طبعاً. هل أستطيع الذهاب الى منزلي الآن؟ أشعر أني مريض بعض الشيء».

قال بنظرة جليدية: «في وسعك الذهاب الآن الى المنزل».

نهضت وتوجهت نحو الباب صامتاً. حين تقدمت أربع خطوات حمحم راندال وقال باستهتار:

ـ «آه. هناك مسألة صغيرة وأخيرة، هل انتبهت الى نوع السجائر التي كان ماريوت يدخنها؟».

استدرت قائلاً: «أجل. سجائر سمراء من أميركا الجنوبية. وكان يضعها في علبة سجائر معدنية فرنسية».

انحنى الى الأمام وسحب علبة السجائر الحريرية المطرزة من بين كومة الأغراض على الطاولة وجرها نحوه.

ـ «هل رأيت هذه من قبل؟».

ـ «بالطبع كنت أنظر اليها للتو».

ـ «أعني في وقت سابق لهذا المساء».

ـ «أظن أني رأيتها مرمية في مكان ما. لماذا تسأل؟».

ـ «أنت لم تفتش الجثة، أليس كذلك؟».

قلت: «حسناً. أجل لقد فتشت في الجيوب. كانت هذه العلبة في احداها. أنا آسف. انها مجرد حشرية مهنية. لقد أبقيت الأشياء كما هي. على أية حال فهو كان زبوني».

حمل راندال العلبة بكلتا يديه وفتحها. جلس محدقاً فيها. كانت فارغة والسجائر الثلاث كانت اختفت.

عضضت ضاغطاً أسناني وأبقيت على وجهي علامات التعب. لم يكن الأمر سهلاً.

ـ «هل رأيته يدخن سجائر من هذه العلبة؟».

ـ «لا».

أطرق راندال برباطة جأش: «إنها فارغة كما ترى. لكنها كانت في مطلق الأحوال في جيبه. هناك قليل من الغبار في

داخلها. سوف أتفحصه تحت المجهر. لست متأكداً بعد ولكني أظن انها ماريجوانا».

قلت: «لو كان معه أي شيء من هذا القبيل الليلة. أعتقد انه دخن منه بالتأكيد سيجارتين على الأقل، لابد انه كان في حاجة لما يرفع معنوياته».

أغلق راندال العلبة بعناية ثم دفعها بعيداً.

قال: «هذا كل شيء. ولا تحشر أنفك في الموضوع».

خرجت.

كان الضباب تواري في الخارج وكانت النجوم تتلألأ مثل نجوم اصطناعية من الكروْم في سماء مخملية سوداء. قدت سيارتي مسرعاً. احتجت بجنون الى كأس، وكانت الملاهي مقفلة.

ـ ١٣ ـ

نهضت من الفراش عند الساعة التاسعة. شربت ثلاثة فناجين من القهوة السوداء، غسلت مؤخر رأسي بمياه مثلجة، وقرأت الصحيفتين الصباحيتين اللتين كانوا يرمونهما لي أمام باب شقتي. كان هناك مقطع ونيف عن الموظ مالوي، ولكنهم لم يأتوا على ذكر نولتي. لم يكن هناك مطلق خبر عن ليندساي ماريوت، إلا أن الخبر كان مكتوباً في صفحة المجتمع.

ارتديت ثيابي وأكلت بيضتين مسلوقتين، ثم شربت فنجاناً رابعاً من القهوة ونظرت الى نفسي في المرآة. كان لايزال هناك ظل خفيف تحت عيني. كنت على وشك أن أفتح الباب للخروج حين رن جرس الهاتف.

كان المتحدث نولتي. بدا قاسي اللهجة.

ـ «هل هذا مارلو؟».

ـ «أجل. هل قبضت عليه؟».

ـ «آه طبعاً. لقد قبضنا عليه»، ثم توقف ليقول مزمجراً، «على طريق فنتورا كما كنت توقعت. أمّاه كم لهونا. طوله قرابة المترين. بنيته كدعامة جسر، كان في طريقه الى سان فرانسيسكو لحضور معرض. كان ينقل معه خمسة ليترات من الويسكي المزيف فوق المقعد الأمامي في سيارته المستأجرة وكان يبتلع ليتراً آخر وهو يقود سيارته بسرعة ١١٠كلم في الساعة. كل ما جنّدنا للقبض عليه كان شرطيين من مفرزة السير الاقليمية وكانا مسلحين بمسدسين وهراوتين».

توقفت وتواردت الى خلدي تعليقات كثيرة ساخرة، لكن أياً منها لم يكن مناسباً أو مسلياً في تلك اللحظة. ثم تابع نولتي قائلاً:

ـ «لقد قاوم الشرطيين وأنهكهما، حتى أغمي عليهما واستغرقا في النوم، خرج من سيارة الشرطة واقتلع جنباً كاملاً منها، ثم قذف جهاز الراديو في القناة. فتح بعدها قنينة جديدة من الويسكي شربها واستغرق بعدها في النوم. استفاق الشرطيان بعد فترة وجعلا يضربانه، بهراوتيهما على رأسه طوال عشر دقائق قبل أن يلاحظ ضربهما. وحين بدأ يغضب كبّلاه بالأغلال. كان الأمر سهلاً. انه في السجن الآن وللتهم التالية: القيادة بحالة السكر، مهاجمة ضابط شرطة أثناء أداء واجبه، اقتناء مسكرات ممنوعة، بالإضافة الى تهمتين قضائيتين هما: تخريب متعمد لممتلكات رسمية،

محاولة الفرار من الاحتجاز، ثم ايذاء ضابط شرطي لدرجة أقل من العطل الدائم، الاخلال بالقوانين العامة، وإيقاف السيارة على أوتوستراد. هذا مسلٍ أليس كذلك؟».

سألته: «أين المزحة؟ أنت لم تخبرني كل هذا لمجرد الاحتفال بالنصرا».

رد نولتي بوحشية: «لم يكن هو. هذا العصفور العملاق الذي قبضنا عليه يدعى ستويا نوفسكي ويعيش في هيميت وكان انتهى من عمله كممسّد طرقات في نفق سان جاك. لديه زوجة وأربعة أطفال. يا الهي ان زوجته كتلة غضب. وأنت ما الذي استجد معك بالنسبة لمالوي؟».

- «لا شيء. إن رأسي يؤلمني».

- «كلما تكون متفرغاً».

قلت: «لا أعتقد هذا. شكراً على أية حال. متى حددت جلسة الاستنطاق بالنسبة لقضية مقتل الزنجي؟».

- «لِمَ العذاب؟» قال هذا ساخراً وأقفل السماعة.

انحدرت في سيارتي الى بولفار هوليوود وأوقفتها في موقف قرب المبنى، وصعدت الى طبقتي. فتحت باب غرفة الانتظار الصغيرة التي أتركها باستمرار غير مقفلة، في حال أتاني زبون، ورغب هذا الزبون في انتظاري.

تطلعت إلي الآنسة آن ريوردان من فوق مسجلة وابتسمت لي.

كانت ترتدي فستاناً فوق كنزة بيضاء مرتفعة القبة. كان شعرها في ضوء النهار أسمر محمراً واعتمرت فوقه قبعة كان

قسمها الأعلى بحجم كأس للويسكي، وبريم تستطيع أن تحزم به غسيلك الأسبوعي. وضعتها على رأسها في انحناءة ٤٥ درجة تقريباً وكاد البريم يلامس كتفها. على الرغم من كل هذا بدت أنيقة، بل ربما بسبب هذا.

كان عمرها حوالى الثماني والعشرين سنة. جبهتها ضيقة وأكثر ارتفاعاً مما اعتبر رائعاً. كان أنفها دقيقاً فضولياً، شفتها العليا منفرجة وفمها طويلاً بعض الشيء. عيناها كانتا بلون اردوازي مبرّقتين بالذهبي. كانت ابتسامتها جذابة ووجهها قريباً من القلب. وجه جميل ولكن ليس جميلاً الى درجة التسلح بقبضة كلما خرجت.

انبرت قائلة: «لم أكن أعرف دوام عملك، لهذا انتظرت. أظن ان سكرتيرتك في عطلة هذا اليوم».

ـ «أنا لا أملك سكرتيرة». تقدمت وفتحت بالمفتاح الباب الداخلي ثم شغلت جرس الباب الخارجي. «تعالي ندخل غرفتي الخاصة بالتفكير».

عبرت أمامي بعطرها الغريب الشبيه بأريج شجر الصندل الجاف، ووقفت تتأمل الملفات الخمسة الخضراء، السجادة البالية الصدئة الاحمرار، الأثاث المغبر، والستائر المتسخة.

قالت: «أظن انك في حاجة الى من يجيب على الهاتف، وارسال ستائرك بين وقت وآخر الى المصبغة».

ـ «إني أخرجها دائماً نهار عيد القديس سويزين. تفضلي اجلسي. قد تخسرني هذه الفوضى بضع قضايا غير مهمة، وبعض المطاردات السخيفة. ولكني أقتصد بهذا بعض المال».

ـ «فهمت»، قالت برزانة، ووضعت حقيبة كبيرة من الجلد

السويدي وبعناية عند زاوية الطاولة ذات السطح الزجاجي. ثم تراجعت متناولة احدى سجائري. أحرقت اصبعي وأنا أشعلها لها بعود الثقاب.

نفخت سحابة دخان وابتسمت من خلالها. كانت أسنانها جميلة، عريضة بعض الشيء.

ـ «على الأرجح أنت لم تتوقع رؤيتي مجدداً بهذه السرعة. كيف ألم رأسك؟».

ـ «لقد خفّ. لا لم أتوقع».

ـ «هل كانت الشرطة لطيفة معك؟».

ـ «كما هم على الدوم».

ـ «أولست ألهيك عن أمر ما مهم؟».

ـ «لا».

ـ «على أية حال لا أظن انك سررت برؤيتي مجدداً».

حشوت الغليون وتناولت علبة الثقاب الورقية. أشعلت الغليون بعناية. راقبتني وأنا أفعل هذا مستمتعة. كان مدخنو الغليون عموماً رجالاً أقوياء. كان ظنها هذا سيخيب معي بالتأكيد.

قلت: «حاولت أن أبقيك خارج المسألة. لا أعرف لماذا بالتحديد. لم تعد القضية تعنيني في مطلق الأحوال. لقد نلت حصتي من القذارة ليلة البارحة، وملأت جوفي بقنينة ويسكي كي أستطيع النوم. انها الآن قضية الشرطة. حذروني من التدخل فيها».

قالت بهدوء: «السبب الذي جعلك تبقيني خارج المسألة

هو انك لم تقتنع بأن الشرطة ستصدّق ان سبب وجودي في تلك الحفرة ليلة الأمس كان مجرد فضول. كانوا سيشكون في أمري، وسيستجوبونني بالحاح الى أن يحطموا أعصابي».

- «ما الذي جعلك تعتقدين اني لا أشك مثلهم في أمرك؟».

قالت متناسية الموضوع: «ان رجال الشرطة لا يختلفون أبداً عن الناس العاديين».

- «سمعت أنهم يبدون هكذا».

- «آه. اننا متهكمان هذا الصباح». تطلعت الى الغرفة بنظرة خفرة خاطفة. «هل تسير أحوالك جيداً هنا. أعني مالياً؟ أعني هل تكسب الكثير من المال - مع هذا النوع من المفروشات؟».

همهمت.

- «أمن المفضل أن أهتم بشؤوني، ولا أطرح أسئلة وقحة؟».

- «أتظنين انك ستنجحين بذلك لو حاولت؟».

- «لست وحدي من يحاول ذلك. أنت تحاول أيضاً. قل لي لماذا تجنبت إقحامي في الأمر البارحة؟ هل فعلت ذلك لأني أمتلك شعراً أحمر وقامة جميلة؟».

لم أقل شيئاً.

قالت ببهجة: «دعنا نحاول شيئاً آخر. هل تحب أن تعرف من هو صاحب عقد اليشب ذاك؟».

شعرت بالدماء تتصاعد الى رأسي، فكرت ملياً ولكني لم أستطع التذكر جيداً. ثم استطعت فجأة أن أذكر، أنا لم أحدثها قط عن عقد اليشب.

تناولت علبة الثقاب وأشعلت غليوني مجدداً: «لا يهمني الأمر كثيراً، لماذا؟».

ـ «لأني أعرف».

ـ «همم».

ـ «ماذا تفعل حين تقرر أن تكون حقاً ثرثاراً ـ هل ترقّص أصابع قدميك؟».

قلت متذمراً: «حسناً، أنت أتيت الى هنا لتقولي لي هذا. هيا قولي لي».

اتسعت عيناها ولوهلة خطر لي انهما بدتا مبللتين قليلاً. عضّت بأسنانها شفتها السفلى وأبقتها هناك وهي تحدق الى الأسفل الى المكتب. ثم هزت كتفيها بازدراء، أفلتت شفتها وابتسمت لي ببراءة.

ـ «آه، أعرف اني لست سوى فتاة فضولية ملعونة. لكن هذا الشيء يسري في دمي. أبي كان شرطياً. كان اسمه كليف ريوردان وكان قائد شرطة منطقة باي سيتي طوال سبع سنوات. أظن ان هذا هو سبب لوثتي».

ـ «أظن اني أذكر هذا. ماذا حدث له؟».

ـ «طردوه. وقد حطّم هذا قلبه. قامت عصابة من المقامرين وعلى رأسهم رجل يدعى لارد برونيت بحملة من الرشاوي ونجحوا في انتخابات رئاسة البلدية. وهكذا عينوا والدي مسؤولاً عن مكتب الأرشيف والمعلومات، وهذا المكتب في باي سيتي لا يزيد حجمه على حجم علبة سردين. عندها

استقال أبي، وتسكع عاملاً هنا وهناك ومات بعد سنتين. ثم ماتت أمي بعد وقت قليل بعده. إني أعيش وحيدة منذ سنتين».

قلت: «أنا آسف، هذا محزن».

سحقت سيجارتها. لم يكن عليها أحمر شفاه: «السبب الوحيد الذي يجعلني أضجرك بهذه القصص هو في الواقع لأفهمك، ان هذا يسهل لي الأمور جيداً في التعاطي مع الشرطة. لعلّه كان يجدر بي أن أخبرك هذا ليلة الأمس. وهكذا عرفت هذا الصباح المسؤول عن هذه القضية وتوجهت لمقابلته. كان غاضباً منك بعض الشيء في البداية».

قلت: «لا يهم. لو كنت أخبرته الحقيقة بكل تفاصيلها لما كان أيضاً صدّقني. كل ما كان سيفعله هو إنهاكي بالأسئلة».

ضايقها كلامي. نهضت وفتحت النافذة الأخرى. اندفع ضجيج الازدحام على البولفار متموجاً وأشبه بدوار البحر. شعرت اني متوعك جداً، فتحت درج المكتب الداخلي وانتشلت القنينة الخاصة بالعمل وصببت لي كأساً.

راقبتني الآنسة ريوردان مستهجنة. لم أعد الرجل الصلب الذي عهدته. لم تقل شيئاً. شربت الكأس، أبعدت القنينة وقعدت.

قالت لي ببرودة: «أنت لم تقدم لي كأساً».

- «آسف. انها فقط الحادية عشرة صباحاً لم يخطر لي أبداً انك من النوع».

تغضنت عيناها عند طرفيهما: «هل أعتبر هذا إطراء؟».

- «في وسط عملي، أجل».

فكرت في عبارتي ولم يبد انها فهمتها. ولم تعنِ لي أي شيء حين فكرت فيها أنا أيضاً. لكن الكأس الذي احتسيته جعلني أشعر بتحسن.

انحنت الى الأمام ومررت قفازيها ببطء فوق غطاء الطاولة الزجاجي: «ألا تفكر في استخدام مساعدة لك؟ حتى ولو لم يكلفك الأمر سوى كلمة لطيفة بين آن وآخر؟».

ـ «لا».

أطرقت وقالت: «هذا ما خيل لي. من الأفضل أن أعطيك معلوماتي وأعود الى البيت».

لم أجب. أشعلت غليوني مجدداً. فالغليون يوحي عموماً انك مستغرق في التفكير، ولا تكون أنت تفعل.

قالت: «في البداية، خطر لي أن عقداً من هذا الصنف لا بد وأن يكون من ممتلكات المتحف وهو بالتالي قطعة معروفة».

رفعت عود الثقاب عالياً، كان يحترق ورحت أراقب شعلته الزاحفة بين أصابعي. ثم نفخته بنعومة ورميته في المنفضة وقلت:

ـ «أنا لم أخبرك شيئاً عن عقد اليشب».

ـ «لا. لكن الليوتانت راندال فعل ذلك».

ـ «أعتقد انه ينبغي اقفال فمه باللّحام».

ـ «لقد كان يعرف والدي. لقد وعدته أن لا أخبر أحداً».

ـ «ها أنت تخبرينني».

ـ «لكنك تعرف من قبل أيها الغبي».

حلّقت يدها بغتة كما لو أنها كانت سترتفع الى فمها،

لكنها توقفت وسط الطريق، ثم هبطت ببطء، واتسعت حدقتاها. كانت تمثيلية جيدة، ولكني كنت أعرف عنها أكثر مما يسمح لها بخداعي.

رددت بسرعة: «أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟».

ـ «لقد اعتقدت ان المسروقات كانت ماساً، عقداً، زوجاً من الأقراط، سلسلة للعنق وثلاثة خواتم، أحد الخواتم كان مكللاً بالزمرد أيضاً».

قالت: «لست مضحكاً. ولست حتى سريعاً».

ـ «انه عقد يشب من نوع فاي تسيو. نوع نادر جداً. خرزاته محفورة وكل واحدة تزن تقريباً ستة قراريط. عددها ستون خرزة. ان ثمنه يبلغ ثمانين ألف دولار».

قالت: «عيناك البنيتان جميلتان. وأنت تظن انك قاس».

ـ «حسناً من هو صاحب العقد، وكيف اكتشفت أنت هذا؟».

ـ «لقد اكتشفت هذا ببساطة. لقد خطر لي ان أفضل متجر جواهر في المدينة لابد أن يعرف وهكذا ذهبت وسألت المدير في متجر بلوك. ادعيت اني صحافية وأريد أن أكتب موضوعاً عن اليشب النادر. ويمكنك أن تتخيل البقية».

ـ «لقد صدق بالتأكيد شعرك الأحمر ووجهك الجميل».

تورد وجهها حتى الصدغين. وقالت: «حسناً لقد أخبرني في مطلق الأحوال. انه يخص سيدة ثرية تعيش في باي سيتي في عزبة فوق الوديان. انها السيدة لوين لو كريدج غرايل. زوجها مصرفي أو شيء من هذا القبيل، وهو في منتهى

الثراء، ثروته تقدر بالعشرين مليون دولار. كان يملك محطة بث إذاعي في بيفرلي هيلز، محطة ك.ف.دك. وكانت السيدة غرايل تعمل هناك. تزوجها منذ خمس سنوات. انها شقراء ساحرة. السيد غرايل كبير في السن، ومصاب باعتلال في كبده، يلزم المنزل، ويتناول باستمرار مسهّل الكالوميل للمعدة، بينما تخرج السيدة غرايل باستمرار وتستمتع بوقتها».

قلت: «مدير متجر بلوك هذا، يبدو خبيراً بالأمكنة».

- «آه أنا لم أكتشف كل هذا منه وحده. لقد أخبرني فقط بشأن العقد. الباقي عرفته من جيدي غيرتي أربوغاست».

تطاولت مجدداً الى الدرج الداخلي وتناولت قنينة المكتب.

سألت قلقة: «أرجو أن لا تكون في الحقيقة واحداً من رجال التحري المدمنين. هل أنت كذلك؟».

- «لِمَ لا؟ إنهم يحلّون دائماً المسائل من غير أن تسقط منهم نقطة عرق واحدة. أكملي قصتك».

- «جيدي غيرتي هو محرر أخبار المجتمع في صحيفة كرونيكل. إني أعرفه منذ سنوات، إنه يزن قرابة المئة كيلوغرام، وشارباه هتلريان. لقد أعطاني ملف عائلة غرايل. انظر».

فتشت في حقيبتها ثم زحلقت صورة فوتوغرافية عبر الطاولة. صورة مصقولة في قياس ٦,٥ × ١١سنتم..

كانت شقراء. شقراء من النوع الذي يفقد اسقفاً صوابه. كانت ترتدي ثياباً عادية سوداء وبيضاء، وقبعة مناسبة. بدت

متعجرفة بعض الشيء، ولكن ليس الى درجة منفرة. مميزة بل خارقة. كان عمرها حوالى الخمس وثلاثين سنة.

قلت: «أبعديها، وإلا بدأت أقفز».

ـ «لماذا، لقد وجدتها لك. سوف تقابلها، أليس كذلك؟».

نظرت الى الصورة مجدداً. ثم دسستها تحت الخشبة النشّافة: «ما رأيك في لقاء هذه الليلة عند الساعة الحادية عشرة؟».

ـ «اسمع جيداً يا سيد مارلو، لسنا نهرّج هنا. لقد اتصلت بها. سوف تقابلك. مقابلة عمل بالتأكيد».

ـ «هكذا تبدأ دائماً تلك الأمور».

أومأت متضايقة، فتوقفت عن التساخف وارتدى وجهي مجدداً تقاطيع الحرب: «ما القضية التي تريد أن تقابلها في شأنها؟

قضية عقدها بالطبع. حدث الأمر كالآتي. لقد اتصلت بها، ولاقيت في البداية صعوبة كبيرة حتى استطعت التحدث اليها. وفي النهاية استطعت ثم حاولت أن أكرر معها من جديد الخدعة التي استخدمتها مع مدير متجر المجوهرات. ولكنها لم تنجح. لم تتأثر اطلاقاً. رددت ما معناه أن علي أن أتصل بسكرتيرها، ولكني استطعت استبقاءها على الهاتف وسألتها إن كان صحيحاً أنها تمتلك عقد فاي تسيو اليشب. بعد فترة قالت أجل، سألتها إن كنت أستطيع رؤيته. سألتني «لماذا؟». ثم كررت لها قصتي الأولى وبدا اني فشلت مجدداً في اقناعها. كنت أستطيع سماعها وهي تزعق مؤنبة

ومتوعدة. ثم قلت لها اني أعمل لصالح فيليب مارلو. وأجابتني «وماذا إذن؟». هكذا بكل بساطة».

- «إن سيدات المجتمع في هذه الأيام يتكلمن مثل الغانيات».

قالت الآنسة ريوردان بعذوبة: «هذا أقوى مني. ربما بعضهن غانيات حقاً. وسألتها إن كان لهاتفها استطالة، فأجابتني ان هذا لا يعنيني. ولكن الغريب في الأمر انها لم تقفل السماعة في وجهي».

- «كانت بالتأكيد تفكر في عقدها اليشب، وكانت تريد أن تعرف، ما هو هدفك الأساسي من الحديث. ولابد أن راندال كان اتصل بها قبلك وأعلمها بالأمر».

هزت الآنسة ريوردان رأسها غير موافقة: «لا. لقد اتصلت به بعدها. ولم يكن يعرف من صاحب العقد الى أن أخبرته أنا. لقد فوجىء حين عرف اني اكتشفت هذا».

قلت: «سوف يعتاد عليك. سوف يضطر الى هذا كما أرى. وماذا حدث بعد؟».

- «وهكذا قلت للسيدة غرايل، «أما زلت تريدين استرجاعه، أليس كذلك». هكذا قلت لها بكل بساطة. لم أعرف طريقة أخرى لقول هذا. كان يجب أن أقول شيئاً ما يهزّها بعض الشيء. ونجحت. وعلى الفور أعطتني رقم هاتف آخر بسرعة. واتصلت على ذلك الرقم وقلت لها إني أود مقابلتها. بدت متفاجئة. ولذا كان لابد أن أخبرها كل القصة، لم تعجبها إطلاقاً. ولكنها كانت تتساءل لماذا لم يتصل بها ماريوت. أظن انها اعتقدت انه هرب مع المال نحو الشمال أو شيئاً من هذا القبيل. ولهذا سوف أقابلها

عند الساعة الثانية. وعندها سأخبرها كم أنت لطيف ومتكتم، وانك ستكون طيباً وتساعدها على استرجاع العقد، إن كانت هناك أية فرصة للقيام بذلك، انها مهتمة ولقد أثارتها الفكرة جداً».

لم أقل شيئاً. فقط حدّقت فيها، بدت متضايقة وقالت: «ما الأمر؟ ألم أتصرف جيداً؟».

- «ألا يمكنك أن تفهمي انها قضية تخص الشرطة الآن. وانهم حذّروني لكي أبقى خارج المسألة».

- «يحق للسيدة غرايل كل الحق أن تستخدمك إن كانت ترغب بذلك».

- «لأفعل ماذا؟».

نقفت مراراً وتكراراً حقيبتها بعصبية. وقالت: «آه يا الهي - يا لها من امرأة - انظر الى هذه الفتنة - هل ترى؟»، توقفت وعضت شفتها. «أي نوع من الرجال كان ماريوت؟».

- «بالكاد عرفته. خيّل لي انه مخنث بعض الشيء. لم أحبه كثيراً».

- «هل هو من النوع الجذّاب؟».

- «في الواقع يبدو أن السيدة غرايل كانت معجبة به. كانت تخرج برفقته».

- «من المحتمل انها تخرج مع ما يقارب المئة رجل. ليس هناك الآن سوى أمل خفيف باسترجاع العقد».

- «لماذا؟».

نهضت ومشيت حتى نهاية المكتب وصفعت الحائط بقوة

بباطن يدي. توقفت الآلة الكاتبة المفرقعة في الغرفة الأخرى برهة، ثم تابعت. تطلعت الى الأسفل عبر النافذة المشرّعة الى المعبر الفاصل بين بنائي وفندق مانزون هاوس. كانت رائحة الطعام المنبعثة من المطعم القريب قوية الى درجة انه كان يمكن بناء مرآب فوقها. عدت الى طاولة المكتب، وضعت قنينة الويسكي مجدداً في الدرج وقعدت. أشعلت غليوني للمرة الثامنة أو التاسعة وحدقت من خلال زجاج الطاولة نصف المغبر الى وجه الآنسة ريوردان الصغير الوقور والصادق.

لا يمكن إلا أن تحب وجهها. الشقراوات الفاتنات يمكن شراؤهن بالكيلوغرام. أما هذا الوجه فبالذهب فقط. وابتسمت له.

- «اسمعي يا آن. ان قتل ماريوت كان غلطة حمقاء. ما كانت العصابة التي قامت بعملية السلب لتفعل أي شيء من هذا القبيل. لا بد وأن حماراً مراهقاً اصطحبوه معهم كحامل سلاح فقد أعصابه وتسبب بهذا. ربما قام ماريوت بحركة ما مريبة فانقض عليه مراهق ما وحطم وجهه بسرعة، قبل أن يتمكن أحدهم من منع حدوث ذلك. نحن هنا أمام عصابة منظمة تجمع معلوماتها بدقة عن المجوهرات وعن تحركات السيدات اللواتي يتزين بها. انهم يطلبون مبالغ متواضعة لإرجاع المسروقات. لكننا من جانب آخر أمام جريمة زقاق لا تناسب أسلوب هؤلاء على الاطلاق. ما أعتقده هو أن القاتل جرت تصفيته لاحقاً، وانه الآن في أعماق الباسيفيكي مثقلاً بأرطال من الاسمنت. قد يكون عقد اليشب مترسباً الآن معه في الأعماق، أو انهم اكتشفوا قيمته الحقيقية وأخفوه في مكان

سيرقد فيه فترة طويلة ـ وربما لن يجرؤوا على اظهاره مجدداً قبل سنوات كثيرة. وإن كانت العصابة كبيرة ومهمة، فقد يظهر العقد في الطرف الآخر من العالم. يبدو مبلغ الثمانية آلاف دولار زهيداً جداً ان سلمنا جدلاً انهم يعرفون قيمة العقد الحقيقية. لكنهم سيجدون صعوبة كبيرة في بيعه. إلا اني متأكد من أمر واحد، وهو انهم لم يقصدوا البتة قتله».

كانت آن ريوردان تستمع إلي منفرجة الشفتين ومنتشية وكأنها تنظر الى الدالاي لاما.

أغلقت فمها ببطء وهزت رأسها مرة واحدة وقالت: «أنت رائع»، ثم قالت بعذوبة: «لكنك مجنون».

وقفت ماسكة حقيبتها: «هل ستقوم بزيارتها أم لا؟».

ـ «لا يستطيع راندال منعي. ان كلفتني هي بالقضية».

ـ حسناً سوف أقابل صحافياً اجتماعياً آخر وأجمع بعض المعلومات الاضافية عن عائلة غرايل ان استطعت. خصوصاً عن علاقاتها الغرامية. لابد ان لديها علاقات من هذا النوع أليس كذلك؟».

كان وجهها المكلل بالشعر الأحمر ممتلئاً حماسة.

قلت هازئاً: «أويوجد من ليس لديها علاقات غرامية؟».

ـ «أنا، في الواقع ولا مرة».

رفعت يدي وأغلقت بها فمي. تطلعت الي بحدة وتحركت في اتجاه الباب.

قلت: «لقد نسيت أمراً واحداً».

توقفت واستدارت: «ماذا؟». ونظرت الى الطاولة.

«أنت تعرفين جيداً ما هو».

عادت الى الطاولة وانحنت فوقها ناظرة إليّ ببراءة: «لماذا سيقتلون الرجل الذي قتل ماريوت، ان كان أمرهم لم يكتشف؟».

ـ «لأنه من النوع الذي يسهل القبض عليه، وسوف يعترف بسهولة حينئذ. وخصوصاً حين سينتزعون منه مخدّراته. ما أقصده انهم ليسوا من النوع الذي يقتل زبائنه».

ـ «ما الذي يجعلك متأكداً من أن القاتل يتعاطى المخدرات؟».

ـ «لست متأكداً. لقد خمّنت فقط. معظم المراهقين يفعل هذا».

ـ «آه». تراجعت، أطرقت موافقة وابتسمت، «أظنك تعني هذه»، قالت هذا وتناولت بسرعة من حقيبتها كيساً صغيراً شفافاً ووضعته على الطاولة.

تناولته، حللت رباطه المطاطي بعناية وفتحت الكيس الورقي. في الكيس كانت ثلاث سجائر روسية ثخينة ورقية الأعقاب. نظرت اليها ولم أتفوه بحرف.

قالت تقريباً بانقطاع النفس: «أعرف انه ما كان يجدر بي أن آخذها. لقد عرفت تواً انها مخدرات. كانوا يضعونها عادة في أوراق عادية إلا أنهم أصبحوا يوزعونها بهذا الشكل مؤخراً في باي سيتي. لقد رأيت الكثير منها. يخالجني انه أمر قاس أن تجد رجلاً فقيراً ميتاً وفي جيبه سجائر ماريجوانا».

قلت بهدوء: «كان ينبغي أن تأخذي العلبة المطرّزة أيضاً.

كان هناك بقايا فيها. ان العثور عليها فارغة قد زرع الشك في نفوسهم».

ـ «لم أستطع أن أفعل ذلك وأنت موجود معي. لقد فكرت أن أعود وآخذها ولقد كدت أفعل ذلك. ولكني لم أجرؤ. هل سبب لك هذا متاعب؟».

كذبت قائلاً: «لا. ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟».

قالت بجديّة: «أنا سعيدة أني لم أسبب لك أي أذى».

ـ «لماذا لم ترميها؟».

فكرت في هذا، وكانت حقيبتها ملتصقة بجنبها، وقبعتها الغريبة ببريمها قد أخفت احدى عينيها.

قالت أخيراً: «أظن اني لم أفعل لأني ابنة شرطي. ليس في مقدوري أن أرمي دليلاً». كانت ابتسامتها الآن هشة مذنبة وتورد خدّاها. هززت كتفي بلامبالاة.

ـ «حسناً» قلت وتسمّرت كلمتي في الهواء، مثل دخان في غرفة مقفلة. وبقيت شفتاها مفتوحتين بعد تفوّهها بذلك. لم أقل شيئاً، وتضاعف احمرار وجنتيها.

ـ «أنا آسفة جداً ما كان ينبغي أن أفعل ذلك».

تجاهلت ما قالت مرة أخرى.

توجهت بسرعة نحو الباب وخرجت.

ـ ١٤ ـ

لمست واحدة من السجائر الروسية الطويلة باصبعي ثم مددتها بترتيب أنيق الواحدة قرب الأخرى وتهالكت على

كرسيّ. لا يمكن رمي أي دليل. إذن هذه السجائر دليل. دليل على ماذا؟ أن يدخن هذا الرجل بين وقت وآخر سيجارة ماريجوانا، هذا يعني انه كان منجذباً الى الأشياء الغريبة. من ناحية أخرى، ان عدداً كبيراً من الرجال الأقوياء يدخنون الماريجوانا، وهي منتشرة أيضاً بين أوساط فرق الموسيقى، وتلامذة الكليات، وأيضاً الفتيات اللطيفات اليائسات. الحشيشة الأميركية، نبتة يمكن أن تزرع وتنمو في أي مكان. القانون حرّم زراعتها الآن. وهذا يعني الكثير في بلد كبير كالولايات المتحدة الأميركية.

جلست هناك أنفخ غليوني ومستمعاً لقعقعة الآلة الكاتبة خلف جدار مكتبي، الى فرقعة شارات السير المتغيرة على بولفار هوليوود، وحفيف الربيع في الهواء الشبيه بطيران كيس ورقي فوق رصيف اسمنتي.

كانت سجائر كبيرة جداً، ولكن هكذا كانت معظم السجائر الروسية، والماريجوانا نبتة خشنة، القنّب الهندي. حشيشة أميركية. دليل. يا الهي كم هي عجيبة هذه القبعات التي ترتديها النساء. آلمني رأسي. اللعنة.

انتشلت مطواتي وأخرجت شفرتها الصغيرة الحادة، تلك التي لم أنظف بواسطتها غليوني، وتناولت واحدة من السجائر. هكذا يفعل خبير الشرطة الكيميائي. ذبحت واحدة عند الوسط وتفحصت كبداية ما كان بداخلها بواسطة الميكروسكوب. كان لابد وأن يكون هناك شيء غير عادي فيها. لا أظن ان هذا محتمل، ولكن سحقاً ماذا يهم. ان

خبراء الشرطة يتقاضون أجورهم آخر الشهر وليس لديهم ما يفعلون غير ذلك.

كان عقب السيجارة قاسياً لا يمكن قصّه. جيد، ولكني رجل قويّ واستطعت قصّه. حاولوا منعي ان استطعتم.

احتوى العقب قطعاً صغيرة لمّاعة من الورق الملفوف. كانت ملتصقة ببعضها بعضاً وكان مطبوعاً عليها كتابات. جلست في مقعدي وفرشتها على الزجاج بترتيب، لكنها تبعثرت فوق الطاولة. التقطت سيجارة أخرى وحدقت في عقبها، ثم رحت أعالجه بالمطواة بطريقة مختلفة. قصصت السيجارة نزولاً الى حيث بدأ العقب. كانت الوررقة التي لفتها رقيقة، كنت أستطيع تحسس ما كان تحتها. وبعدها قطعت العقب بعناية، وثم بعناية أكبر قصصت غلافه الطويل ما يكفي لفتحه فقط. فتحته ولكنني هذه المرة لم ألمس اللفة الكرتونية الصغيرة. فرشتها بلذّة. كانت بطاقة شخصية لرجل ما. رقيقة شاحبة اللون عاجية. كان مكتوباً عليها بدقة كلمات ظليلة بالكاد مرئية. في زاويتها السفلية اليسرى رقم هاتف «ستيلوود هايتس». في الزاوية السفلية اليمنى عبارة «الإستشارة بواسطة موعد فقط». في الوسط وبحروف أكبر، إنما بالكاد مرئية أيضاً كتب «جول آمثور». وتحتها وبأحرف أصغر، «محلل نفسي».

تناولت السيجارة الثالثة. هذه المرة انتشلت البطاقة من غير أن أقص شيئاً ولكن بصعوبة أكبر. كانت البطاقة هي نفسها، ثم أعدتها الى حيث كانت.

رمقت ساعة معصمي، وضعت الغليون في منفضة، ثم كان علي أن أنظر مرة أخرى الى ساعتي لأعرف الوقت. ثم لففت

السيجارتين المقصوصتين والبطاقة المقطّعة في جزء من الكيس الورقي. أما تلك غير المقصوصة والتي بقيت البطاقة فيها فقد وضعتها وحدها في جزء آخر من الكيس الورقي، ثم أقفلت على الورقتين الملفوفتين في أحد أدراجي.

قعدت محدقاً في البطاقة. جول آمثور، محلل نفسي يستقبل بموعد مسبق فقط «ستيلوود هايتس»، رقم الهاتف، ومن دون عنوان. كان هناك ثلاث بطاقات متشابهة ملفوفة داخل ثلاث سجائر حشيشة داخل علبة سجائر حريرية صينية أو يابانية مطرزة الجوانب. علبة يبلغ ثمنها حوالى الـ٣٥ أو ٧٥ دولاراً في أي متجر لبيع التحف الشرقية، مثل الـ هوي فوي سينغ أو لونغ سينغ تونغ. في متاجر كهذين حيث يستقبلك هاشاً ياباني حسن اسلوك، ويضحك لك من قلبه حين تقول له ان رائحة البخور العربي تشبه رائحة الفتيات في أزقة سان فرانسيسكو القذرة.

وكل هذا في جيوب رجل هو الآن ميت، وكان يحمل أيضاً علبة سجائر أخرى ثمينة للفافات كان دخّنها.

لا بد انه نسي هذه السجائر الثلاث. لم يكن هذا منطقياً البتة. ربما لم تكن خاصته أصلاً. ربما كان عثر عليها في ردهة فندق ما، ونسي انه كان يحملها. نسي أن يسلمها لمدير الفندق. جول آمثور، محلل نفسي.

رن الهاتف وأجبت عليه تائه البال. كان في صوت المتصل قساوة ساكنة لشرطي يعتقد انه بارع. كان راندال. لم يكن يعوي. كان من النوع الجليدي الأعصاب.

ـ «هكذا إذن، أنت لم تعرف من كانت الفتاة التي أقلتك

ليلة البارحة؟ لقد أقلتك الى البولفار وكنت وصلت مشياً الى هناك. كذبة جيدة يا مارلو».

- «قد تكون لديك فتاة، وأظنك لن ترضى أن يتقافز صحافيون ومصوّرون من الأشجار ويسلطون على وجهها ومضات كاميراتهم من غير سبب».

- «لقد كذبت عليّ».

- «بكل سرور».

صمت لوهلة وكأنه يقرر شيئاً. وقال: «سنتناسى هذا. لقد قابلتها جاءت إلي وأخبرتني قصتها صدف انها ابنة رجل كنت أعرف وأحترم».

قلت له: «لقد أخبرتك، وأخبرتها أنت».

قال ببرودة: «أخبرتها الشيء اليسير. ولسبب معيّن. واني أتصل بك للسبب نفسه. سيكون هذا التحقيق سريّاً. لدينا فرصة للقبض على عصابة المجوهرات هذه، وسوف ننجح في ذلك».

- «آه. أنت تظن هذا الصباح انها جريمة عصابة. حسناً».

- «بالمناسبة، ان البقايا التي كانت في علبة السجائر كانت من الماريجوانا. من ذاك الصنع الذي ترسم عليه صورة تنّين. هل أنت متأكد انك لم تره يدخن واحدة منها؟».

- «أنا واثق من هذا. كان دخن في حضوري من الصنف الآخر فقط. لكنه لم يكن معي طوال الوقت».

- «آه. فهمت. حسناً هذا كل شيء. تذكر ما قلت لك ليلة

البارحة. لا تحاول العبث في هذه القضية. كل ما نبغيه منك هو الصمت. وإلاّ...».

توقف، وتثاءبت أنا في فم السمّاعة. ثم انبرى بحدّة: «لقد سمعت هذا، انك تعتقد انه ليس في وسعي تنفيذ تهديدي. أنت مخطىء. أي خطأ من جانبك وسأقبض عليك كشاهد عيان مشتبه به».

- «هل تعني ان الصحف ستنشر تفاصيل القضية؟».

- وسوف نعلمهم فقط بأمر الجريمة - لكنهم لن يعرفوا خلفياتها».

قلت: «هذا لسان حالك أنت أيضاً».

قال: «لقد حذّرتك الى الآن مرتين. المرة الثالثة ستكون قاضية».

قلت: «انك تثرثرُ أكثر مما ينبغي بالنسبة لرجل مثلك يمسك بكل الأوراق».

صفق السماعة بوجهي من جراء كلامي هذا. حسناً، فليذهب الى الشيطان. فليتخبط وقضيته.

تجوّلت في الغرفة قليلاً لأسترجع هدوئي، سكبت لنفسي كأساً صغيرة، رمقت ساعتي مجدداً من غير أن أرى ما كان الوقت، ثم قعدت الى الطاولة مجدداً.

جول آمثور، محلل نفسي. الاستشارات بواسطة موعد مسبق فقط. أعطه الوقت الكافي والمال الكافي وفي وسعه أن يشفي مطلق حالة، من زوج متعب حتى غزو الجراد. لابد انه خبير في أحوال العلاقات الغرامية البائسة، في نساء يستوحشن

ليلاً وغير راضيات بذلك، في قضايا الشبّان والشابات المتشردات اللواتي لا يراسلن أهلهن. في مسائل بيع العقارات أو إرجاء ذلك الى سنة مقبلة. في مسائل الفنانات المرتبكات في اختيار أدوارهن السينمائية. يمكن أن يتسلل الى عيادته رجال أيضاً؛ رجال أقوياء وعمالقة يزمجرون في مكاتبهم كالأسود، بينما هم في الواقع ضعفاء غير متوازنين. ولكن العدد الأكبر من زبائنه هو من النساء. بدينات لاهثات، نحيلات ممصوصات، عجائز رومنطيقيات، وشابات تهجسن انهن مصابات بعقدة إليكترا. نساء من كل الأحجام والأشكال والأعمار، ولكن تجمعهن صفة مشتركة ـ وهي أنهن ثريات. لا معاينات مجانية للسيد جول آمثور نهار الخميس في مستشفى المقاطعة المجاني. فالعاهرات الثريات اللواتي يحاكمن على امتناعهن من دفع فواتير الحليب يدفعن له بدل زياراتهن الخيالي عداً ونقداً.

انه نصاب وخبير بكل أنواع الخدع. قد يبيع الهواء، ومن النوع الذي تجد بطاقته العملية ملفوفة داخل سيجارة حشيشة داخل جيب رجل ميت.

سيكون الأمر ممتعاً. تناولت سماعة الهاتف وسألت عاملة الاستعلامات عن رقم عيادة ستيلوود هايتس.

ـ ١٥ ـ

أجاب صوت امرأة، كان جافاً فيه بحة ولكنة أجنبية: «آلو».

ـ «هل أستطيع التحدث مع السيد آمثور؟».

ـ «آه. لا. أنا آسفة. آسف.. فة.. جد.. أ. آمثور لا يتحدث أبداً على الهاتف. أنا سكرتيرته. هل تريد أن تترك له رسالة؟».

ـ «ما هو عنوانكم. أريد أن أراه».

ـ «آه. هل تريد أن تستشير السيد آمثور؟ سيسعده هذا كثيراً. لكنه منشغل كثيراً. متى ترغب في رؤيته؟».

ـ «حالاً. في أي وقت اليوم».

ـ «آه»، لفظت بأسف، «هذا غير ممكن. ربما في الأسبوع المقبل. سأنظر في دفتر المواعيد».

قلت لها: «اسمعي، لا لزوم لدفتر المواعيد. هل لديك قلم؟».

ـ «بالطبع لدي قلم. أنا...».

ـ «دوّني هذا. اسمي فيليب مارلو. عنواني هو ٦١٥ في مبنى كاهوينغا في هوليوود. انه يقع على بولفار هوليوود على مقربة من متجر أيفار. رقم هاتفي هو ٧٥٣٧ في منطقة غلينفيو». رددت لها بتمهل الأسماء الصعبة وانتظرت.

ـ «أجل يا سيد مارلو. لقد دونت كل شيء».

قلت لها مردداً ببطء: «أرغب في رؤية السيد آمثور لمسألة تتعلق برجل يدعى ماريوت. انها مسألة خطيرة ومستعجلة. قضية حياة أو موت. يجب أن أقابله سريعاً. س.ر.ي.ع.اً سريعاً». وتابعت بنبرة مختلفة، «هل كلامي واضح؟».

قالت مجدداً بلكنتها الأجنبية: «انك تتكلم بغرابة شديدة».

ـ «لا»، حملت ماكينة الهاتف وهززتها، «أنا على ما يرام. أنا أتحدث دائماً هكذا. انها مسألة في منتهى الغرابة. سوف

يقابلني السيد آمثور بكل تأكيد. أنا تحري خاص، ولكني لا أريد التوجه الى الشرطة قبل مقابلة السيد آمثور».

- «آه»، وكان صوتها الآن بارداً كغداء كافيتريا: «أنت من الشرطة، أليس كذلك؟».

قلت: «اسمعي جيداً. أنا لست رجل شرطة أنا تحري خاص. هذه مسألة سريّة. ولكنها مستعجلة وخطيرة جداً أيضاً. ستتصلين بي، أليس كذلك؟ لديك رقم هاتفي، أليس كذلك؟».

- «أجل. لدي رقم هاتفك. هل السيد ماريوت مريض؟».

- «في الواقع، لا أستطيع أن أقول انه بأحسن حال. إذن أنتم تعرفونه؟».

- «لكن.. لا. أنت تقول انها مسألة حياة أو موت. ان السيد آمثور يشفي الكثير من الأشخاص...».

أجبتها: «أظن انه أخفق هذه المرة. أنا في انتظار مكالمتك».

أقفلت السمّاعة وانتشلت قنينة المكتب. شعرت كما لو أني خرجت من فرّامة لحم. مضت عشر دقائق. ثم رن الهاتف، وقال الصوت:

«سيقابلك السيد آمثور عند الساعة السادسة».

- «هذا ممتاز. ما هو العنوان؟».

- «سيبعث لك سيارة تقلّك».

- «لدي سيارتي الخاصة. أعطِني فقط..».

- «سيبعث لك سيارة تقلك»، رددت هذا ببرودة وسمعت طقة انغلاق السماعة.

رمقت ساعتي مرة أخرى. كان الوقت تخطى وقت الغداء. احترقت معدتي بفعل الكأس الأخيرة. لم أكن جائعاً. أشعلت سيجارة. كان طعمها أشبه بطعم محرمة سنكريّ. هززت رأسي متطلعاً عبر الغرفة الى السيد رامبرانت، ثم تناولت قبعتي وخرجت. كنت في منتصف الطريق الى المصعد حين خطرت لي فجأة فكرة. خطرت لي من دون أدنى سبب أو منطق، سقطت علي مثل حجر طوب طائش. توقفت واتكأت الى جدار رخاميّ، دفعت قبعتي في الاتجاهات وأخذت بغتة أضحك.

الفتاة المتوجهة من المصعد الى مكان عملها استدارت وتطلعت الي بطريقة شرسة. لوحت لها بيدي وعدت الى مكتبي وانتشلت سماعة الهاتف. اتصلت برجل أعرفه كان يعمل مسؤولاً في سجلات شركة عقارية.

سألته: «هل تستطيع أن تعرف اسم مكان ما بواسطة عنوانه فقط؟».

- «بالتأكيد. لدي هنا سجلات كاملة. ما هو العنوان؟».

- «الرقم ١٦٤٤ غربي الشارع رقم ٥٤. وأريد أن أعرف بعض المعلومات عن وضع هذا المبنى».

- «من الأفضل أن أتصل بك بعد قليل. أعد لي العنوان».

اتصل بي بعد ثلاث دقائق تقريباً.

قال: «تناول قلمك. انه العقار رقم ٨ من المجمع رقم ١١ الواقع في المنطقة الرابعة من مابلوود. ان المالكة الحالية، مع التحفظ حول بعض التفاصيل هي أرملة تدعى جيسي بيرس فلوريان».

ـ «حقاً. أية تفاصيل؟».

ـ «دفع نصف الضريبة العقارية. قرضان لمدة عشر سنوات من أجل إعادة تطيين الجدران الخارجية. قرض لمدة عشر سنوات أيضاً من أجل إصلاح مزاريب مياه الشتاء. كل هذه الديون دفعت أقساطها في حينها، إضافة الى قرض أول بمبلغ ٢٦٠٠ دولار».

ـ «يمكن القول بكلام آخر انهم يسلبونك الملكية خلال عشر دقائق».

ـ «ليس بهذه السرعة إنما بالتأكيد أسرع من الرهن العقاري. ليس هناك شيء مريب في المسألة سوى قيم القروض التي تبدو مرتفعة جداً بالنسبة الى هذا الحي. إلا إذا كان المبنى فخماً جداً».

ـ «انه منزل قديم جداً، وفي حالة سيئة. حسب رأيي يمكن شراؤه بأقل من ١٥٠٠ دولار».

ـ «إذاً فإن المسألة غريبة تماماً. إذ انه تم تحديد القروض قبل أقل من أربع سنوات فقط».

ـ «حسناً. من هو المدين؟ أهي شركة عقارية؟».

ـ «لا. انه طرف خاص. رجل يدعى ليندساي ماريوت وهو عازب. هل من شيء آخر؟».

نسيت ما قلت له وكيف شكرته. أعتقد انها لم تبد غير مجرد كلمات. قعدت هناك محدقاً فقط في الجدار.

تحسّن وضع معدتي فجأة. نزلت الى مقهى مانزون هاوس

وتناولت طعام الغداء. ثم خرجت بسيارتي من الموقف القريب من عمارة مكتبي.

قدت سيارتي جنوباً ثم شرقاً نحو الشارع رقم ٥٤. لم أحمل معي قنيني هذه المرّة.

- ١٦ -

بدا الحي كما عهدته في اليوم السابق. كان الشارع مقفراً باستثناء شاحنة براد ضخمة، وسيارتي فورد الى جانب الطريق ودوّامة من الأغبرة في احدى الزوايا. قدت متمهلاً مجتازاً الرقم ١٦٤٤ وأوقفت السيارة بعيداً بعد أن تفحصت ملياً البيوت المحيطة من الجانبين. مشيت عائداً وتوقفت أمام المنزل، ناظراً الى شجرة النخيل الباسقة والى الحديقة الجافة أمامه. بدا المنزل فارغاً، ولعلّه لم يكن كذلك. كان يبدو فقط كذلك. كانت الكرسي الهزاز لاتزال على الشرفة حيث ثبتت البارحة. كان هناك ورقة مرمية في الممر الموصل ال المنزل. التقطتها، صفقتها على قدمي ورأيت بعدها تحرك ستارة في المنزل المجاور في النافذة الأمامية القريبة.

انها تلك العجوز الفضولية من جديد. تثاءبت مخفضاً قبعتي. كان أنف مروّس يتسطح ملتصقاً بزجاج النافذة الداخلي، كان هناك فوقه شعر أبيض، اندفعت في الممر وراقبتني العينان. ثم تحولت في اتجاه المنزل تسلقت الدرجات الخشنة وضغطت جرس الباب.

اندفع الباب مفتوحاً بقوة، كأنه كان مشدوداً بزنبرك.

كانت عجوزاً طويلة ذات ذقن أشبه بذقن أرنب. كانت عيناها حادتين كنور تعكسه مياه راكدة. رفعت قبعتي محيياً.

ـ «هل أنت السيدة التي اتصلت بالشرطة في شأن مسألة السيد فلوريان؟».

حملقت فيَّ بهدوء ولم تخطىء أي تفاصيل فيَّ، حتى الشامة التي زيّنت الجزء الأيمن من عنقي.

ـ «لن أقول اني هي، ولن أقول اني لست هي أيها الشاب. من أنت؟». كان في صوتها خنّة فهو مناسب جداً لاجتماعات أعضاء البلدية.

ـ «أنا تحري».

ـ «رباه. لماذا لم تقل هذا من البداية؟. ما الذي فعلته الآن؟ أنا لم أر شيئاً على الرغم من أني لم أتوقف عن المراقبة دقيقة واحدة. لقد أرسلت هنري للتسوّق بدلاً مني. لكني لم أسمع مطلق صوت من هناك».

صفقت الباب مجدداً من غير أن تقفله بعد أن أدخلتني. انبعثت في الغرفة رائحة طلاء مفروشات. كانت الغرفة تغص بالمفروشات القاتمة اللون والتي كانت مرّة جميلة الطراز. ثم توجهنا الى غرفة أمامية كان كل ما فيها مطرزاً بالدانتيلا.

سألت فجأة بنبرة مشككة: «قل لي. أنا لم أرك البتة من قبل؟ آه بالطبع رأيتك. كنت الرجل الذي...».

ـ «هذا صحيح. ولكني أبقى على الرغم من ذلك تحرياً. من هو هنري؟».

ـ «آه. انه مجرد صبيّ زنجي أبعثه للقيام بمشترياتي. جيد.

ماذا تريد أيها الشاب؟» ربتت على مريولها المقطّع بالأحمر والأبيض النظيف ونظرت الي بعينيها الصغيرتين الضيقتين. ثم طقطقت وجبة أسنانها أكثر من مرة في سبيل التجربة.

- «هل زارك رجال الشرطة بعدما توجهوا البارحة الى منزل فلوريان؟».

- «أي شرطة؟».

قلت بصبر: «شرطة في الزي الرسمي».

«أجل لقد مرّوا الى هنا دقيقة فقط. لم يعرفوا أي شيء».

- «صفي لي الرجل العملاق. ذاك الذي كان يحمل مسدساً وجعلك تتصلين بالشرطة».

وصفته لي بدقة بالغة. كان مالوي بالذات.

- «أي نوع من السيارات كان يقود؟».

- «سيارة صغيرة. بالكاد استطاع الركوب فيها».

- «هل هذا كل ما عندك؟ ان هذا الرجل مجرم!».

انشدق فمها لكن عينيها كانتا فرحتين: «رباه. أتمنى لو كنت أستطيع أن أخبرك أكثر أيها الشاب. لكني لا أعرف الكثير عن السيارات. جريمة، هم؟ لا أمان في هذه المدينة. عندما أتيت الى هنا منذ اثنتين وعشرين سنة كنا بالكاد نغلق الأبواب. الآن تجد رجال العصابات والشرطة الفاسدة والسياسيين يتحاربون بالمدافع الرشاشة، هكذا سمعت. هذه فضيحة أيها الشاب».

- «أجل. ماذا تعرفين عن السيدة فلوريان؟».

تجعّد فمها الصغير وقالت: «انها لا تتعاطى مع أحد. وترفع

الراديو في وقت متأخر من الليل وتغني معه. انها لا تتكلم مع أحد». انحنت قليلاً الى الأمام وتابعت، «لست متأكدة تماماً، ولكني أعتقد انها تتعاطى الخمرة».

ـ «هل تستقبل الكثير من الزوار؟».

ـ «لا أحد يزورها البتة».

ـ «بالطبع ستعرفين ان زارها أحد ما يا سيدة...».

ـ «سيدة موريسون. بالطبع أجل سأعرف. ما الذي سيشغلني غير التلصص عبر النوافذ؟».

ـ «أراهن انك تستمتعين بهذا. هل السيدة فلوريان تعيش هنا منذ وقت طويل؟».

ـ «منذ عشر سنوات تقريباً، كما أذكر. كان لها زوج. وقد بدا لي رجلاً شريراً. لقد مات». توقفت مستغرقة في التفكير، «أظن انه مات ميتة طبيعية. لم أسمع أبداً ما يخالف هذا».

ـ «هل ترك لها مالاً؟».

فجأة تقلصت عيناها ثم ذقنها، وراحت تشتّم بحدّة، وقالت بفتور: «لقد كنت أشرب الخمرة. لقد اقتلعت للتو ضرساً. لقد شربته حسب رغبة الطبيب.

أنا أكره هذا المشروب.

إنها عادة سيئة، إلا في الاستخدامات الطبية.

أنا ضده حتى في المجال الطبّي».

قلت: «أظن انك محقة. هل ترك لها أية أموال؟ أقصد زوجها؟».

- «لست أدري» كان فمها الآن بحجم خوخة وناعماً مثلها. كان لابد أن أعجّل.

- «هل زارها أحد منذ قدوم الشرطة؟».

- «لم أر أحداً».

- «شكراً جزيلاً يا سيدة موريسون. لن أزعجك بعد الآن. لقد كنت لطيفة ومتعاونة جداً».

مشيت الى خارج الغرفة وفتحت الباب. تبعتني وتنحنحت، وطقطقت بأسنانها عدة مرّات.

سألت وقد لانت بعض الشيء: «بأي رقم أتصل إن رأيت أي شيء ؟».

- «بالرقم ٥٠٠٠ - ٤ في منطقة الجامعة. اطلبي الليوتنانت نولتي. بأي مال تعيش، هل تعمل مساعدة اجتماعية؟».

قامت متضايقة: «هذا ليس بالجوار المناسب لهكذا عمل».

- «أظن ان هذه البوفيه كانت مرة أجمل قطعة أثاث في منطقة شلالات سيوكس». قلت هذا محدقاً في البوفيه المحفور الموضوع في الرواق بسبب ضيق مساحة غرفة الطعام. كان طرفاه محنيّين وهكذا كانت أيضاً قوائمه الرفيعة، كان محفوراً ومزخرفاً بكليته، وكانت قد رسمت سلة فاكهة فوق واجهته.

قالت بنعومة: «في الواقع مايسون سيتي. أجل يا سيدي. كنا نملك يوماً منزلاً جميلاً أنا وجورج. كان أجمل البيوت».

فتحت الباب الواقي اجتزته ثم شكرتها مجدداً. انها الآن تبتسم لي. كانت ابتسامتها حادة كعينيها.

قالت فجأة: «انها تتلقى رسالة مضمونة عند بداية كل شهر».

استدرت منتظراً أن تكمل. انحنت مقتربة مني: «يصعد ساعي البريد الى بابها ويجعلها توقّع الايصال. دائماً عند أول يوم من كل شهر. ثم ترتدي ثيابها وتخرج. ولا تعود قبل وقت متأخر جداً. وتروح تغني طوال الليل. كان يمكن أن أتصل بالشرطة فهي تغني أحياناً بصوت مرتفع جداً».

ربتت على ذراعها الهزيل.

قلت: «إنك فريدة من نوعك يا سيدة موريسون». اعتمرت قبعتي. أحنيتها لها وغادرت. عند منتصف الطريق في الممر راودني شيء فقفلت راجعاً. كانت لاتزال واقفة وراء الباب الواقي، وكان باب البيت مفتوحاً وراءها. ثم صعدت مرة أخرى الدرجات.

ـ «غداً هو أول الشهر» وأضفت، «أول نيسان. أو يوم «كذبة أول نيسان». هلاّ تأكدت لي من أنها ستتلقى غداً رسالتها المضمونة. هل تستطيعين أن تقدمي لي هذه الخدمة يا سيدة موريسون؟».

التمعت عيناها محدقة فيّ. وبدأت فجأة تضحك. ضحك امرأة عجوز: «يوم كذبة أول نيسان»، وأضافت بضحكة مكبوتة، «ربما لن تحصل على رسالتها». تركتها وهي تضحك. كان صوتها أشبه بدجاجة محوزقة.

ـ ١٧ ـ

لم يجب أحد على رنين الجرس أو على قرعي الباب.

حاولت مجدداً. لم يكن الباب الواقي مقفلاً. حاولت فتح باب المنزل الأساسي، كان غير مقفل أيضاً. دخلت.

لم يتغيّر أي شيء، ولا حتى عبق مشروب «الجين» في المنزل. وكذلك مرة ثانية لم يكن هناك أية جثة على الأرض. وقفت. كأس متسخة وحيدة فوق اسكملة الى جانب الكرسي حيث جلست السيدة فلوريان بالأمس. كان الراديو مطفأ. توجهت الى الكنبة الطويلة وتحسست وساداتها. ما كان مدسوساً هناك لم يكن سوى قنينتي القديمة المستشهدة وبرفقتها مجندة أخرى.

ناديت. لم يجب أحد. ثم خيّل لي اني سمعت ثمة تنفساً طويلاً بطيئاً وأليماً أشبه بالأنين. عبرت تحت القنطرة وتسللت عبر الرواق الصغير. كان باب غرفة النوم نصف مشرع وكان الأنين ينبعث من خلفه. دفعت رأسي الى الداخل وتطلعت.

كانت السيدة فلوريان في السرير. كانت مستلقية على ظهرها. كان اللحاف يغطيها ويصل الى حدود ذقنها. احدى شرّابات اللحاف كانت تقريباً داخل فمها. كان وجهها الشاحب الرخو أشبه بوجه ميت، وانفرش شعرها القذر على الوسادة. انفتحت عيناها ببطء وتطلّعت إليّ من دون أدنى تعبير. كانت الغرفة تعبق برائحة النوم والمسكر والثياب المتسخة النتنة. كان ثمة منبّه بخس فوق المنضدة المقشرّة الرمادية المقطعة بالبياض. كانت تكّاته المرتفعة قادرة على زحزحة جدار. فوق الساعة أظهرت مرآة وجه المرأة مشوّهاً. كان صندوق الثياب الذي انتشلت منه الصور الفوتوغرافية لايزال مشرعاً.

بادرتها: «مرحباً يا سيدة فلوريان. هل أنت مريضة؟».

زمّت شفتيها ببطء، مرغت الواحدة بالأخرى ثم زلقت لسانها ورطبتهما، مليّنة فكيها. خرج صوتها من فمها وبدا أشبه بتشوّش أسطوانة فونوغراف بالية. أظهرت عيناها الآن انها عرفتني غير انهما لم تكونا سعيدتين بهذا.

- «هل قبضت عليه؟».

- «الموظ؟».

- «بالتأكيد».

- «ليس بعد. قريباً إنشاء الله».

زمت عينيها ثم فتحتهما بسرعة كأنما لمحو غشاوة ارتدتهما.

قلت: «ينبغي أن تبقي باب منزلك مقفلاً. ربما قد يعود اليك».

- «هل تظن اني أخشى الموظ، هه؟».

- «لقد أوحيت لي بذلك حين تحدثت اليك البارحة».

جعلتها تفكر في ذلك. كان التفكير أمراً عسيراً بالنسبة اليها: «هل تحمل أية كحول؟».

- «لا، لم أحضر أي شيء معي اليوم يا سيدة فلوريان. إني مفلّس بعض الشيء».

- ««الجين» مشروب رخيص ومنعش».

- «قد أخرج وأحضر قليلاً منه بعد قليل. قولي لي لماذا لا تخافين الموظ؟».

- «وما الداعي؟».

- «حسناً أنت لست خائفة منه. إذن ما الذي يخيفك؟».

شعّ وجهها فجأة ثم ضمر متلاشياً: «آه، أخرج حالاً، أنتم رجال الشرطة مزعجون».

لم أجب. اتكأت على حافة الباب ودسستُ سيجارة في فمي، وحاولت قلبها بشفتي لتلمس أنفي. وهذه الحركة أصعب مما قد تظن.

ـ «الشرطة»، رددت متمهلة كما لو انها تحدث نفسها، «لن تستيطع أبداً القبض على هذا الرجل. انه بارع ومحشو بالمال ولديه الكثير من الأصدقاء. أنت تضيّع وقتك أيها الشرطي».

قلت: «إنها فقط مسألة روتينية. لقد كان ما فعله دفاعاً عن النفس بأية حال. أين يمكن أن يكون؟».

ضحكت هازئة ومسحت فمها باللحاف القطني.

ـ «أغرب عن وجهي الآن. أيها المخنث المتحاذق. هل تظن انك ستنجح في خداعي بهذه الألاعيب؟!».

قلت: «لقد أعجبني الموظ».

التمعت عيناها باهتمام وسألت: «هل عرفته؟».

ـ «لقد كنت بصحبته البارحة، حين قتل الزنجي».

شدقت فمها وراحت تقهقه بجنون وكان الصوت الذي أصدرته خفيضاً كتحطّم بسكوتة. ثم انهمرت دموعها.

قلت: «انه رجل عملاق وقوي. ولكنه طيب القلب أحياناً. كان يبحث بجنون عن حبيبته فيلما».

قالت بنعومة: «كنت اعتقدت ان من كان يبحث عنها هم أهلها».

- «هذا صحيح. ولكنك قلت انها ماتت. وماذا بعد. أين ماتت؟».

- «في منطقة دالهارت في تكساس. أصيبت بالتهاب في رئتيها وماتت».

- «هل كنت هناك حينذاك؟».

- «سحقاً. لا. هذا ما سمعت فقط».

- «آه. من الذي أخبرك هذا يا سيدة فلوريان؟».

- «أحد الراقصين الجوّالين. لست أذكر الآن اسمه. ربما سينشّط بعض المشروب ذاكرتي. أشعر أني أكثر ظمأ من وادي الموت».

- «وتبدين أيضاً كبغل ميت». هكذا خطر لي ولكني لم أقله بصوت مرتفع. قلت: «هناك أمر آخر فقط. وانطلق بعده لأحضر لك قنينة «الجين». لقد فتشت على اسم منزلك، ولست أعرف حقيقة ما السبب».

كان جسمها متشنجاً تحت الغطاء، كجسم مانوكان. حتى جفناها كانا متجمدين فوق حدقتيها الكابيتين. كانت أنفاسها الآن طبيعية.

قلت: «هناك رهن كبير على المنزل، بالنسبة الى أسعار العقارات في هذه المنطقة ان الرهن هو لصالح رجل يدعى ليندساي ماريوت».

رفّت عيناها بسرعة، غير أن شيئاً آخر لم يتحرك فيها. وحدّقت فيّ.

قالت أخيراً: «كنت أعمل عنده. كنت خادمة لدى عائلته. انه يهتم بي بعض الشيء».

انتشلت السيجارة المطفأة من فمي ونظرت اليها من غير سبب ثم دسستها فيه مجدداً.

- «البارحة بعد الظهر، بعدما رأيتك ببضع ساعات. اتصل بي السيد ماريوت في مكتبي وعرض علي عملاً».

قالت وكان صوتها الآن أشبه بالنعيق: «أي نوع من العمل؟».

هززت كتفي بلامبالاة: «لا أستطيع أن أقول لك هذا. انه أمر سرّي. لقد قابلته ليلة البارحة».

قالت بصوت غليظ: «أنت ابن عاهرة ذكي»، ثم حركت احدى يديها تحت اللحاف.

حدقت فيها ولم أقل شيئاً.

- «شرطي حاذق» زمجرت قائلة من جديد.

مررت يدي طلوعاً ونزولاً على حافة الباب. أحسست بفعل الغبار الذي تكدس عليه اني قذر وفي حاجة ماسة الى حمّام.

قلت متمالقاً: «حسناً. هذا كل شيء. كنت فقط أتساءل. إنها ربما مجرد مصادفة. لقد خيّل لي فقط ان هذا قد يعني شيئاً ما».

قالت من دون اهتمام: «شرطي حاذق. انك لا تشبه حتى أي شرطي حقيقي. انك مجرد بغل».

قلت: «حسناً معك حق. وداعاً يا سيدة فلوريان. بالمناسبة لا أظن انك ستتلقين غداً رسالتك المضمونة».

أزاحت اللحاف وهبت واقفة وعيناها تقدحان شرراً. التمع شيء ما في يدها اليمني. كان مسدساً ضئيلاً من النوع النسوي. كان عتيقاً وبالياً ولكن على الرغم من ذلك فعالاً.

زمجرت قائلة: «قل لي ما عندك. قل بسرعة».

حدّقت في المسدس وحدق هو بدوره فيّ. ولكن ليس بثبات. كانت اليد التي تحمله ترتجف ولكن عينيها كانتا لا تزالان غاضبتين. وسالت فقاعات ريقها الى جانبي فمها.

انبريت قائلاً: «نستطيع أنت وأنا أن نعمل معاً».

انخفض المسدس وفكّها في آن واحد. كنت على بعد سنتيمترات من الباب. وفيما كان المسدس ينخفض تسلّلت عبره وخرجت من الغرفة.

ثم هتفت وأنا أبتعد: «فكري في عرضي».

لم أسمع أي جواب. أي صوت على الاطلاق. اندفعت بسرعة عبر الرواق وغرفة الطعام. إلى خارج المنزل. شعرت بألم في ظهري وأنا أهبط الممر. كانت عضلاته منمّلة.

لم يحدث بعدها أي شيء. تابعت الى سيارتي عابراً الطريق. ركبتها وغادرت المكان.

كان آخر نهار من آذار وكانت الحرارة أقرب الى الصيف. خطر لي أن أخلع سترتي وأنا أقود.

أمام مركز الشرطة في الشارع رقم ٧٧ كان هناك شرطيان من الفصيلة الجوّالة منحنيان أمام حاجز للاصطدامات. عبرت

الأبواب المتأرجحة ووجدت ضابطاً يراجع سجل المهمات وراء حاجز خاص بمكتبه. سألته إن كان نولتي موجوداً في الطبقة العليا، أجاب انه يعتقد ذلك وسألني إن كنت صديقاً له. أجبته بنعم. قال حسناً يمكنك الصعود. وهكذا صعدت الدرجات المهترئة، واجتزت الرواق ثم طرقت الباب. أجاب صوت صارخاً ودخلت.

كان يسوك أسنانه قاعداً على احدى المقاعد واضعاً الساق على الساق. كان يحدق في إبهامه الأيسر رافعاً إياه أمامه على بعد ذراع تقريباً. بدا لي ابهامه بخير، لكن نظرة نولتي اليه كانت قلقة، كما لو انه كان يفكر انه لن يبلى البتة.

ثم أخفضه الى مستوى فخذه ودفع برجله الى الأرض وتطلّع إليّ هذه المرة. كان يرتدي بدلة رمادية قاتمة، وكان عقب سيجار مسحوق بانتظاره على الطاولة لكي ينتهي من تنظيف أسنانه.

قلبت اسفنجة المقعد الممدة على الكرسي الآخر والتي لم تكن مشدودة بمطلق شيء، جلست وزرعت في فمي سيجارة.

ـ «هذا أنت!» قال نولتي هذا وهو يتفحص العود الرفيع الذي كان يسوّك به أسنانه، ليرى إذا كان قد مضغ كفاية.

ـ «هل وُفقّت؟».

ـ «أفي مسألة مالوي؟ لم تعد قضيتي».

ـ «من تولاّها إذن؟».

ـ «لا أحد. ما الفائدة؟ لقد فرّ بالتأكيد. لقد أبرقنا موزعين

مواصفاته الى كل المراكز. علّقنا أيضاً صوره في كل مكان. اللعنة، لابد انه فرّ الى المكسيك منذ وقت طويل».

قلت: «في النهاية لقد قتل زنجياً، هذا كل ما فعل. أعتقد ان فعلته هذه ليست سوى جنحة».

ـ «أما زلت مهتماً بالأمر. لقد خيّل لي انك منشغل؟» وتحركت عيناه الشاحبتان بوهن فوق وجهه.

ـ «لقد كنت مرتبطاً بمهمة ليلة البارحة، ولكنها لم تثمر. هل مازلت تحتفظ بتلك الصورة التي ترتدي فيها فيلما زي المهرج بييرو؟»

تطاول وراح يفتش ثم رفع النشافة الخشبية وسحبها من تحتها، فحدقت في وجهها. ما برحت تبدو جميلة.

قلت: «انها في الحقيقة ملكي. ان كنت لست في حاجة اليها في ملفك. أرغب أن أحتفظ بها».

ـ «أعتقد انه من المفترض أن تضم الى الملف. كنت نسيت ضمها اليه. حسناً، خبئها تحت قبعتك. إذ اني أعدت الملف الى الأرشيف».

دسست الصورة في جيبي الداخلية ووقفت قائلاً بمرح: «حسناً، أظن ان هذا كل ما هنالك».

قال نولتي ببرودة: «إني أشتمّ أمراً ما».

نظرت الى قطعة حبل عند طرف الطاولة. تابعت عيناه نظراتي. رمى قشة الأسنان على الأرض وراح يمضغ سيجاره.

ـ «لست أتحدث عن هذا».

ـ «انه مجرد حدس. لو استطعت اثباته أكثر ،تأكد اني لن أنساك».

ـ «الأمور صعبة هنا. إني في حاجة ماسة الى انجازٍ ما يا صديقي».

قلت: «ان رجلاً يكدّ مثلك يستحق هذا».

شحذ ثقابه على ظفر ابهامه، وفرح لأنه نجح من المرة الأولى. وراح يتنشق دخان سيجاره.

قال نولتي بكآبة وأنا أغادر: «إني أتلوى فرحاً».

كان الرواق ساكناً، البناء بأكمله كان هادئاً. في الأسفل كان الشرطيان الجوالان لايزالان ينظران الى حاجز الاصطدام الواقي في سيارتهما. وقدت سيارتي عائداً الى هوليوود.

كان الهاتف يرن وأنا أدخل مكتبي. انحنيت فوق الطاولة وأجبت: «نعم؟».

ـ «هل من يحدثني هو السيد فيليب مارلو؟».

ـ «أجل. هنا مارلو».

ـ «هنا منزل السيدة غرايل. السيدة لوين لو كريدج غرايل. تود السيدة أن تراك بأسرع وقت تراه مناسباً».

ـ «أين؟».

ـ «العنوان هو الرقم ٨٦٢ منطقة آستر درايف في باي سيتي. هل أستطيع أن أعتبر انك ستصل الى هنا خلال ساعة؟».

ـ «هل أنا أتحدث مع السيدة غرايل؟».

ـ «بالطبع لا يا سيدي. أنا الخادم».

ـ قلت: «ان من تسمعه يرن الجرس الآن هو أنا. أنا شخصياً».

ـ ١٨ ـ

كانت المنطقة قريبة من المحيط وكنت تستطيع حدس ذلك في الهواء، من غير أن تستطيع رؤية المياه من مدخل المكان. كان شارع أستر درايف كناية عن منعطف طويل منبسط وكانت البيوت المنتشرة في القسم الداخلي منه معظمها فيلات. ولكن الى جانب الوادي كانت البيوت عبارة عن قصور ضخمة صامتة ومسوّرة بجدران مرتفعة، وأبواب حديدية مشبوكة ومزخرفة الجوانب. وفي الداخل ان قدر لك الدخول صنف آخر مميز من نور الشمس. نور هادىء جداً ومعلب في أوعية كاتمة للصوت فقط من أجل الطبقة الراقية.

وقف رجل أمام الأبواب نصف المشرعة في زي أزرق روسيّ قاتم، سروال قصير باهر، ولفافتا ساقين سوداوان لماعتان. كان أسمر البشرة، وسيم الطلعة عريض الكتفين، ذا شعر ناعم لمّاع، وفعلت قبة المعطف الأنيق الذي ارتداه ظلاً لطيفاً فوق عينيه. كان يضع سيجارة في زاوية من فمه ورقبته محنية بعض الشيء، كما لو انه أراد أن يتجنب أنفه الدخان المتصاعد. كانت احدى يديه ترتدي قفازاً جلدياً أسود بينما كانت الأخرى عارية. وارتدى في اصبعه الثالثة خاتماً كبيراً.

لم أر أي رقم للمنزل ولكنه كان بالتأكيد رقم ٨٦٢، أوقفت سيارتي، تطاولت برأسي وسألته. لم يجاوبني قبل وقت طويل. بعد أن تفحصني بعناية، وأيضاً السيارة التي

كنت أقودها. تقدم إليّ وبينما هو يتقدم أسقط بلامبالاة يده العارية الى وركه. كانت لامبالاة من النوع الذي يفترض لفت الانتباه.

توقف على بعد أمتار قليلة من السيارة وتفحصني مرة أخرى.

انبريت قائلاً: «إني أبحث عن منزل عائلة غرايل».

ـ «هذا هو منزل آل غرايل، لكنهم غير موجودين الآن».

ـ «انهم بانتظاري».

أطرق، التمعت عيناه كالمياه وقال: «ما اسمك؟».

ـ «فيليب مارلو».

ـ «انتظر هنا» ثم مشى غير مستعجل، عبر الأبواب وفتح الباب الحديدي القائم بين دعامتين ضخمتين كان هناك كشك للهاتف وراء الباب. تحدث فيه وجيزاً، ثم أقفل باب الكشك بقوة وعاد إليّ.

ـ «هل لديك بطاقة تعريف؟».

أشرت له أن ينظر الى رخصة القيادة الملصقة قرب عمود القيادة. قال لي: «هذه لا تثبت شيئاً. كيف لي أن أتأكد ان هذه سيارتك؟».

سحبت المفتاح من القفل ودفعت الباب وخرجت. وأصبحت على بعد نصف متر منه. كانت رائحة المسكر التي انبعثت منه طيبة من نوع «هيغ وهيغ» بأقل اعتبار.

قلت: «لا بد انك زرت مؤخراً قبو المسكرات».

ابتسم، نظر إلي من الأسفل الى الأعلى.

قلت: «اسمع، سأتحدث على الهاتف مع الخادم وسيعرف صوتي. هل ستكتفي بهذا أم ستجبرني على الدخول راكباً على ظهرك؟».

قال بصوت خفيض: «لست سوى موظف هنا. إن لم...» ثم توقف عن الكلام وتابع الابتسام.

قلت مربتاً على ظهره: «انك شاب طيب. هل كنت في دار تماوث أو في دانيمورا؟».

ـ «رباه. لماذا لم تقل من البداية انك شرطي؟».

ضحكنا معاً. أشار إلي بالدخول واندفعت عبر الباب نصف المشرع. كان المعبر الملتوي مسوراً بسياج من الشجيرات المتداخلة والقاتمة الاخضرار، وكانت تحجبه كلياً عن الشارع والمنزل كذلك. عبر منفذ داخل السور الأخضر رأيت مزارعاً يابانياً ينتزع الأعشاب المتيبسة من مرج واسع. كان يقتلع عشبة من اتساع مخملي ويحدق فيها ساخراً مثلما يفعل معظم المزارعين اليابانيين. ثم أطبق السياج المرتفع مجدداً ولم أعد أرى شيئاً لمسافة ما يقارب الثلاثين متراً. ثم انتهى السياج عند ساحة واسعة توقفت فيها نصف دزينة سيارات.

احدى السيارات كانت سيارة «كوبي» صغيرة. وسيارتان جميلتان من نوع بويك. وليموزين أخرى سوداء بشقّين من دون المحرك وإطارات عجلات من النيكل بحجم عجلات درّاجة. كان هناك أيضاً سيارة رياضية طويلة ومكشوفة. وراء الساحة وصلت الى ممشى اسمنتي كان يؤدي الى مدخل المنزل الجانبي.

بعيداً الى اليسار، وراء باحة الموقف كان هناك حديقة

مزخرفة بالحصى تحيطها من الزوايا أربع نافورات. كان باب حديدي مطرز يحمي المدخل، وكان يتوسطها «كيوبيد» مجنح. قربها انتشرت أعمدة ثبتت فوقها تماثيل، وأيضاً مقعد حجري يمسك جانبيه رسمان لحيوان «الغرفين» الخرافي. كان هناك أيضاً بركة مستطيلة تتوسطها زنابق حجرية قرفص فوق احداها ضفدع حجري عملاق. الى مسافة أبعد امتد صف أعمدة زهرية اللون انتهت الى شكل يشبه المعبد، تحيطه الأشجار ولكنها لم تكن تحجب الشمس التي تمددت فوق زخرف عربي زيّن درجات المعبد. وبعيداً الى اليسار انبرت حديقة بريّة غير كبيرة ثبتت في زاويتها ساعة شمسية قرب جدار مقصف بني على شكل طلل. وكانت هناك أيضاً زهور، ملايين منها.

لكن المنزل هو نفسه لم يكن بالشيء الكثير. كان أصغر من قصر «باكنغهام»، وحجارته قاتمة غير معهودة في كاليفورنيا، وربما نوافذه أقل عدداً من نوافذ عمارة »روكفلر».

تسللت الى المدخل الجانبي وضغطت الجرس الكهربائي، وفي مكان ما في البعيد أصدرت مجموعة أجراس رنيناً رخيماً وعميقاً أشبه بأجراس كنيسة.

فتح رجل في سترة مقلمة وأزرار جلدية الباب. انحنى احتراماً، تناول قبعتي وغادر. خلفه في العتمة القليلة انحنى رجل يرتدي سروالاً مقلماً، سترة سوداء، قبّة مجنّحة، ياقة رمادية مقلمة. كان شعره أبيض وانحنى بضعة سنتيمترات وقال: «السيد مارلو؟ أرجو أن تتبعني».

تقدم في الرواق. كان رواقاً هادئاً: لم تئز فيه مطلق ذبابة.

كانت الأرضية مغطاة بسجادات شرقية وغطت لوحات زيتية الجدران. انعطفنا عند زاوية وولجنا رواقاً آخر. عبر نافذة فرنسية الطراز التمعت في البعيد مياه زرقاء وتذكرت متفاجئاً اننا كنا على مقربة من المحيط الباسيفيكي، وان المنزل هذا كان يقع على حافة أحد الوديان.

أدرك الخادم الباب وفتحه الى همهمة أصوات، وانزاح مفسحاً لي، ودخلت. كانت غرفة جميلة مفروشة بكنبات ومقاعد من الجلد الأصفر الشاحب. كان المكان مريحاً، واسعاً، وحميماً، حديثاً وقديماً في آن واحد. وكان هناك ثلاثة أشخاص جالسين صامتين بفعل دخولي، وناظرين الي وأنا أتقدم اليهم.

كانت واحدة منهم آن ريوردان، وكانت تبدو تماماً مثلما رأيتها آخر مرة، باستثناء انها كانت تحمل بيدها كأساً كان لون الشراب فيه كهرمانياً. شخص آخر كان وجهه طويلاً هزيلاً وحزيناً، بارز الذقن، مجوف العينين في وجه مصفرّ مريض. كان في الستين من عمره بكل تأكيد أو في أواخرها. كان يرتدي بدلة رسمية قاتمة تزينها قرنفلة حمراء وبدا مكبوتاً.

الثالث كان سيدة شقراء ترتدي ثياباً أنيقة زرقاء فيروزية شاحبة. لم أعر ثيابها أي انتباه. لم تكن اختارتها هي بل كانت بالتأكيد اختيار خياط فنان. كان المهم أن تجعلها تبدو أكثر شباباً وأن تبرز زرقة عينيها اللازورديتين. كان شعرها ذهبياً كأنما من لوحات قديمة، وأشعث بذوق مميز. كانت تكاوين جسدها بديعة وما كان يمكن الاتيان بأفضل.

كان ثوبها بسيطاً بفن باستثناء طوق ماسي عند العنق. لم

تكن يداها صغيرتين، ولكنهما كانتا متميزتين والأظافر مطلية بلون أرجواني. كانت تبتسم لي. بدا انها كريمة الابتسام ولكن عينيها كانتا تبدوان كما لو أنها تفكر عميقاً. كان فمها شهوانياً.

بدأت: «لطف منك انك أتيت. أقدم لك زوجي. هلاّ تعد للسيد مارلو كأساً يا حبيبي».

صافحني السيد غرايل. كانت يده باردة ومتعرقة بعض الشيء. كانت عيناه حزينتين. مزج الويسكي بالصودا وقدم لي الكأس.

قعد بعدها عند احدى الزوايا صامتاً. شربت نصف الكأس وابتسمت للآنسة ريوردان. نظرت الي نظرة شاردة، كما لو انها قد اكتشفت مفتاحاً جديداً للّغز.

سألت الشقراء بهدوء محدقة إلى كأسها: «هل تعتقد انك تستطيع مساعدتنا بأي شيء. إن كنت تظن انك تقدر، ان هذا سيسعدني كثيراً. ولكن الخسارة ستكون قليلة مقارنة بأي مشاكل سنتعرض لها مع رجال العصابات وكل أولئك الأشخاص الأشرار».

قلت: «لست في الواقع أعرف الكثير عن هذه المسألة».

ابتسمت لي ابتسامة اخترقت حمّالة مسدسي وقالت: «آه، آمل انه سيكون في وسعك ذلك».

شربت النصف الأخير من كأسي، وبدأت أشعر بالارتياح. ضغطت السيدة غرايل جرساً كهربائياً مثبتاً عند ذراع الكنبة الجلدية ودخل على التو أحد الخدم. وكأنما أشارت الى الصينية فاستدار وأعد على الفور كأسين. كانت الآنسة ريوردان ما

برحت تتملق كأسها الأولى، وبدا جلياً أن السيد غرايل لم يشرب منه أبداً. ثم خرج الخادم.

تناولنا السيدة غرايل وأنا كأسينا. ثم شبكت ساقيها بلا مبالاة.

قلت: «لست على يقين ان في وسعي تحقيق أي شيء. أشك في هذا. من أين يمكننا أن نبدأ؟».

قالت مبتسمة لي مجدداً: «أنا واثقة انك تستطيع. الى أي حد وضع لين ماريوت ثقته بك؟».

نظرت الى الجانب نحو الآنسة ريوردان. ولم تنتبه هذه الأخيرة. بقيت جالسة. كانت تتطلع الى الجهة الأخرى. حدقت السيدة غرايل الآن في زوجها وقالت له: «أمن الضروري أن تزعج نفسك بهذا يا حبيبي؟».

نهض السيد غرايل وقال انه سرّ بمعرفتي وانه سيتوجه الى النوم. وانه لم يكن يشعر بخير. تمنى أن أقبل اعتذاره. كان لطيفاً الى درجة أني رغبت بحمله الى غرفته تعبيراً عن امتناني.

غادر مغلقاً الباب وراءه بنعومة، كما لو انه يخشى ايقاظ أحد النيام. حدقت السيدة غرايل في الباب لوهلة، ثم ارتدت مجدداً ابتسامتها ونظرت إليّ.

ـ «انك تثق تمام الثقة بالآنسة ريوردان، أليس كذلك؟».

ـ «إني لا أثق بأحد تمام الثقة يا سيدة غرايل. صادف انها على علم بالقضية ـ ما القضية؟».

ـ «جيد». احتست جرعة أو اثنتين، ثم أنهت كأسها حتى الرمق الأخير ووضعته جانباً.

وانبرت بغتة: «اللعنة على الشرب المهذب. لنكن صريحين. انك رجل فاتن جداً، أجمل من أن تعيش في لغط هذه المهنة».

قلت: «إنها مهنة قذرة».

- «لم أكن أعني هذا تماماً. هل هي مهنة مربحة، أم عقوقة؟».

- «ليست بالمهنة المربحة. انها شاقة بعض الشيء. ولكنها مسلية كثيراً. وهناك دائماً فرصة ما لإنجاز قضية كبيرة».

- «كيف يستطيع الواحد أن يصبح تحرياً خاصاً؟ هل يزعجك أن أستعلم في شأنك قليلاً؟ هلاّ دفعت تلك الطاولة الى هنا، إن سمحت؟ حتى أستطيع إدراك كأسي».

نهضت ودفعت الصينية الفضية الضخمة الموضوعة على طاولة بعجلات الى جانبها. صبت كأسين آخرين، وكنت مازلت في نصف كأسي الثانية.

قلت: «ان معظمنا شرطيون سابقون. لقد عملت فترة مع المدعي العام. ثم طردت».

ابتسمت بعذوبة: «أنا واثقة ان ذلك لم يكن لعدم أهليتك».

- «لا، بسبب وقاحتي. هل تلقيت أية مكالمات تلفونية أخرى؟».

- في الواقع...» وتطلعت نحو آن ريوردان. بقيت منتظرة. كان وجهها يقول الكثير.

وقفت آن ريوردان. حملت كأسها الممتلىء على الصينية ووضعته عليها. وقالت: «ربما لن تستنفدا كل المشروب، ولكن

إن حصل... شكراً جزيلاً على استقبالك لي يا سيدة غرايل. أعدك بشرفي أني لن أستخدم مطلق كلمة أخبرتني إياها».

- «رباه. لا تقولي لي انك مغادرة»، بادرتها السيدة غرايل مبتسمة.

عضت آن ريوردان شفتها السفلي وأبقتها برهة، وكأنها تقرر إن كانت ستقطعها وتبصقها أو أن تبقيها مدّة قليلة بعد. وقالت:

- «آسفة، أعتقد انه يجب أن أغادر. أنا لا أعمل مع السيد مارلو كما تعرفين. نحن صديقان فقط. وداعاً يا سيدة غرايل».

ابتسمت لها الشقراء: «آمل أن تزورينا مجدداً في وقت قريب. ومتى تشائين». ثم ضغطت الجرس مرتين. حضر الخادم وفتح الباب.

خرجت الآنسة ريوردان بسرعة وانغلق الباب. بقيت السيدة غرايل محدقة فيه مبتسمة لفترة بعد انغلاقه. «هكذا أفضل، ألا توافقني؟». قالت هذا بعد فترة من الصمت. أطرقت موافقاً وقلت: «أظنك تتساءلين كيف انها تعرف الكثير إن كانت مجرد صديقة. انها فتاة صغيرة فضولية. بعض ما تعرفه اكتشفته بمفردها، ومنه معلومات عنك، من تكونين ومن الذي يملك عقد اليشب. والبعض الآخر بمجرد المصادفة. لقد صادف انها كانت هناك في البقعة حيث قتل السيد ماريوت. كانت تقود متسكعة فرأت ضوءاً ونزلت الى هناك بفعل الحشرية».

- «آه»، رفعت السيدة غرايل كأسها بسرعة وعبست. «أمر في منتهى الفظاعة، آه المسكين لين. حين أفكر في الأمر.. لقد

كان حقيراً في الحقيقة حقيراً. معظم أصدقائي كذلك. لكن أن يموت بهذا الشكل أمر مريع». ثم ارتعشت، اتسعت عيناها.

قلت: «لا تشغلي بالك في شأن الآنسة ريوردان. لن تخبر أحداً. لقد كان والدها قائداً للشرطة هنا لفترة طويلة».

- «أجل. لقد أخبرتني. ألن تشرب؟».

- «يجب أن نتفق «أنا وأنت. هل أخبرك لين.. السيد ماريوت كيف حصلت عملية السطو؟».

- «قال لي في مكان ما بين هنا والتروكاديرو. لم يحدد لي بالضبط. قال ثلاثة أو أربعة رجال».

أطرقت رأسها الذهبي المشعّ، وقالت: «أجل. في الواقع لقد حدث شيء ما مريب أثناء الحادثة. لقد أرجعوا إلي أثناءها أحد الخواتم، وكان رائعاً في الواقع».

- «لقد قصّ عليّ هذا».

- «لم أرتد منذ ذلك الحين أية حلية من اليشب. في النهاية انها قطعة متحفية، وربما نادرة الوجود، صنف نادر من اليشب. لقد انتزعوه مني فوراً. لم أكن أتوقع البتة انهم يعرفون قيمته، ألا تعتقد ذلك؟».

- «ما كانوا يعرفونه بالتأكيد انك ما كنت لترتديه لو لم يكن كذلك. من كان يعرف قيمته الحقيقية؟».

أمعنت في التفكير. كان أمراً لذيذاً مشاهدتها وهي تفعل ذلك. كانت ساقاها لاتزالان مشبوكتين، وأيضاً باستهتار.

- «كثير من الناس ، على ما أظن».

- «لكنهم ما كانوا يعرفون انك سترتدينه تلك الليلة بالذات؟ من كان يعرف هذا؟».

هزت كتفيها الشاحبتين. جهدت أن أبقي عيني في وجهي.

- «خادمتي. ولكن كانت تسنت لها مئة فرصة من قبل. ثم اني أثق بها...».

- «لماذا تثقين بها؟».

- «لست أعرف. أحياناً أثق ببعض الأشخاص ولا أجد تفسيراً لذلك. إني أثق بك مثلاً».

- «هل كنت تثقين بماريوت؟».

تجهم وجهها قليلاً، وتطلعت بحذر: «ليس في معظم الأمور. في بعضها أجل. هناك مستويات». كان لديها أسلوب بديع في الكلام، أسلوب هادىء، ساخر بعض الشيء، وفي الوقت نفسه غير سوقي. كانت تزن كلماتها بعناية.

- «حسناً. من غير الخادمة. ماذا عن السائق؟».

هزت رأسها نافية: «لقد اصطحبني لين في سيارته تلك الليلة. لا أعتقد ان جورج كان هنا في مطلق الأحوال. ألم يكن نهار خميس؟».

- «أنا لم أكن هناك. قال ماريوت ان الحادث حصل قبل أربعة أو خمسة أيام من لقائي به. وهكذا يكون مضى أسبوع منذ خميس البارحة على الحادثة».

- «إذاً لقد كان يوم خميس». تطاولت لتتناول كأسها فلمست أصابعها أصابعي قليلاً، وكانت ناعمة الملمس. «إن

جورج يأخذ إجازته الأسبوعية كل مساء خميس. هكذا تجري العادة كما تعرف». ثم سكبت جرعة ضخمة من الويسكي الشمامي اللون في كأسي وأضافت اليه بعض الماء الفوّار. انه نوع من المشروع الخليط الذي يجعلك تعتقد انه بمقدورك شربه الى ما لا نهاية وكل ما تفعله بعدئذ هو التهوّر بعينه. ثم صبت لنفسها الجرعة نفسها.

سألت برقة وبعينين حذرتين: «هل أطلعك لين على اسمي؟».

ـ «لقد حاذر أن لا يفعل».

ـ «إذن لا بد انه ضلّلك بعض الشيء في ما يتعلق بتاريخ الحادثة. لنراجع ما لدينا هنا. ان استثنينا الخادمة والسائق. أعني ان استثنيناهما كشريكين في العملية».

ـ «بالنسبة لي أنا لم أستثنهما بعد».

ـ «حسناً. على الأقل أنا أحاول ذلك» وضحكت، «هناك أيضاً نيوتن الخادم. ربما رأى العقد على رقبتي تلك الليلة. ولكن العقد كان يتدلى منخفضاً بعض الشيء، وكنت أرتدي مشلحاً من فرو الثعلب الأبيض. لا أعتقد انه استطاع رؤيته».

ـ «أراهن انك كنت تبدين ليلتها في منتهى العذوبة».

ـ «ألا تعتقد انك ثملت بعض الشيء؟».

ـ «معروف عني اني غير مسرف في الشراب».

ألقت رأسها الى الخلف وراحت تقهقه بجنون. عرفت طوال حياتي أربع نساء فقط استطعن التصرف على هذا النحو وبقين جميلات. وكانت هي احداهن.

قلت: «ان نيوتن رجل طيب. انه ليس من النوع الذي يختلط مع قطّاع الطرق. إلا أن ذلك مجرد افتراض. ماذا في شأن النادل الآخر؟».

فكّرت وتذكرت ثم هزت رأسها نفياً: «انه لم يرني أبداً».

- «هل طلب إليك أحد ارتداء عقد اليشب؟».

أصبحت عيناها على الفور أكثر حذراً وقالت: «هل تظن انك تخدعني؟».

تناولت بعدها كأسي لتملأه مجدداً. تركتها تأخذه على الرغم من انه كان لم يفرغ بعد. وحدقت في التواء عنقها الرائع.

حين انتهت من سكب الكأسين وكنا نتلاعب بهما مجدداً قلت: «دعينا نوضح الأمور أكثر، وسأخبرك بعدها نظريتي أنا في المسألة. أخبريني ما جرى تلك الليلة؟».

تطلعت الى ساعة معصمها وقد رفعت كمها بأكمله لتفعل ذلك: «ينبغي أن أكون...».

- «دعيه ينتظر».

شعّت عيناها لدى قولي هذا. وأحببتهما على هذا الشكل وقالت: «هناك حدود للصراحة».

- «ليس في مهنتي. قصّي عليّ تلك الليلة. أو اصرفيني. يجب أن تختاري. قرري في رأسك الجميل».

- «من الأفضل أن تجلس هنا الى جانبي».

قلت: «لقد خطر لي هذا منذ وقت طويل. منذ شبكت ساقيك على وجه التحديد».

شدت ثوبها الى تحت: «هذه الأثواب الملعونة لا تنفك تتصاعد حتى الرقبة».

جلست الى جانبها على الكنبة الجلدية الصفراء. وسألتني بهدوء: «أولست جسوراً وسريعاً بعض الشيء؟».

لم أجبها.

سألتني مجدداً متطلعة إلي بطرف عينها: «هل تمارس غالباً هذه الأساليب؟».

- «عملياً لا. فأنا مثل كاهن من التيبت أثناء أوقات فراغي».

- «المشكلة انه ليس لديك أوقات فراغ».

قلت: «دعينا نركز على الموضوع. لنوضح ما تبقى في بالنا - أو في بالي على الأقل. كم ستدفعين لي؟».

- «آه. كنت اعتقدت انك ستعيد إلي عقدي. أو أن تحاول ذلك».

- «هذا هو أسلوبي في العمل. هكذا أبداً». تناولت جرعة طويلة وشعرت اني واقف على رأسي. تنفست قليلاً بعمق وقلت: «عليّ أن أحقق أيضاً في الجريمة».

- «هذا لا علاقة له بالأمر، أعني انها مسألة تختص بالشرطة، أليس كذلك؟».

- «أجل. لكن الرجل المسكين دفع لي مئة دولار لأحميه. ولم أستطع ذلك. ان هذا يشعرني بالذنب. يجعلني أرغب بالبكاء. هل ترضين أن أبكي؟».

- «خذ اشرب» وصبّت لي مجدداً بعض الويسكي. لم يظهر اني تأثرت بها البتة ثم قلت محاولاً امساك الكأس بطريقة تمنع

انسكابه: «حسناً أين كنا وأين وصلنا. لا خادمة، لا سائق، لا خادم ولا نادل. سوف نضطر بعد قليل الى غسل ثيابنا بأنفسنا. كيف حدثت عملية السطو؟ قد يكون في قصتك أنت بعض التفاصيل التي لم يطلعني عليها ماريوت».

انحنت واضعة ذقنها داخل يدها، بدا مظهرها جدياً من غير أن تبدو مضحكة في هذا.

ـ «كنا توجهنا الى حفل في منطقة ستيلوود هايتس. ثم اقترح لين أن نعرج على ملهى «تروك» لنتناول بعض كؤوس الشراب ونرقص قليلاً. وهكذا كان. كان هناك بعض الأشغال على بولفار سانسيت، والطريق مليئة بالغبار. وهكذا هبط لين في طريق العودة متخذاً طريق سانتا مونيكا. وحيث عبرنا فندقاً حقيراً يدعى فندق «أنديو»، كنت لاحظت وجوده لسبب ما أجهله. الى جانب الطريق وراء الفندق كان هناك مقهى يقدم البيرة، وكانت هناك سيارة متوقفة أمامه.

ـ «سيارة وحيدة فقط أمام مقهى يقدم البيرة؟».

ـ «أجل. سيارة واحدة. كان مكاناً حقيراً. حسناً المهم أن تلك السيارة انطلقت في إثرنا وبالطبع لم يخطر لي أي شيء من ذاك القبيل. لم يكن هناك أي سبب يوحي بذلك. وبعدها قبل أن نصل الى حيث تلتقي طريق سانتا مونيكا مع بولفار أرغويللو قال لي لين: «دعينا نتخذ طريقاً آخر» ثم انعطف منطلقاً في طريق داخلية ملتوية. وبغتة اجتازتنا سيارة بسرعة خارقة وجرفت معها واقي الصدمات في سيارتنا ثم توقفت فجأة. وتوجه نحونا رجل يرتدي معطفاً وشالاً وقبعة غطت وجهه، ليعتذر منا. كان شاله الأبيض منتفخاً أمام معطفه ولقد

أثار هذا التفصيل انتباهي أكثر الشيء. كان هذا أكثر ما رأيت منه في الواقع باستثناء انه كان طويلاً وهزيلاً. وما إن اقترب منا، وأذكر انه لم يمش بمواجهة كشافينا أبداً...».

- «هذا طبيعي. لا أحد يحب التحديق في نور الكشافات. اشربي. أنا من سيحضر الكؤوس هذه المرة».

كانت منحنية الى الأمام، وكان جفناها الرقيقان غير المبرّجين مقطبين في وضع تفكير. حضّرت كأسين وتابعت: «وما إن دنا من ناحية لين دفع فجأة الشال الى وجهه وشهر مسدساً لامعاً وقال: «لا تتحركا. لا تقوما بأي حركة وسيكون كل شيء على ما يرام». ثم أطل رجل آخر من الناحية الأخرى».

قلت: «أويحدث هذا في بيفرلي هيلز؟ وهي الأميال الأربعة الأكثر ازدحاماً بالشرطة في كاليفورنيا!».

هزت كتفيها بلامبالاة: «ورغم ذلك فقد حصل. ثم طلبوا مني إعطاءهم مصاغي وحقيبتي. الرجل ذو الشال هو من أمرني بذلك. الآخر لم يتكلم البتة. ناولت الأغراض للين ثم أعاد إلي الرجل الحقيبة وأحد الخواتم. وقال أن نؤخر الاتصال بالشرطة وبجماعة التأمين لبعض الوقت. ثم أضاف انه سيجري معنا عملية تبادل سهلة وبسيطة. وقال انهما وجدا انه سيكون أمراً سهلاً لو اعتمدا أسلوب النسبة المئوية. كان يتصرف ببرودة وكأن كل وقت العالم تحت تصرفه. قال أيضاً انه يستطيع أن يتصل بجماعة التأمين ان اضطر الى ذلك، ولكن ذلك كان يعني التعامل مع محام سمج وسيط، وهما يفضلان أن لا يفعلا هذا. بدا انه رجل مثقف بعض الشيء».

قلت: «كان يمكن أن يكون «إيدي الأنيق» لو لم يكن لقي مصرعه في شيكاغو منذ خمس سنوات».

رفعت كتفيها بازدراء. ثم شربنا كأساً جديدة وتابعت:

ـ «ثم غادرا وعدنا الى المنزل وطلبت الى لين أن يكتم القصة. في اليوم التالي تلقيت مكالمة. لدينا في المنزل هاتفان، أحدهما نقال والآخر في غرفة نومي. وتسلمت المكالمة عبر الأخير، وهو غير مذكور في دليل الهاتف بالطبع».

أطرقت قائلاً: «في وسعهم الحصول على الرقم بواسطة الرشوة. بضعة دولارات تكفي. هكذا يحصل دائماً. يضطر بعض نجوم السينما الى تبديل أرقام هواتفهم كل شهر تقريباً».

شربنا كأساً آخر.

ـ «قلت للمتصل أن يسوي المسألة مع لين وانه سيمثلني وأننا سنقوم بالصفقة معهما إلا إن كانا غير منطقيين. قال انه موافق. ومذاك أعتقد أنهما تمهلا بعض الشيء ليراقبانا لوقت ما. في النهاية كما تعرف، اتفقنا على مبلغ ثمانية آلاف دولار وغيرها من التفاصيل».

ـ «هل تستطيعين التعرف إلى أي واحد منهما».

ـ «بالطبع لا».

ـ «هل أطلعتِ راندال على كل هذه التفاصيل؟».

ـ «بالطبع، أجل. هل ينبغي أن أعيد كل ما جرى من جديد؟ انه يضجرني» وابتسمت لي بروعة.

ـ «ماذا كانت وجهة نظره في هذا؟».

قالت متثائبة: «ربما قال شيئاً لكنني نسيت».

بقيت قاعداً وفي يدي كأسي الفارغة واستغرقت في التفكير. انتزعته مني وبدأت تملأه مرة أخرى.

أخذت الكأس من يدها ونقلتها الى يدي اليسرى وأمسكت يسراها بيدي اليمنى. كانت ناعمة ملساء دافئة ومريحة. شدت يدي بقوة، كانت عضلاتها قوية، امرأة قوية البنية من دون أدنى شك.

وبدأت مجدداً: «أعتقد انه كان لديه تفسير. لكنه لم يقل ما هو».

قلت: «أي واحد في النهاية يمكن أن يطلع بتفسير ما من كل هذا».

أدارت رأسها ببطء وحدقت فيّ ثم أطرقت موافقة: «انك لا تفوت فرصة أليس كذلك؟».

- «منذ متى تعرفين ماريوت؟».

- «آه. منذ سنوات. لقد كان يعمل مذيعاً في محطة ارسال كان زوجي يملكها وهي محطة ك. ف. د. ك. هناك التقيته. وهناك التقيت زوجي أيضاً لأول مرة».

- «لقد عرفت هذا. لكن ماريوت كان يعيش حياة مترفة. بالرغم من انه لم يكن ثرياً».

- «كان ورث ثروة صغيرة وترك عمله في المحطة».

- «هل أنت متأكدة انه ورث ثروة ما. أم انك تعتمدين على ما أخبرك هو إياه؟».

هزت كتفيها بإبهام. وضغطت على يدي.

- «قد يكون حصل على مبلغ صغير وبدده بسرعة».
ضغطت يدها بدوري وتابعت: «هل اقترض منك مالاً؟».
- «ألا تعتقد انك تقليدي في تفكيرك بعض الشيء؟» وتطلعت الى يدها التي كنت أمسكها.
- «لم أدرك بعد سن التقاعد. ثم ان هذا الويسكي ممتاز، فهو يزيدني صحوة كلما أكثرت. ولا أحتاج الى أن أكون ثملاً كي...».
- «أجل» أفلتت يدها من يدي وفركتها، «لا بد انك صياد ماهر في أوقات فراغك... كان لين ماريوت بالطبع مبتزاً من الدرجة الأولى. هذا شيء واضح. كان يعيش على نفقة النساء».
- «هل كان يبتزك لأمر ما؟».
- «هل يفترض بي أن أجيبك على هذا؟».
- «لن يكون هذا تصرفاً حكيماً من قبلك».
راحت تقهقه: «سأفعل في مطلق الأحوال. لقد ثملت مرة في منزله وفقدت الوعي. وهذا يحدث لي غالباً. ولقد التقط لي مجموعة من الصور الفوتوغرافية وأنا عارية».
قلت: «يا له من كلب قذر. هل في حوزتك أي منها؟».
صفعت معصمي، وقالت بنعومة:
- «ما اسمك؟».
- «نيل. وأنتِ؟».
«هيلين. قبّلني».
ارتمت برقة فوق حضني وانحنيت فوق وجهها ورحت

أداعبه بشفتي. كانت ترف بجفنيها وهي تقبل وجهي بخفوت. حين وصلت الى فمها كان منفرجاً قليلاً وملتهباً، وكان لسانها واثباً من فمها مثل لسان أفعى.

فتح الباب ودخل السيد غرايل بسكون الى الغرفة. كانت في أحضاني ولم يتسنَّ لي إفلاتها. رفعت رأسي ونظرت اليه. وكنت بارداً كجثة.

لم تتحرك الشقراء بين ذراعي، ولم تغلق حتى شفتيها. كان وجهها مأخوذاً وكأنما في حلم وساخر التعابير في آن واحد.

تنحنح السيد غرايل بخفوت وقال: «أستميحكما عذراً، أعتذر جداً». وغادر بهدوء الغرفة. كان هناك كآبة لامتناهية في عينيه.

دفعتها بعيداً عني ووقفت، انتشلت محرمتي ومسحت وجهي.

بقيت ممددة كما تركتها على طول الكنبة. وكان فخذاها مكشوفين حتى الأعلى فوق جواربها.

سألتني بتثاقل: «من كان هذا؟».

- «السيد غرايل».

- «دعك منه».

ابتعدت عنها وجلست على الكرسي الذي كنت قعدت عليه حين دخلت.

بعد برهة سوّت نفسها، قعدت وحملقت في.

- «لا تأبه. انه يتفهّم الأمر. ما الذي يتوقعه بحق الشيطان؟».

- «أعتقد انه يعرف ما يجري».

ـ «حسناً. لقد قلت لك أن لا أهمية لهذا. ألا يكفيك هذا؟ انه رجل مريض. ما الذي يغيظك بحق الشيطان؟».

ـ «لا تصيحي في وجهي، لا أحب هذا النوع من النساء».

فتحت الحقيبة الممددة قربها وانتشلت محرمة صغيرة ومسحت شفتيها. ثم حدقت الى وجهها في المرآة.

قالت: «أعتقد انك محق. لقد احتسينا كثيراً من الويسكي. سنلتقي الليلة في ملهى بيليفردي عند الساعة العاشرة». لم تكن تنظر إلي وكانت أنفاسها متسارعة.

ـ «هل هذا بالمكان اللائق؟».

ـ «ان صاحبه هو ليرد برونيت، وإني أعرفه جيداً».

ـ «جيد». وكان جسمي لايزال بارداً. وأحسست بالذنب كما لو انني نشلت مال رجل فقير.

تناولت أحمر شفاه ولوّنت بخفّة شفتيها ثم رمقتني طويلا. ثم رمت إلي المرآة. التقطتها وتطلعت الى وجهي. مسحته بمحرمتي ووقفت لأرد اليها المرآة.

كان رأسها الآن مرتمياً الى الوراء وكشفت كل عنقها. وكانت تحدق فيه ناعسة.

ـ «ما بك؟».

«لا شيء. الساعة العاشرة في ملهى بيليفردي. لا تكوني في منتهى الروعة. كل ما أمتلكه هو بدلة «سموكين». هل أنتظرك عند البار؟».

هزت رأسها موافقة، وما زالت عيناها كسولتين.

اجتزت الغرفة وخرجت من غير أن ألتفت الى الخلف.

قابلني النادل في الرواق وأعطاني قبعتي، وكان وجهه عظيم التحجر.

- ١٩ -

اجتزت المعبر الملتوي وتواريت بين ظلال السياج المتشابك المرتفع. ووصلت أخيراً الى البوابات. كان هناك حارس جديد للقلعة. رجل قوي البنية في ثياب عادية، وبدا واضحاً انه حارس شخصي. تركني أخرج محيياً برأسه.

زعق بوق سيارة. كانت سيارة الآنسة ريوردان الكوبي متوقفة خلف سيارتي. تقدمت ونظرت اليها في داخلها. كانت نظرتها هادئة وساخرة.

جلست في السيارة ممسكة المقود، كانت يداها نحيلتين في القفاز. ابتسمت.

- «بقيت منتظرة. أعتقد ان هذا لا يعنيني. ولكن ما رأيك بها؟».

- «لا شك انها تجيد الإغواء».

قالت وقد غمر وجهها احمرار شديد: «أو هل من الضروري أن تردد دائماً أشياء من هذا النوع؟». أحياناً أكره الرجال، كل الرجال العجائز والشبان، ولاعبي كرة القدم، والموسيقيين، وأصحاب الملايين الأذكياء، والرجال الجذّابين الذين يحاولون إغواء النساء، وبشكل خاص الحقيرين الذين يعملون.. كتحري خاص».

ابتسمت لها على مضض: «أعرف اني أتكلم بوقاحة. هذه هي الموضة هذه الأيام. من قال لك انه كان غاوي نساء؟».

ـ «من؟».

ـ «لا تتساذحي. أقصد ماريوت».

ـ «آه. يمكن أن تتوقع ذلك بسهولة. أنا آسفة. لم أقصد أن أكون شريرة. أعتقد انك تستطيع اغواءها متى تشاء ومن غير مقاومة تذكر من طرفها. ولكن هناك أمراً واحداً أكيداً وهو انك آخر الركّاب».

بدا الشارع العريض الملتوي نائماً بهناءة تحت الشمس. انجرت شاحنة مزينة برسوم جميلة بسكون وتوقفت أمام منزل عبر الشارع. ثم تراجعت قليلاً وتسلقت طريقاً خاصاً الى جانب المدخل. الى جانب الرسمة الجانبية للشاحنة كتبت العبارة التالية، «مصبغة باي سيتي لملابس الأطفال». انحنت آن ريوردان نحوي بعينيها الزرقاوين القاتمتين التعيستين. بوّزت شفتها العليا الطويلة ثم زمّتها الى أسنانها. ثم قالت بحدة ولكن عبر أنفاسها:

ـ «ربما تفضل أن أهتمّ بشؤوني، وأبتعد عنك. هل هذا ما تريد؟ وأن لا أسبقك في اكتشاف الأمور. لقد ظننت أني أساعدك قليلاً».

ـ «لست في حاجة لأي مساعدة. الشرطة لا تريد أيضاً أي مساعدة مني. لا أستطيع أن أفعل شيئاً للسيدة غرايل. لقد روت لي حكاية عن مقهى يقدم البيرة. وان سيارة لحقت بهما من هناك. ولكن ماذا يعني كل هذا؟ انه مجرد مكان حقير على طريق سانتا مونيكا. ان من قام بعملية السرقة هي عصابة أرستوقراطية. كان بينهم واحد يستطيع معرفة عقد من اليشب من صنف «فاي تسيو» بمجرد النظر اليه».

ـ «هذا ما لم يكن زوّد بمعلومات سابقة عنه».

ـ «هناك هذه النقطة أيضاً»، قلت هذا وانتزعت آلياً سيجارة من علبتي «في مطلق الأحوال لا علاقة لي بهذه القضية».

ـ «أَوَلا تهتم أيضاً بقصص الوسطاء الروحيين؟».

حدقت فيها بذهول وقلت: «وسطاء روحيون؟».

قالت برقة: «يا الهي. وأنا التي كنت تصورت انك تحري».

قلت: «هناك الكثير من الأشياء المطموسة في هذه القضية. يجب أن أحاذر في خطوي. السيد غرايل رجل ثري جداً. والقانون هو حيث تشتريه في هذه المدينة. انظري فقط الى الطريقة المريبة التي تتصرف بها الشرطة. لا تحقيق، لا خبر في الصحف، وبالتالي لا فرصة لأي غريب بريء للإتيان بأي معلومة قد تكون في منتهى الأهمية. لا شيء سوى الصمت وتحذيرات لي بالابتعاد عن المسألة. لا يعجبني مايجري البتة».

قالت آن ريوردان: «لقد مسحت معظم آثار أحمر الشفاه. بما أننا كنا نتحدث عن الوسطاء الروحيين. حسناً، وداعاً. كانت معرفتك أمراً ظريفاً ـ بمعنى ما».

شدت مفتاح مشغل السيارة، عشّقت التروس وانطلقت بسرعة عظيمة محدثة دوامة من الغبار.

راقبتها وهي تغادر. حين توارت نظرت عبر الشارع. خرج الرجل الذي كان يقود الشاحنة ذات اللافتة التي تقول «مصبغة باي سيتي للألبسة الولادية»، وتقدم من أمام الباب الجانبي مرتدياً زياً شديد البياض مشعاً، وجعلني أشعر بالنظافة بمجرد

النظر اليه. كان يحمل كرتونة ما. ثم ركب الشاحنة المزينة وقاد مبتعداً.

خطر لي انه قام بتبديل لحفاضات طفل ما.

ركبت في سيارتي وتطلعت الى ساعتي قبل أن أنطلق. كانت الساعة قرابة الخامسة.

رافقني تأثير الويسكي، بما انه كان جيداً طوال طريق العودة الى هوليوود.

حدثت نفسي بصوت مرتفع قائلاً: «هناك فتاة صغيرة فاتنة. من أجل رجل مهتم بالفتيات الصغيرات الفاتنات». وأجبت قائلاً: «ولكني لست مهتماً». لم يجب أحد على هذا أيضاً. ثم قلت: «الساعة العاشرة في ملهى بيليفردي». ورد أحدهم: «إففففف!».

وبدا الصوت أشبه بصوتي.

كانت الساعة السادسة إلا ربع الساعة حين وصلت مجدداً الى مكتبي. كان البناء ساكناً جداً. والآلة الكاتبة خلف الجدار صامتة. أشعلت غليوني وقعدت أنتظر.

- ٢٠ -

كانت رائحة الهندي كريهة. ولقد انتشرت رائحته الكريهة في غرفة الانتظار الصغيرة ما إن رن جرس الباب وفتحته لأرى من هناك. وقف أمام باب الرواق يحدق وكأنه كان مصبوباً بالبرونز. كان رجلاً ضخماً من الخاصرة طلوعاً وكان صدره واسعاً. بدا أشبه بمتسكع سكير.

ارتدى بذلة بنية كانت سترتها أصغر من كتفيه وكان

سرواله وكأنما يصل الى تحت إبطيه. كانت قبعته أصغر من قياس رأسه بمقياسين على أقل تقدير. وكانت معلقة فوق رأسه مثل مروحة فوق سقف منزل. حزامه كان بمقياس حزام حصان، وبلونه البنّي القذر. حلّقت ياقة فوق سترته المزررة. ياقة سوداء معقودة بزوج كمّاشات وكانت العقدة بحجم حبة بازلاء. حول عنقه العاري وحلقه العظيم لفّ قماشة سوداء، أشبه بتلك الشرائط التي كانت تضعها العجائز لإخفاء تجاعيد أعناقهن.

كان وجهه عريضاً ومسطحاً، وأنفه الأعوج اللحمي المتشامخ قاسياً كمقدم سفينة. كانت عيناه معدمتي الرموش، وفكه هابطاً ككلب عجوز. كتفان وكأنهما كتفا حداد، ورجلان قصيرتان معكوفتان كأنهما لقرد شمبانزي. وقد اكتشفت لاحقاً انهما كانتا قصيرتين فقط.

لو كان استحم قليلاً وارتدى رداء أبيض للنوم لكان بدا كسيناتور روماني شرير جداً.

كانت رائحته تشبه الرائحة الأرضية للإنسان البدائي الأول، إذ انها لم تكن برائحة قذارة بواليع المدينة.

قال: «هيه. تعال بسرعة. تعال الآن».

تراجعت الى داخل مكتبي وأشرت اليه بإصبعي وتبعني غير محدث مطلق صوت كذبابة تتسلق الجدار. جلست وراء طاولة مكتبي على كرسيّ الدوّارة بأسلوب محترف، وأشرت دالاً بإصبعي الى كرسيّ الزبونات الى الجهة المقابلة. لم يجلس. كانت عيناه السوداوان الدقيقتان عدائيتين.

انبريت قائلاً: «إلى أين تريدني أن أذهب؟».

«هيه. أنا سيكوند بلانتينغ. أنا هندي من هوليوود».

ـ «تفضل اجلس يا سيد بلانتينغ».

شخر غاضباً واتسعت فجوتا منخريه شاسعاً. كان يمكن أن تستخدمهما الفئران كجحرين لها.

ـ «اسمي سيكوند بلانتينغ. اسمي ليس سيد بلانتينغ».

ـ «ما يمكنني أن أفعل من أجلك؟».

رفع صوته وبدأ يرنّم لاهثاً بهدير حاد: «قال أن تأتي بسرعة. الأب الأبيض الأكبر يقول أن تأتي بسرعة. قال أن أحضرك على عربة من نار. قال...».

ـ «أجل. أجل. توقف عن التكلم باللهجة اللاتينية السوقية. أنا لست متفرجاً في استعراض الأفاعي الراقصة خاصتك».

قال الهندي: «جنون».

تطلعنا لبرهة الى بعضنا بعضاً بازدراء عبر الطاولة. وكانت نظرته أكثر فعالية من نظرتي. ثم رفع قبعته بقرف شديد وقلبها بين يديه. ثم حشر اصبعاً تحت بريم قبعته الجلدية. ثم قلب البريم وانتشل قطعة ورقية ملفوفة من حافتها ورماها على الطاولة. أشار اليها غاضباً بظفر معلوك حتى العظم. كان هناك رفّ حول شعره الأملس، وعند أعلى الرأس بفعل القبعة الضيقة.

فضضت قطعة الورق ووجدت بطاقة في داخلها. لم تكن البطاقة غريبة عني. كنت رأيت ثلاثاً مثلها تماماً داخل أعقاب السجائر الثلاث الروسية المظهر.

تلاعبت بغليوني، حدقت الى الهندي، وحاولت إرباكه بنظرتي المحملقة. كنت كمن يحاول ارباك حائط من الطوب.

- «حسناً. ما الذي يبتغيه؟».

- «يريدك أن تأتي فوراً. تعال الآن. تعال في عربة نارية...».

- «جنون»، قلت.

أحب الهندي ملاحظتي. أغلق فاه ببطء وغمز برزانة، ثم قام بما يشبه الابتسام.

وأضفت: «وسيكلفه هذا مئة دولار كمقدم أتعاب»، وحاولت أن أظهر وكأن ذاك المبلغ لم يكن سوى ربع دولار.

- «هيه؟». لقد خامره الشك مجدداً. يجب أن أبقى متماسكاً.

قلت: «مئة دولار. مئة رجل حديدي. دولارات من واحدة الى مئة. لا مال، لا أذهب. هل تفهم؟» وبدأت أعد على أصابعي المبلغ.

قال الهندي بازدراء: «هيه. يا للعظمة!».

وجعل يبحث تحت بريم قبعته القذر مجدداً ثم رمى مجدداً قطعة ورقية على الطاولة. حملتها وفضضتها. كانت تحتوي على ورقة جديدة من فئة المئة دولار.

وضع الهندي مجدداً قبعته فوق رأسه من غير أن يعاني مشقة إعادة بريمها الى وضعه الطبيعي. لكنها بدت مضحكة أكثر. وتهالكت في مقعدي محدقاً بذهول في ورقة المئة دولار.

قلت أخيراً: «الوسيط على حق. أن يكون حاذقاً الى هذا الحد أمر مخيف..».

لاحظ الهندي بفارغ الصبر: «هيا، ليس لدينا النهار بأكمله».

فتحت الدرج وتناولت مسدسي الكولت عيار ٣٨ الأوتوماتيكي، ومن الصنف المدعو «سوبر ماتش». لم أكن حملته أثناء زيارتي للسيدة لوين لوكريدج غرايل. خلعت سترتي وربطت حمالة المسدس الجلدية وغرزت فيها المسدس الأوتوماتيكي. ثم ارتديت سترتي مجدداً. لم يكن ما فعلت في نظر الهندي أكثر من رؤيتي أحكّ رقبتي.

قال: «لدي سيارة. سيارة كبيرة».

قلت: «لم أعد أحب السيارات الكبيرة. لدي سيارتي الخاصة».

قال الهندي متوعداً: «ستذهب في سيارتي».

قلت: «أذهب في سيارتك».

أقفلت الدرج بالمفتاح ثم المكتب، أطفأت الجرس الكهربائي وخرجت، تاركاً كالعادة غرفة الانتظار غير مقفلة.

تقدم في الرواق ثم هبطنا في المصعد. كانت رائحته كريهة، حتى عامل المصعد لاحظ ذلك.

ـ ٢١ ـ

كانت السيارة «باكارد» قاتمة الازرقاق وتتسع لسبعة ركّاب. وموصى عليها بطلب من الزبون. من النوع الذي تتوجه فيه الى الأوبرا مكللاً باللآلىء. كانت متوقفة قرب صنبور إطفاء وكان سائق أسمر غريب المظهر ذو وجه خشبي محفور مسمراً أمام المقود. كان جوفها منجداً بقماش مخملي

رمادي. أقعدني الهندي على المقعد الخلفي. جالساً هناك لوحدي شعرت وكأنني جثة أرستقراطية رتبها حانوتي رفيع الذوق.

ركب الهندي الى جانب السائق وتحولت السيارة في عرض الطريق وصرخ شرطي من الجانب الآخر «هاي» واهنة. وكأنه لم يكن يقصد، ثم انحنى سريعاً لربط شريط حذائه.

توجهنا نحو الغرب، ثم هبطنا الى بولفار سانسيت وانزلقنا مسرعين وبصمت عبره. جلس الهندي من دون حراك قرب السائق. لم ينتبه إلي عرضاً. بدا السائق نصف نائم غير انه كان يجتاز السيارات المكشوفة والمسرعة وكأنها لم تكن غير دمى. كانوا يفسحون له الطريق مثل شارات خضراء. كان بعض السائقين يمتلكون مثله هذه الموهبة. ولم يكن يعفي أية واحدة.

انعطفنا عابرين على مدى ثلاثة أو أربعة كيلومترات شارع ستريب وهو قسم رائع من البولفار حيث ارتصفت متاجر لبيع الأثريات بلافتاتها الشهيرة، وواجهاتها الغاصّة بالقطع الأثرية الثمينة والمطرزات النادرة. ومن بعدها الملاهي الليلية الجديدة المشعّة، وأيضاً الكازينوهات الشهيرة التي يديرها متخرجون برّاقون من العصابة الحمراء. وعبرنا أيضاً عمارات من الطراز الجيورجي ـ وهندسة المستعمرات والتي أصبحت الآن تحفاً قيمة، ثم عبرنا العمارات الحديثة الجذابة حيث يلعب تجار اللحوم الهوليوديون بالمال المتدفق طوال النهار، ثم قرب مطعم وخدمة للسيارات كانت الفتيات النادلات يرتدين فيه قمصاناً بيضاء حريرية، وقلنسوات جوقة موسيقية عسكرية، ولا شيء تحت الخاصرة سوى جزمات عالية مصقولة ولمّاعة. عبرنا كل

هذا وانحدرنا في المنعطف الواسع والأملس حتى ممر الخيالة في بيفرلي هيلز والأضواء في الجنوب البعيد، كل ألوان الطيف الكريستالية الواضحة كانت في غسق منقشع من دون غيوم. ثم عبرنا القصور القائمة المنتشرة على التلال في الشمال، ومروراً بمنطقة بيفرلي هيلز أيضاً، ثم صعوداً مجتازين بولفار التلة الملتوي والغسق البارد وهبوب الريح البحرية.

كانت عصرية دافئة، وكان الحر قد توارى. قطعنا مسرعين أمام مجموعة مضاءة من الأبنية، ومجموعات لامتناهية من الفيلات المشعّة بعيدة عن الطريق. ثم انجرفنا نزولاً قرب ملعب ضخم للعبة البولو وأيضاً فسحة أخرى للتمرين الى جانبه. صعدنا بعدها متسلقين طريقاً الى أعلى تلة لنلتوي بعدها عبر جبل كانت طريقه الاسمنتية تعبر بساتين برتقال. بساتين تخص أحد الأثرياء بالتأكيد لأنها لم تكن بالمنطقة المعروفة بالبرتقال. ثم شيئاً فشيئاً خمدت متوارية أضواء نوافذ بيوت أصحاب الملايين وضاقت الطريق حيث وصلنا الى منطقة ستيلوود هايتس.

هبت رائحة القصعين من الوادي وجعلتني أفكر في الرجل الميت وفي السماء المعدمة القمر. انتشرت فوق سفح التلة بيوت مزخرفة بالجص وكانت أشبه بالنقوش الضئيلة. ثم لم تظهر أية منازل على الاطلاق فقط أسفل التلال المعتمة وفوقها نجمة أو اثنتان مكبرتان. ومن حولها الرباط الاسمنتي الأبيض، ثم انحدار الى جانب وحيد مكسو بتشابك لشجيرات سنديان، حيث كنت تستطيع سماع صرخات عصافير «السمّن» إن توقفت وصمتت منتظراً. الى الجانب الآخر من الطريق

امتدت هضبة صلصالية جرداء نبتت عند أطرافها أزهار بريّة صعبة المرام كانت معلقة مثل أطفال أبالسة يرفضون الذهاب الى النوم.

ثم انعطفت الطريق بقسوة وأخذت العجلات الضخمة تدور فوق الحصى وتسلقت السيارة الآن محدثة جلبة أكثر عبر طريق تحدّها نبتات «عصا الراعي». عند قمة هذه الطريق الضئيلة النور والمتوحدة كمنارة انبرى منزل شاهق، كعش نسر. بناء منزو مزخرف بالجص وبالمكعبات الزجاجية. بدائي وحديث في آن وعلى الرغم من ذلك فهو غير بشع، وعموماً هو منزل مثالي لوسيط محترف ولزبائنه السريين. لن يستطيع أحد في هذه الأنحاء سماع مطلق صراخ.

انعطفت السيارة قرب المنزل وأضاء مصباحاها باباً أسود يتوسط جداراً ضخماً. نزل الهندي من السيارة مزمجراً وفتح باب السيارة الخلفي. أشعل السائق سيجارة بواسطة الولاعة الكهربائية وغمرني عبق التبغ الجاف بنعومة في العشية. وخرجت.

توجهنا الى الباب الأسود. فتح وحده ببطء وكأنما يتوعد. وطلع أمامنا طريق مستقيم يؤدي الى المنزل وتلألأ الضوء منبعثاً من جدران الطوب.

دمدم الهندي: «هه. أدخل أيها الرجل العظيم».

- «من بعدك يا سيد بلانتينغ».

عبس ودخل وأقفل الباب خلفنا بسكون وبغموض مثلما انفتح. عند نهاية الطريق انحشرنا داخل مصعد ضيق وأقفل الهندي الباب وضغط الزر الكهربائي. ارتفعنا بنعومة من غير

ضجة. وكانت رائحة الهندي الكريهة حين قابلته لأول مرة بمثابة ظل قمري هش للرائحة التي انبعثت منه الآن.

توقف المصعد وفتح الباب. كان المكان منوراً ودخلت غرفة مستديرة، كان ضوء النهار الذي لم يلفظ بعد أنفاسه الأخيرة، يتسرب عبر نوافذ من كل الجهات حيث ظهرت جدران مكسوة بألواح خشبية وعلى الأرضية سجادات إيرانية لطيفة الألوان. وكان هناك مكتب استقبال بدا وكأن زخارفه سرقت من كنيسة قديمة. خلف طاولة المكتب جلست امرأة وابتسمت لي، كانت ابتسامتها هشة وجافة وقد تتحول الى غبار بمجرد اللمس.

كان شعرها أملس ملفوفاً حول وجه أسمر رفيع آسيوي السمات. كانت تعلق في أذنيها قرطين ثقيلين من الأحجار المتلونة، وتحمل أيضاً خواتم ثقيلة في أصابعها. إضافة الى حجر «القمر» وحجر آخر من «الزمرد» يتوسطان إسوارة فضية. ربما كان الأخير من «الزمرد» الحقيقي لكنهم استطاعوا بطريقة ما جعله يبدو كأنه مزيف وأشبه بإسوارة بخسة. كانت يداها جافتين وقاتمتين وغير شابتين وكذلك غير مناسبتين للخواتم.

تكلمت وكان صوتها أليفاً: «آه مستر مارلو جيد جداً منك انك أتيت. آمثور سيكون مسروراً جداً».

مددت فوق طاولتها ورقة المئة دولار التي كان الهندي أعطاني إياها والتفت متطلعاً خلفي وكان الهندي قد نزل مجدداً في المصعد.

ـ «آسف. لقد كانت فكرة حسنة، ولكن ليس في وسعي قبول هذه».

ـ «آمثور هو ـ هو يودّ تكليفك، أليس كذلك؟» وابتسمت مجدداً. حفت شفتيها مثل حفيف ورقة.

ـ «يجب أن أعرف ما هو نوع العمل أولاً».

هزت رأسها موافقة ونهضت ببطء من خلف الطاولة. وخطرت أمامي عابرة في فستان ضيق التصق بها كحراشف حورية البحر، وأظهر انها كانت تمتلك مقاييس مغرية بالنسبة للذين يحبون الأرداف العريضة.

قالت: «سوف أقودك اليه».

ضغطت على زر في لوح صغير وانفتح باب بسكون. شعّ من خلفه نور حليبي. التفت مجدداً الى ابتسامتها قبل أن أدخل. بدت الآن أعتق من مصر القديمة وانغلق الباب بسكون خلفي.

لم يكن هناك أحد في الغرفة.

كانت الغرفة مثمّنة الزوايا ومكسوة بالمخمل الأسود من الأرض حتى السقف. وكان السقف مرتفعاً جداً وأسود وربما كان مخملياً أيضاً. انفرشت في وسط الغرفة سجادة سوداء فاحمة وضعت فوقها طاولة بيضاء مثمّنة الزوايا أيضاً صغيرة الحجم. توسط الطاولة مصباح حليبي اللون فوق قاعدة سوداء. كان نور الغرفة يطلع منها، غير أني لم أستطع أن أعرف كيف. حول أطراف الطاولة وضعت مناضد صغيرة كان لها شكل الطاولة نفسه. وكانت هناك منضدة مماثلة أمام أحد الجدران. لم تكن هناك نوافذ، ولم يكن هناك مطلق شيء آخر في الغرفة.

لا شيء إطلاقاً. وإن وجد باب آخر فأنا لم أره بالتأكيد. ثم التفت الى الباب الذي دخلت منه فلم أره أيضاً.

بقيت واقفاً هناك ربما لخمس عشرة ثانية وحدست بغرابة أني مراقب. كان هناك بأكثر تقدير ثقب للتلصص في مكان ما، لكني لم أستطع تحديده. توقفت عن المحاولة، واستمعت الى تنفسي. كانت الغرفة ساكنة الى حد أني استطعت سماع حفيف عبور الهواء في أنفي وكأنما عبر الستائر.

ثم انفتح الباب الخفي في الجهة البعيدة من الغرفة وانبثق منه رجل وانغلق الباب مجدداً خلفه. توجه الرجل تواً نحو الطاولة مطرق الرأس ثم جلس الى احدى المناضد ثم أشار الي أن أجلس الى واحدة أخرى، بيد من أروع الأيادي التي رأيتها في حياتي.

ـ «أرجوك تفضل بالجلوس في مواجهتي. لا تدخّن ولا تتحرك. حاول الاسترخاء كلياً. والآن كيف أستطيع أن أساعدك؟».

قعدت، تناولت سيجارة، قلبتها بين أصابعي ووضعتها بين شفتي مطفأة. ثم تطلعت اليه. كان نحيلاً، طويلاً ومستقيم القامة. كان يرتدي أروع ما رأيت أبداً من شعر أبيض. كانت بشرته بلون الزنبق والورد. كان يمكن أن يكون عمره بين الخمس وثلاثين أو الخمس وستين سنة. كان من دون عمر. شعر ممشط الى الخلف وبروفيل جذاب أشبه بالممثل جون باريمور أيام تألقه. كان حاجباه سوداوين فاحمين مثل الأرضية والسقف. وعيناه عميقتان، عميقتان جداً. فيهما تشوش. كانتا مثل بئر قرأت مرة عنها. بئر عمرها تسعمائة

سنة في قصر قديم. حيث ترمي حجراً وتنتظر. ثم تتوقف عن الانتظار وتضحك، ثم ما إن تكون على وشك المغادرة تتناهى الى مسمعك طرشة هزيلة من قعر البئر. طرشة ضئيلة ونائية ولا يمكنك أن تصدق أن يكون هذا معقولاً.

كانت عيناه عميقتين كذاك البئر. وكانتا معدمتي التعبير، معدمتي الروح. عينان يمكن أن تشاهدا أسداً يفترس رجلاً من غير أن ترفّا. أن تنظر الى رجل مرتعب زاعق تحت الشمس الحارقة وقد اقتلع الوحش جفنيه، من غير أدنى انفعال.

كان يرتدي بدلة رسمية سوداء في منتهى الذوق والأناقة. وراح يحدق بغرابة في أصابعي.

ـ «أرجوك لا تتحرك. ان ذلك يشوش التموّجات ويزعج تركيزي».

قلت: «إنها تذيب الجليد، تسيل الزبدة، وتجعل الهرة تزعق عالياً».

ابتسم أضأل ابتسامة في العالم: «أنت لم تأتِ الى هنا لتتواقح فقط. أنا متأكد من ذلك».

ـ «يبدو انك نسيت لماذا أتيت في الدرجة الأولى. بالمناسبة لقد أعدت المئة دولار الى سكرتيرتك. لقد جئت كما تذكر في شأن بضع سجائر. سجائر روسية محشوة بالماريجوانا، كانت لفت في أعقابها بطاقاتك العملية».

ـ «هل تريد أن تكشف ما سبب ذلك؟».

ـ «أجل. وفي الواقع يتوجب علي أنا أن أدفع لك المئة دولار».

كان جوابه بسيطاً: «لن يكون هذا ضرورياً. هناك أمور لا أعرفها، وهذا واحد منها».

خلت أني صادفته لوهلة. كان وجهه ناعماً كجناح ملاك.

ـ «إذن لماذا بعثت إلي المئة دولار والهندي القوي الكريه الرائحة. وأيضاً سيارة؟ بالمناسبة أوهل ينبغي أن يكون الهندي كريه الرائحة؟ ان كان يعمل لديك أليس في وسعك جعله يستحم ولو مرة؟».

ـ «انه وسيط طبيعي بالفطرة. وهذا أمر نادر مثل الماس، ومثل الماس الذي تجده أحياناً في أمكنة قذرة. قيل لي انك تحري خاص. أليس كذلك؟».

ـ «أجل».

ـ «أعتقد انك رجل في منتهى الغباء. في الواقع انك تبدو غبياً. لقد أقحمت نفسك في مسألة غبية. ولقد جئت في مهمة غبية».

قلت: «فهمت. أنا غبي. لقد اكتشفت ذلك منذ زمن».

ـ «وأظن أني لن أؤخرك أكثر».

ـ «أنت لا تؤخرني، أنا الذي أضيّع وقتك. أريد أن أعرف ما الذي حشر بطاقتك في تلك السجائر؟».

هز كتفيه بأقل حركة ممكنة: ان بطاقاتي في متناول الجميع. ولكني لا أوزع سجائر ماريجوانا لأصدقائي. وهكذا يبقى سؤالك غبياً».

ـ «لا أعرف إن كان هذا يوضح لك الأمور بعض الشيء.

كانت السجائر موضوعة في علبة صينية أو يابانية رخيصة. هل سبق وأن رأيت علبة من هذا النوع؟».

ـ «لا. لا أذكر أني رأيت شيئاً من هذا القبيل».

ـ «أستطيع أن أوضح لك الأمور بشكل أفضل. كانت العلبة في جيب رجل يدعى ليندساي ماريوت. هل سمعت به من قبل؟».

فكر ثم قال: «أجل، حاولت مرة أن أشفيه من عقدة الكاميرا. كان يحاول أن يعمل في التمثيل. لقد كانت مضيعة للوقت. لم يكن صالحاً حتى للسينما».

قلت: «هذا ما أعتقده. كان لا يمكن أن يكون غير ممثل فاشل. لكن لدي بعد سؤالاً أخيراً وهو الأهم، لماذا بعثت إلي ورقة المئة دولار؟».

قال ببرودة: «يا عزيزي سيد مارلو. أنا لست غبياً. أنا أعمل في مهنة حساسة جداً. أنا نصّاب. وهذا يعني أني أقوم بأمور لا يستطيع ولا يجرؤ الأطباء الجبناء والأنانيون على القيام بها. أنا مهدد طوال الوقت وبالتحديد من أشخاص مثلك. كل ما أردته ببساطة هو تحديد هذا الخطر قبل مواجهته».

ـ «ليس الأمر خطيراً في حالتي، أليس كذلك؟».

ـ «في الواقع ليس له وجود البتة» قال هذا بلطافة وحرك يده اليسرى بطريقة مريبة وقفزت عيناي محدقتين فيها. ثم أنزلها ببطء شديد الى الطاولة البيضاء وتطلع اليها. ثم رفع عينيه العميقتين مجدداً وكتفيه.

ـ «لقد انتهى كل ما أردت قوله...».

- «إني أشم الرائحة الآن»، وأضفت، «حتى إني لم أكن أفكر فيه».

أدرت رأسي نحو اليسار. كان الهندي قاعداً الى المنضدة الثالثة أمام الجدار المخملي الأسود.

كان هناك ما يشبه الثوب الفضفاض فوق ثيابه القديمة. كان جالساً بدون حراك، مغمض العينين ورأسه منحنياً قليلاً كما لو انه كان نائماً منذ ساعة. كان وجهه القاسي التعابير مظللاً وكأنما بالأسرار.

تطلعت مجدداً الى آمثور. كان يبتسم ابتسامته تلك الحجرية.

وقلت: «أراهن، هذه الحركات تجعل أولئك الأرامل الأرستقراطيات يبتلعن أسنانهن المستعارة، لماذا تدفع له في الحقيقة، أليجلس على ركبتيك ويغني أغنيات فرنسية؟».

أومأ متضايقاً وقال: «أوضح أرجوك».

- «ليلة البارحة استخدمني ماريوت لأرافقه في رحلة كان سيقوم خلالها بدفع مبلغ من المال الى بعض اللصوص في مكان ما اختاروه. لقد ضربوني على رأسي. حين استعدت وعيي وجدت ماريوت مقتولاً».

لم يتغير الكثير في تعابير وجه آمثور. لم يصرخ ولم يلطم رأسه بالجدران. ولكن ردة الفعل التي قام بها كانت في منتهى الحدة بالنسبة له. أفلت ذراعيه ثم ضمهما من جديد في طريقة أخرى. زمّ فمه، ثم جلس مثل أسد حجري خارج مكتبة عامة.

قلت: «لقد وجدت السجائر في حوزته».

حدق فيّ في منتهى الهدوء وتابعت: «ولكن لم تكن الشرطة من وجدها بل أخذتها أنا ولهذا لم تأتِ الشرطة الى هنا».

ـ «بالضبط».

ـ «المئة دولار»، قال بهدوء شديد، «لم تكن كافية إطلاقاً. أليس كذلك؟».

ـ «هذا يتوقف على ما تريد أن تشتري بواسطتها».

ـ «هل تحمل معك تلك السجائر؟».

ـ «واحدة منها فقط. ولكنها لا تثبت شيئاً كما قلت أنت. قد يستطيع أي واحد الحصول على بطاقتك. أنا أتساءل فقط لماذا كانت حيث كانت. هل لديك أية فكرة؟».

سألني بخفوت: «إلى أي حد كنت تعرف السيد ماريوت؟».

ـ «لم أكن أعرفه أبداً. ولكن لدي بعض الانطباعات عن شخصيته. لقد كانت بارزة جداً. ما كان يمكن أن لا ألاحظها».

نقر آمثور بخفة على الطاولة البيضاء. كان الهندي لايزال مستغرقاً في النوم وقد سقطت ذقنه على صدره الشاسع، وكانت عيناه الوارفتا الرموش مغلقتين بإحكام.

ـ «بالمناسبة، أوهل قابلت امرأة تدعى السيدة غرايل. انها امرأة ثرية تعيش في منطقة باي سيتي؟».

هزّ رأسه إيجاباً وهو شارد الذهن، وقال: «أجل. لقد

عالجت لها مركز النطق في جهازها العصبي. كانت تعاني من مشكلة بسيطة في النطق».

قلت: «لقد عالجتها بطريقة ممتازة. إنها تتكلم الآن بشكل جيد مثلي تماماً».

فشلت فشلاً ذريعاً في إضحاكه. وتابع ينقر على الطاولة. استمعت الى النقرات. كأن هناك أمراً مريباً في شأنها. بدت وكأنها شارات شيفرة. ثم توقف، شبك ذراعيه مجدداً وانحنى الى الوراء متكئاً على اللاشيء.

ـ «ما يعجبني في هذه المسألة هو أن الجميع يعرف الجميع». وتابعت، «السيدة غرايل كانت تعرف ماريوت أيضاً».

وسألني بتمهل: «كيف اكتشفت هذا الأمر؟».

لم أرد.

قال: «سيتوجب عليك أن تخبر الشرطة ـ عن تلك السجائر».

هززت كتفي بلامبالاة.

قال آمثور متودداً: «أعتقد انك تتساءل لِمَ لَمْ ألقي بك الى الخارج. ان سيكوند بلانتينغ يستطيع أن يحطم عنقك كدجاجة. إني أتساءل هذا في نفسي. يبدو ان لديك نظرية ما في المسألة. أنا لا أدفع شيئاً إن كانت مسألة ابتزاز. هذا لا يفيدني البتة.. ثم ان لدي الكثير من الأصدقاء. لكن هناك بالتأكيد بعض الأوساط التي ترغب في إفساد سمعتي كلياً كالمحللين النفسيين واختصاصيي المشاكل الجنسية، وأطباء الأعصاب، وكل أولئك الرجال الحقيرين بمطارقهم المطاطية

ورفوفهم المحملة بالأدب والزيغ كلهم بالطبع من الأطباء بينما أنا لست سوى مجرد... نصّاب. قل لي ما نظريتك أنت؟».

حملقت فيه محاولاً جعله يخفض عينيه، لكن هذا كان أمراً مستحيلاً. وأحسست وكأني ألحس شفتيّ.

هز كتفيه قليلاً وقال: «لا أستطيع أن ألومك إن كنت ترغب بالاحتفاظ به لنفسك. انها مسألة في حاجة الى تفكير، وسأفعل هذا. لعلك أشد ذكاء مما قدرّت. أنا أيضاً أخطىء أحياناً. ولكن خلال هذا الوقت...». انحنى الى الأمام ووضع كلتا يديه على المصباح البيضوي ذي الضوء الحليبي اللون.

قلت: «أعتقد ان ماريوت يبتز النساء. وكان أيضاً جاسوساً يعمل لصالح عصابة لسرقة المجوهرات. ولكن علينا أن نكتشف من كان يختار له ضحاياه ليعرف تحركاتهن، ويتقرب منهن ويقيم معهن علاقات حميمة. ثم مطارحتهن الغرام، وجعلهن يرتدين مصاغهن الثمينة لاصطحابهن في نزهات، يقوم خلالها باتصال هاتفي الى شباب العصابة ويحدد لهم مواقع مناسبة لنصب الكمائن».

ـ «أهذه»، قال آمثور بحذر، «هي الصورة التي رسمتها لماريوت ولي؟ انك تثير قرفي الى أقصى الحدود».

انحنيت الى الأمام حتى أصبح وجهي على بعد أقل من نصف متر عن وجهه. وقلت: «أنت مجرد مخادع مبتز. فلسف الأمر كما تشاء وستظل نصاباً. ولم يكن الأمر مجرد بطاقات تحمل اسمك يا آمثور. إذ انه كما قلت في مقدور أي واحد الحصول عليها. ولم تكن مسألة «ماريجوانا». فأنت لا

تتورط في نشاط منحط من هذا النوع. ولكن على ظهر كل واحدة من بطاقاتك هناك فسحة بيضاء. وعلى الفسحة البيضاء وحتى على المكسوة بالكتابة هناك أحياناً كتابات غير مرئية، خفية».

ابتسم بكآبة وبالكاد لمحت ذلك. وتحركت يداه فوق المصباح البيضوي.

انطفأ الضوء. وأضحت الغرفة سوداء، أكثر سواداً من قبر قايين.

- ٢٢ -

ركلت منضدتي بسرعة وانتشلت مسدسي من حمّالته. لكن كل هذا لم ينفع. فقد كانت سترتي مزررة وكنت بطيئاً جداً.

سمعت حركة وأحسست بهواء خفيف حيث هاجمتني رائحة بدائية كريهة. وفي الظلمة المطبقة ضربني الهندي من الخلف وثبت ذراعي. ثم راح يحملني. وقد كان في مقدوري رغم ذلك تحرير مسدسي. وإطلاق النار بعشوائية في الغرفة، ولكنني كنت وحدي. ولم يبد أن هناك أي فائدة في ذلك.

ألقيت بالمسدس وحاولت الامساك بمعصميه. كانا لزجين يصعب امساكهما. ثم زمجر ورماني بقوة وبعنف وكاد يدق عنقي. وأصبح هو الآن من يمسك بمعصميّ فلواهما الى وراء ظهري بسرعة ثم ركلني على ظهري بركبة أقسى من الصخر.

حاولت أن أصرخ، لكنني لم أستطع أن أفعل. قذف بي

الهندي الى الجانب ثم عصر جسمي بين رجليه. كنت بين يديه وكأنني داخل برميل. ثم انقض بيديه على عنقي.

كنت على وشك أن أسلّم الروح حين أضيئت الأنوار من جديد، كان الضوء أحمر كالدم بفعل الدم المضغوط في بؤبؤي وخلفهما. حلقّ وجه في مكان ما أمامي. أمسكتني يد ما بلطافة، ولكن اليدين الأخريين بقيتا فوق حلقي.

قالت صوت خافت: «دعه يتنفس ـ قليلاً».

ارتخت أصابعه فاستعدتُ أنفاسي ولكني أحسست بشيء ما يلمع الى جانب ذقني.

وقال الصوت بخفوت: «اجعله يقف على رجليه».

رفعني الهندي على قدمي. ثم دفعني الى الحائط ممسكاً إياي بمعصمي.

ـ «مجرد هاو» ردد الصوت بنعومة وضربت مجدداً على وجهي بالشيء اللماع الذي كان قاسياً ومر المذاق كالموت نفسه. سال على وجهي شيء ما ساخناً، تذوقته بلساني وكان طعمه فولاذاً وملحاً.

رأيت أيادي تفتش محفظتي وجيوبي ثم استخرج أحدهم الورقة الملفوفة حيث كانت السيجارة.

قال الصوت بلطف بعد أن ضربني بالشيء اللماع مجدداً على ذقني: «كان هناك ثلاث سجائر؟».

لفظت: «ثلاث».

ـ «قل فقط أين وضعت الثلاث الأخريات؟».

ـ «في درجي... في المكتب».

انهال عليّ الشيء اللماع مجدداً: «لعلك تكذب، ولكن سوف أتأكد من هذا». التمعت المفاتيح أمام عيني محدثة التماعات ضئيلة حمراء. وقال الصوت: «اخنقه قليلاً أيضاً».

وانقضت الأصابع الفولاذية على حلقي. كنت معصوراً على جسمه، على رائحته الكريهة وعضلات معدته القاسية. تطاولت ملتقطاً أحد أصابعه وحاولت أن ألويه.

قال الصوت بنعومة: «أمر مذهل. انه يتعلم بسرعة!».

لوّح الشيء المتلألىء مجدداً في الهواء ثم صفع بعنف حنكي، أو ما كان مرة حنكي.

قال الصوت: «أفلته. لقد أصبح مروّضاً».

أفلتتني الذراعان القويتان الصلبتان، وسقطت مترنحاً الى الأمام لأخطو خطوة وأثبت نفسي. وقف آمشور مبتسماً ببلادة أمامي، كان كما لو في حلم، هكذا رأيته. كان يحمل مسدسي بيده الناعمة ويصوبه نحو صدري.

قال بصوته الرقيق: «في مقدوري أن ألقنك درساً. ولكن ما الفائدة؟ لست سوى رجل ضئيل وحقير. لن تحدث فيك مطلق بقعة مضيئة أي اختلاف. أوليس كذلك؟» وابتسم.

سددت الى ابتسامته لكمة بكل ما تبقى لديَّ من قوة. ولم تكن سيئة على الاطلاق بعد التدقيق. فترنح وتدفق الدم من منخريه. ثم تماسك وانتصب رافعاً المسدس في اتجاهي مجدداً.

قال بهدوء: «اجلس يا بني. سوف يأتي الآن بعض الزوار. وأنا مسرور جداً لأنك ضربتني. سينفعني هذا كثيراً».

تناولت المنضدة البيضاء وقعدت، ثم ألقيت رأسي على

الطاولة البيضاء قرب المصباح البيضوي الذي كان يشع برقة. حدقت في الاتجاهات ورأسي على الطاولة. كان الضوء رائعاً وسحرني. ضوء رائع. ضوء رائع وناعم. ورائي وحولي لم يكن سوى السكون. أظن اني غفوت، هكذا ببساطة. وجهي فوق الطاولة وشيطان نحيل وجميل يحمل مسدساً يراقبني ويبتسم.

ـ ٢٣ ـ

ـ «حسناً»، بدأ الرجل الضخم، «توقف عن المخادعة».

فتحت عيني وجلست.

ـ «أخرج من الغرفة أيها الغلام».

وقفت وما زلت مشوشاً. توجهنا الى مكان ما عبر باب. ثم رأيت ما كان ـ انها غرفة الانتظار تلك المحاطة بالنوافذ. كانت الظلمة كاملة في الخارج.

كانت الامرأة ذات الخواتم المخيفة جالسة وراء مكتبها. وكان رجل يقف قربها.

ـ «اجلس هنا يا غلامي».

دفعني الى المقعد. كان مقعداً وثيراً، مستقيماً ولكن مريحاً، ولكن مزاجي لم يكن مناسباً البتة. المرأة الجالسة وراء المكتب فتحت أمامها دفتر ملاحظات وكانت تقرأ منه بصوت مرتفع. وكان هناك رجل متقدم في السن بملامح سجّان وشاربين رماديين يستمع اليها.

كان آمثور واقفاً قرب النافذة، ظهره الى الغرفة يتأمل أفق المحيط في البعيد البعيد من خلف الأعمدة المضيئة ما وراء العالم. ثم تطلع الى المرأة وكأنه مذهول بها واستدار برأسه

نصف استدارة ليلقي نظرة عليّ، ولاحظت انه قد غسل الدم عن وجهه. غير ان أنفه لم يكن ذاك الذي رأيته حين قابلته لأول مرة. كان أكبر بضعفين. وابتسمت لهذا ابتسامة عريضة بشفتيّ المتورمتين.

- «هل استمتعت يا غلامي؟» زمجر صوت ما.

نظرت مفتشاً عن مصدر الصوت الذي سبب كل تلك الضجة. كان عملاقاً يزن بضع مئات من الكيلوغرامات بأسنان مبقعة وصوت متورم أشبه بصوت نبّاح في سيرك. كان جلفاً، سريعاً، وآكل لحوم نيئة. من الصنف الذي لا يمكن مداعبته. شرطياً من النوع الذي يبصق على هراوته كل مساء بدل ترديد صلواته. غير ان عينيه كانتا توحيان بحب المزاح.

انتصب أمامي منفرج الساقين، حاملاً بيده محفظتي المفتوحة ومحدثاً بظفره خدوشاً على جلدها، كما لو انه كان يهوى افساد الأشياء. الأشياء الصغيرة على الأقل ان لم يتوفر شيء آخر. غير انه كان بالتأكيد يستمتع أكثر بتشويه الوجوه.

- «مختلس، هيه يا غلامي؟ زائر من المدينة الكبيرة الشريرة، هيه؟ عملية ابتزاز صغيرة أليس كذلك؟».

كانت قبعته فوق مؤخر رأسه. وكان شعره بنياً وقاتماً والعرق يتصبب فوق جبينه. عيناه الخبيثتان كانتا مرقطتين بشروش حمراء.

أحسست كما لو أن عنقي مرّرت عبر مكواة اسطوانية.

رفعت يدي وتحسستها. ذاك الهندي اللعين. لديه أصابع أشبه بقضبان فولاذية.

توقفت المرأة السمراء عن القراءة في دفتر الملاحظات وأقفلته. أطرق الرجل الكهل ذو الشاربين الرماديين واقترب ليقف وراء الذي كان يتحدث إليّ.

سألت فاركاً ذقني: «رجال شرطة؟».

- «ماذا تعتقد يا صديقي الصغير؟».

كان هذا مزاح شرطي بالتأكيد. كان الرجل النحيل يشكو من حَوَل في احدى عينيه وبدا لي وكأنه أعور.

قلت ناظراً اليه: «لستم من شرطة لوس أنجلوس». كانت عينه تلك قد أدت به بدون أدنى ريب الى التقاعد من شرطة لوس أنجلوس.

ناولني الرجل الضخم محفظتي. تفحصتها من الداخل. كانت الدراهم لاتزال هناك. كل البطاقات. كان فيها كل ما احتوته. ولقد فوجئت بذلك.

قال الضخم: «قل شيئاً يا صاحبي الصغير. أي شيء يوقعنا في غرامك».

- «أعد لي مسدسي».

انحنى قليلاً الى الأمام مفكراً. رأيته يفكّر. لقد كان يؤلمه ذلك حقاً. وقال: «آه. انك تريد مسدسك يا صاحبي الصغير؟» وتطلع الى جانبه في اتجاه الرجل ذي الشاربين الرماديين. «يقول انه يريد مسدسه» ثم نظر إليّ مجدداً: «ولماذا تريد استرجاع مسدسك يا صاحبي الصغير؟».

- «كي أقتل هندياً».

- «آه انك تريد قتل هندي يا صديقي الصغير».

- «أجل. هندي واحد فقط، مثل طير البوم».

نظر مجدداً الى الرجل الكهل: «هذا الرجل عنيف جداً. انه يريد قتل هندي».

انبريت قائلاً: «اسمع جيداً يا همنغواي، توقف عن ترديد كل ما أقوله».

قال الضخم: «أظن ان هذا الرجل مجنون. لقد دعاني للتو همنغواي. ألا تظن انه مجنون؟».

عضّ ذو الشاربين الرماديين سيجاراً ولم يقل شيئاً.

استدار الرجل الطويل الفاتن ببطء قرب النافذة وقال بنعومة: «أعتقد انه غير متوازن عقلياً».

قال الرجل الضخم: «لا أجد أي سبب يجعله يناديني باسم همنغواي. ان اسمي ليس همنغواي».

قال ذو الشاربين الرماديين: «أنا لم أر أي مسدس».

نظر إليّ آمثور. وقال: «انه في الداخل. انه في حوزتي. سأعطيه لك يا سيد بلاين».

انحنى الرجل الضخم من عليائه لاوياً ركبتيه قليلاً ونفخ تنفسه في وجهي قائلاً: «لماذا دعوتني همنغواي يا صاحبي الصغير؟».

- «دعك من هذا، اننا بحضرة سيدات هنا».

وقف مجدداً وقال: «هل ترى؟» وحدّق في زميله ذي

الشاربين الرماديين. هز هذا الأخير برأسه واستدار مبتعداً عبر الغرفة. فتح الباب وخرج ثم تبعه آمثور.

حلّ صمت. نظرت المرأة السمراء الى حافة طاولتها وعبست. نظر الرجل الى جانب عيني اليمنى وهزّ رأسه ببطء متسائلاً.

فتح الباب مجدداً وعاد ذو الشاربين. انتشل قبعة من مكانها وناولني اياها. ثم انتشل من جيبه المسدس ووضعه في يدي. عرفت من وزنه انه كان فارغاً. غرزته تحت ابطي ووقفت.

قال الضخم: «هيا بنا يا صاحبي الصغير. لنذهب من هنا. أظن انك في حاجة ماسة لبعض الهواء المنعش».

ـ «حسناً يا همنغواي».

قال الضخم بكآبة: «ها هو يقولها مجدداً. انه يناديني همنغواي على اعتبار ان هناك سيدات. هل تعتقد ان هذه نكتة وسخة؟».

قال ذو الشاربين: «هيا. أسرع».

أمسكني الرجل الضخم بذراعي وتوجهنا الى المصعد الصغير. ودخلناه، وبدأ المصعد يرتفع بنا.

ـ ٢٤ ـ

حين أدركنا بيت المصعد، خرجنا وعبرنا الرواق الضيق لنخرج من الباب الأسود. كانت ليلة صافية الهواء، وفي هذا الارتفاع كنا بمنأى عن رذاذ المحيط الضبابي. وتنفست عميقاً.

كان الرجل الضخم لايزال ممسكاً ذراعي. وكانت سيارة سوداء عادية ذات لوحة خاصة متوقفة هناك بانتظارنا.

فتح الضخم الباب الأمامي وقال متذمراً: «ليست بالسيارة التي تليق بمستواك يا صاحبي الصغير. ولكن بعض الهواء النظيف سيحسن وضعك جيداً. هل يناسبك هذا؟ لا نريد أن نفعل ما لا ترضى به يا صاحبي الصغير».

- «أين هو الهندي؟».

هز برأسه قليلاً ودفعني الى داخل السيارة. وصعدت الى الجانب الأيمن من المقعد الأمامي. قال: «آه أجل الهندي. يجب أن تقتله بالقوس والنشاب. هذا هو القانون. اننا نحتجزه في مؤخرة السيارة.

التفت الى المقعد الخلفي. كان فارغاً.

قال الرجل الضخم: «اللعنة. انه ليس هناك. لابد ان أحدهم سرقه. لا يمكن ترك أي شيء في سيارة غير مقفلة».

قال الرجل الآخر وقد صعد الى المقعد الخلفي: «عجّل». دار همنغواي حول السيارة ودفع ببطنه الهائل أمام المقود. أدار المحرك، ثم انعطفنا وانطلقنا منحدرين في الطريق الخاصة التي تحيط بها زهور «عصا الراعي» البرية. هبّت علينا ريح باردة من ناحية البحر. كانت النجوم بعيدة جداً. ولم تقل شيئاً.

أدركنا أسفل الممر الداخلي وانعطفنا عبر طريق الجبل الإسمنتية.

- «كيف حدث انه ليس في حوزتك سيارة يا صاحبي الصغير؟».

- «لقد بعث آمشور في طلبي».

- «ولماذا يفعل هذا يا صاحبي؟».

- «حدث انه أراد رؤيتي».

قال همنغواي: «هذا رجل ممتاز إنه يرى المستقبل».

بصق الى جانب السيارة وانعطف بمهارة لينحدر من التلة: «انه يقول انك اتصلت به بالهاتف وحاولت ابتزازه. لذلك قرر انه من الأفضل أن يكتشف مع أي نوع من الرجال كان سيتعامل. ولهذا بعث اليك بسيارته».

قلت: «حسبما أفهم. لقد قرر أن يتصل بشرطيين من معارفه ولن أحتاج الى جماعتي لايصالي الى المنزل. جيد جداً يا همنغواي».

- «أجل. آه انك تكرر ذلك مجدداً. حسناً. انه لديه آلة تسجيل تحت طاولته، وان سكرتيرته تسجل كل ما يجري في الداخل. ثم حين وصلنا قرأت كل ما سجلت للسيد بلاين».

استدرت ملتفتاً الى السيد بلاين. كان يدخن سيجاراً باطمئنان وكأنه كان ممدّداً أمام التلفزيون في منزله. لم ينظر حتى اليّ.

قلت: «لقد اتقنوا الأمر جيداً.. آه سحقاً لهم لا بد انهم حضروا سابقاً كل تلك الملاحظات وأعدّوها جيداً للقضية».

اقترح همنغواي بلطف: «ربما تود أن تخبرنا لماذا أراد رؤيتك ذاك الرجل».

- «هل تعني بما أني مازلت أحتفظ بجزء ما من وجهي؟».

ـ آوو. انك تبالغ يا صديقي. لست أبداً من ذلك النوع». قال هذا بشكل وديّ.

ـ «بدا أنك تعرف آمثور معرفة جيدة يا همنغواي؟».

ـ «إن من يعرفه في الواقع هو السيد بلاين. هكذا أعتقد. أنا لا أفعل سوى تنفيد الأوامر».

ـ «من هو بحق الشيطان هذا السيد بلاين؟».

ـ «انه هذا السيد الجالس وراءك على المقعد الخلفي».

ـ «ومن يكون؟».

ـ «إلى جانب انه قاعد على المقعد الخلفي» من تراه يكون؟».

ـ «حسناً»، قلت وقد شعرت فجأة اني مرهق جداً.

حلّ صمت لبعض الوقت، وعبرنا منعطفات كثيرة ومعتمة، وازداد ألمي.

انبرى الضخم: «ربما اننا كلنا رجال، ولا نساء هنا، نحن لا نأبه البتة لمسألة ذهابك الى هناك. ولكن ما معنى قصة هذا الهمنغواي؟».

قلت: «مزحة. انها مزحة قديمة، قديمة جداً».

ـ «من هو هذا الـ الهمنغواي في مطلق الأحوال؟».

ـ «انه رجل يردد باستمرار الشيء نفسه مراراً وتكراراً إلى أن تصدق أخيراً انه لابد أن يكون صحيحاً».

ـ «لا بد ان لديك مخيلة خارقة بالنسبة لتحري خاص. أما زلت تملك أسنانك الطبيعية؟».

ـ «أجل، بعض أطلال منها».

ـ «لا بد انك كنت محظوظاً يا صديقي الصغير».

انبرى فجأة الرجل الجالس على المقعد الخلفي قائلاً: «هذه هي الطريق الصحيحة انعطف الى اليمين عند المفترق الثاني».

ـ «مفهوم».

انعطف همنغواي بالسيارة الى داخل طريق بدائية ضيقة انجرّت إلى حافة أحد الجبال. تقدمنا عليها لمسافة كيلومترين تقريباً. هناك كانت تنبعث رائحة القصعين بقوة.

قال الرجل الجالس على المقعد الخلفي: «هنا».

أوقف همنغواي السيارة وشد المكابح اليدوية. انحنى من فوقي وفتح الباب.

ـ «حسناً. لقد سُعدنا بمعرفتك يا صديقي الصغير. ولكن لا ترجع أبداً. وخصوصاً في زيارات عمل. أخرج».

ـ «هل أعود مشياً على القدمين من هنا؟».

قال الرجل من المقعد الخلفي: «عجّل».

ـ «أجل. ستعود ماشياً الى المنزل من هنا يا صديقي الصغير. أوهل يناسبك هذا؟».

ـ «طبعاً. ان هذا سيمنحني الوقت لأفكر مستوضحاً بعض الأمور. ومنها انكما لستما شرطيين من شرطة لوس أنجلوس. لكن من المؤكد ان أحدكما شرطي. وربما أنتما الاثنان كذلك. قد تكونان من شرطة باي سيتي. اني أتساءل ما الذي جعلكما تعملان خارج منطقتكما».

ـ «ألا تجد انه سيكون من الصعب عليك اثبات هذا يا صديقي الصغير؟».

ـ «عمت مساء يا همنغواي».

لم يرد. لم يتكلم أي منهما. بدأت أخرج من السيارة ووضعت قدمي على حافة الباب السفلية وانحنيت الى الأمام وكنت لاأزال أشعر بالدوار بعض الشيء.

قام الرجل الذي على المقعد الخلفي بحركة سريعة مفاجئة حدستها أكثر مما رأيتها. وانفتحت بحيرة ظلام تحت قدمي وكانت قصية وأحلك بكثير من الليلة الظلماء.

غطست فيها. كانت معدمة القعر.

ـ ٢٥ ـ

كانت الغرفة عابقة بالدخان.

كان الدخان معلقاً فوق الهواء محلقاً في خيوط نحيلة، ومنهمراً مثل ستارة من اللآلىء. تراءت لي نافذتان بدتا مفتوحتين عند آخر الجدار غير أن الدخان لم يتحرك. لم أكن قد رأيت هذه الغرفة من قبل. وكانت النافذتان مسوّرتين بقضبان حديدية.

كنت بليداً غير قادر على التفكير. شعرت كما لو أني نمت طوال سنة. لكن الدخان ضايقني. تمددت على ظهري وبدأت أفكر في الأمر. بعد وقت طويل تنفست عميقاً وآلمتني رئتي.

صرخت: «حريق!».

وجعلني هذا أضحك. لم أعرف ما المضحك في الأمر ولكني رحت أضحك على أية حال. كنت مستلقياً على الفراش مقهقهاً. أقلقني صدى قهقهاتي. كانت قهقهات رجل مجنون.

كانت الصرخة الوحيدة كافية. راحت خطوات تطرق

متسارعة في الخارج، ثم حشر مفتاح في القفل واندفع الباب منفتحاً. قفز رجل الى الجانب وأغلق الباب وراءه. كان يضع يده على حمّالة مسدسه.

كان رجلاً قصيراً قوي البنية مرتدياً معطفاً أبيض. كانت عيناه سوداوين ومسطحتين وخداه أسمرين عند زاويتهما.

قلبت رأسي على المخدة القاسية وتثاءبت.

قلت: «هذه غير محسوبة يا توتو. لقد أفلتت مني».

وقف هناك مسمراً يده اليمنى فوق حمّالةمسدسه، حاقد الوجه مخضراً وخسيس السمات بعينين سوداوين ميتتين وأنف كمحارة فارغة.

زمجر قائلاً: «لعلك تريد سترة مجانين».

ـ «أنا مرتاح يا توتو. مرتاح جداً. لقد غفوت جيداً. وحلمت بعض الشيء كما أذكر. أين أنا الآن؟».

ـ «حيث يجب أن تكون».

قلت: «يبدو مكاناً لطيفاً. أناس لطفاء. ومناخ ممتاز. أعتقد أني سأنام قليلاً».

زمجر: «من الأفضل أن تفعل هذا».

خرج. أغلق الباب. طقّ القفل. ثم ابتعدت طرقات قدميه متلاشية.

هذا لم ينفع البتة في إبعاد الدخان. بقي معلقاً هناك في وسط الغرفة، في كل الغرفة، مثل ستارة. لم ينحل، لم يحلّق ولم يتحرك البتة. كان هناك هواء في الغرفة وكنت أستطيع أن أشعر به فوق وجهي. غير أن الدخان لم يكن يتأثر به أبداً. كان

هناك نسج عنكبوت رمادي حبكته آلاف العناكب. وتساءلت بذهول كيف انهم استطاعوا تجييش كل هذا العدد من العناكب!

كنت أرتدي بيجاما من القماش القطني. من الصنف الذي يستخدمونه في المستشفيات الحكومية. مجرد قماشة مسطحة من الأمام ولا خيط أكثر من الحد الأدنى الضروري. كان قماشها قاسياً وبخساً. وفركت قبتها رقبتي. كانت رقبتي مازالت تؤلمني. وبدأت أتذكر الأحداث. رفعت يدي وجعلت أتحسس عضلات عنقي. كانت ماتزال موجعة. أعطوني فقط هندياً واحداً، «بوم». حسناً يا همنغواي. إذن انك تريد أن تصبح تحرياً؟ وتكسب مالاً كثيراً. الأمر سهل. فقط تسعة دروس بالمراسلة. اننا نؤمن أيضاً الشارة. وإن دفعت خمسين سنتاً إضافياً نبعث اليك أيضاً عتاداً كاملاً من الأسلحة.

كان عنقي يؤلمني ولكني لم أشعر بأصابعي. كان يمكن أن تكون مجرد حزمة من الموز. تطلعت اليها، بدت أشبه بأصابع. لا تنفع. هل أبعث أيضاً برسالة في طلب أصابع. لابد انها أتت في الشحنة مع الشارة وترسانة الأسلحة. وأيضاً مع شهادة التخرج.

كان الوقت ليلاً. وكان العالم خارج النوافذ عالماً مظلماً. كانت كرة زجاجية من البورسلين معلقة عند وسط السقف بثلاث سلاسل نحاسية. وكانت مضاءة. حول حافتها انتشرت نتوءات ضئيلة برتقالية وزرقاء متتالية. حدقت فيها. كان الدخان يقتلني. وبينما حدقت فيها راحت النتوءات تتفتح

مثل كوّات وانبثقت منها رؤوس. رؤوس ضئيلة ولكن حيّة. رؤوس كرؤوس دمى صغيرة ولكن حيّة. كان هناك رجل بقبعة بحار وأنف أحمر مبرعم. وشقراء مشعّة بقبعة استعراضية ورجل نحيل بعقدة فراشية مقلوبة. بدا أشبه بخادم في مطعم قذر على شاطىء سباحة شعبي. فتح شفتيه وزعق: «هل تريد يا سيدي شريحتك نصف نيئة أم مشوية؟».

أغلقت عيني بإحكام ثم غمزت بشدة بخدّي وفتحتهما مجدداً، ولم تكن سوى كرة من البورسلين معلقة بثلاث سلاسل نحاسية.

لكن الدخان بقي معلقاً من غير حراك في الهواء المتحرك.

أمسكت زاوية بطانية خشنة ومسحت العرق عن وجهي بالأصابع الخدرة التي كانت بعثتها إليّ مدرسة المراسلة بعد الدروس التسعة السهلة. نصف درس كمقدمة. صندوق بريد رقم ٢٤٦٨٩٢٤ باي سيتي، ولاية آيوا. جنون. لقد أصبحت مجنوناً كلياً.

قعدت على الفراش وبعد فترة استطعت لمس الأرض بقدمي. كانتا حافيتين وكأن فيهما إبراً ودبابيس. ماكينة الحساب يا سيدتي الى اليسار. الدبابيس الكبيرة المقفلة الى اليمين. بدأت قدماي تتحسسان الأرض. وقفت وكنت مرتفعاً جداً. لويتهما، لاهثاً وتمسكت بحافة السرير وخيّل إليّ أن صوتاً طلع من تحت السرير وردد تكراراً: «البطاح الغولي، انه البطاح الغولي، انه البطاح الغولي»(*).

(*) البطاح الغولي: هذيان ارتعاشي ناشىء عن الاسراف في شرب المسكرات.

بدأت أمشي مترنحاً كسكير. كان هناك قنينة ويسكي على طاولة صغيرة مطلية على الأرض بين النافذتين. بدت جيدة الصنف. كانت نصف فارغة. يمكنك أن تتذمر وأنت تقرأ صحيفة الصباح، وان تطأ قدم رجل يجلس قربك في صالة السينما، وأن تشعر انك شرير، أو بالاشمئزاز وأنت تلعن السياسيين، وعلي الرغم من كل ذلك هناك في العالم أناس طيبون. خذ مثلاً ذلك الفتى الذي ترك نصف قنينة الويسكي هناك. ان لديه قلباً أكبر من مؤخرة ماي وست(**).

أمسكت القنينة بيدي الخدرتين ورفعتها بشقاء الى فمي، وتصبب مني العرق وكأني رفعت زاوية من جسر غولدن غايت.

شربت جرعة طويلة فانهمر معظمها فوق جسمي. ثم وضعت القنينة مجدداً بعناية عظيمة. وحاولت أن ألحس ما تسرب الى ذقني.

كان طعم الويسكي غريباً. وفيما اكتشفت ذلك رأيت مغسلة مثبتة عند زاوية الجدار. وأدركتها في الوقت المناسب. نجحت. وتقيأت. تقيأت بشدة حتى شعرت بأن أحشائي أيضاً قد خرجت مني.

مضى الوقت ـ كَرَب الغثيان والترنح والدوار والتعلق بحافة المغسلة وإصدار أصوات حيوانية للنجدة.

وانتهى هذا أخيراً. ترنحت عائداً الى السرير واستلقيت على ظهري مجدداً لاهثاً مراقباً الدخان. لم يكن الدخان واضحاً

(**) ماي وست: ممثلة أميركية

أبداً. لم يكن حقيقياً أبداً. ربما لم يكن سوى سراب في رأسي. وفجأة لم يكن هناك البتة. وكشف ضوء كرة البورسلين بوضوح كل زوايا الغرفة.

جلست مجدداً. كان هناك كرسي خشبي ثقيل ملتصقاً بالجدار قرب الباب. كان هناك باب الى جانب الباب الذي دخل منه الرجل ذو المعطف الأبيض. باب خزانة ربما. كان يمكن انه احتوى ثياباً. كانت الأرضية مكسوة ببلاط أخضر، مربعات خضراء ورمادية. كانت الجدران مطلية بالأبيض. غرفة نظيفة. كان السرير الذي نمت عليه حديدياً ضيقاً، سرير مستشفى، أكثر انخفاضاً من الأسرة العادية. وكان هناك مشدات أطواق جلدية سميكة بإبزيمات معلقة بزواياه. كانت مثبتة حيث كان من المفترض أن تحاذي معصمي وركبتي رجل مستلق.

كانت غرفة فاخرة. باختصار.

وباختصار عاودني الاحساس بكل جسدي. وجع في رأسي. وفي حلقي وفي ذراعي. لم أذكر ما الذي حدث لذراعي. رفعت كمّ البيجاما القطنية ونظرت إليها مشوّش العينين. كانت مكسوّة بوخزات إبر غطتها من المرفق حتى الكتف. حول كل وخزة كان هناك بقعة صغيرة شاحبة بحجم قطعة نقدية صغيرة.

مخدرات! كنت حقنت بكمية مخدر لأبقى هادئاً. وربما أيضاً بمادة السكوبولامين لكي يجعلوني أتكلم. كانت كمية كبيرة في فترة قصيرة. لقد عانيت مشقة شيطانية كي أستطيع الصحو منها. بعضهم يستطيع ذلك، والبعض الآخر يفشل

فيموت. هذا يتوقف بالدرجة الأولى على طبيعتك الجسدية. هذه هي المخدرات.

وهذا فسر مسألة الدخان والرؤوس الصغيرة المنتقة من حافة ضوء السقف، والأصوات، والأفكار الشاذة، والأطواق والقضبان الحديدية، والأصابع الخدرة والقدمين. كانت قنينة الويسكي ربما العلاج المطلوب في فترة نقاهة قضاها أحد ما قبلي لمدة ٤٨ ساعة. لقد تركوها هنا قصداً، كي لا يفوتني مطلق شيء.

وقفت وكدت أصطدم تقريباً بالجدار المواجه ببطني. وهذا جعلني أستلقي وأتنفس بهدوء لفترة طويلة. كنت أرتعش كلياً ويتعرق كل جسمي. كنت أشعر بتشكل نقاط من العرق فوق جبيني لتنزلق بعدها بطيئة وبعناية الى جانب أنفي وإلى زاوية فمي. وكنت ألعقها بسذاجة بلساني.

قعدت مرة جديدة، زرعت قدمي في الأرض ووقفت.

ـ «حسناً يا مارلو» قلت متمتماً، «انك رجل صلب. رجل فولاذي، ٩٥ كيلوغراماً وأنت عار ومغسول الوجه. عضلات شديدة لا زيف فيها. انك تستطيع احتمال هذا. لقد ضربت على رأسك مرتين، لقد خنقت مرة، ولقد حطم حنكك بواسطة مسدس بحجم برميل. لقد حقنت بطنك بالمخدرات واستطعت التحمل حتى صرت مجنوناً كفأرتين ترقصان الفالس».

ماذا حدث وماذا يعني؟ انها مجرد متاعب مهنية روتينية. دعنا الآن نقم بعمل ما قاس فعلاً كارتداء السروال على سبيل المثال.

تمددت على الفراش مجدداً.

ومضى الوقت مجدداً. لا أعرف كم من الوقت. لم تكن لديَّ ساعة. في مطلق الأحوال ان الساعات لا تقيس هذا النوع من الوقت.

قعدت. لقد بدا هذا يصبح مملاً. وقفت ورحت أمشي. إنها فعلة غير مسلية البتة. إنها تجعل قلبك يدق مثل قط ثائر. من الأفضل أن تهدأ لبعض الوقت. أنت في حالة مزرية يا صديقي الصغير. حسناً يا همنغواي أنا ضعيف.. لا أستطيع تحريك إناء زهور. لا أستطيع تحطيم ظفر.

لا شيء أفعله. فأمشي. أنا قوي. سوف أخرج من هنا.

استلقيت على الفراش مجدداً.

كانت المرة الرابعة أفضل بكثير. مشيت في الغرفة ذهاباً وإياباً مرتين. توجهت الى المغسلة، غسلتها وانحنيت فوقها وشربت ماء من باطن يدي. أبقيتها منخفضة. انتظرت قليلاً ثم شربت مجدداً. وكانت الأمور أفضل بكثير الآن.

مشيت. مشيت. مشيت.

مشيت نصف ساعة وكانت ركبتاي ترتعشان ولكن غادرني ألم رأسي. شربت مزيداً من الماء، كثيراً من الماء. وكدت أبكي فوق المغسلة وأنا أشربه.

ثم قفلت عائداً الى الفراش. كان فراشاً جميلاً. كان مغطى بقماش بلون أوراق الورد. كان أروع فراش في العالم. لا بد انهم ابتاعوه خصيصاً لريتا هايورث. كان ناعماً ليلائمها. كنت لأعطي كل عمري بدل دقيقتين من النوم فوقه. آه.

فراش جميل وناعم، آه نوم رائع، عينان جميلتان تنغلقان، ورموش تهبط، وصوت التنفس الرقيق والعتمة، والراحة التي تسكن الوسادات العميقة..

مشيت.

بنوا الأهرامات وضجروا منها، ثم خربّوها وطمروا حجارتها ليفعلوا منها اسمنتاً ليبنوا سدّ بولدر وانتهوا من ذلك وجاؤوا بالمياه الى ولايات الجنوب المشمسة، واستخدموها لحجز المياه الفائضة.

لقد مشيت طوال هذه الانجازات. لم يستطع أحدهم إزعاجي.

في النهاية توقفت عن المشي. وكنت مستعداً للتحدث مع أحد ما.

ـ ٢٦ ـ

كان باب الخزانة مقفلاً. كانت الكرسي ثقيلة جداً بالنسبة لي. رفعت أغطية الفراش ثم الفرشة أيضاً وأزحتها الى جانب السرير. كان هناك شبكة من الرّفاصات مثبتة من الأسفل والأعلى بواسطة براغ مشدودة من المعدن المصقول يبلغ طول الواحد منها حوالى الثلاثين سنتيمتراً. رحت أعالج إحداها لأفكه. كان ذلك العمل هو الأكثر مشقة. بعد عشر دقائق كنت جرحت إصبعين وحررت برغياً واحداً. أرجحته. كان توازنه ممتازاً، وأيضاً ثقيلاً وملفوفاً بحبل.

حين فرغت من عملي هذا تطلعت الى قنينة الويسكي

وكان يمكن أن تفي هي الأخرى جيداً بالغرض. لقد كنت نسيت كلياً كل ما يتعلق بشأنها.

شربت مزيداً من الماء. استرحت قليلاً جالساً الى حافة السرير العاري. ثم توجهت بعدها الى الباب، وضعت فمي فوق المفصلة وصرخت: «حريق! حريق! حريق!».

كان انتظاري قصيراً وبهيجاً في آن واحد. قدم راكضاً عبر الرواق الخارجي وانحشر مفتاحه بضراوة وأدير بشدة.

وثب الباب منفتحاً وتسطح على الجدار الملاصق. كان يحمل في يده هذه المرة هراوة، كانت أداة صغيرة جميلة طولها حوالى ١٥ سنتيمتراً ومكسوّة بجلد بني مشبوك. حين وقعت عيناه على السرير العاري راح يدور مستطلعاً الأرجاء.

انطلقت مقهقهاً وضربته ضربة عنيفة على رأسه. ألقيت البرغي الملفوف على جمجمته فسقط مترنحاً الى الأمام. هجمت عليه وهو راكع على ركبتيه وضربته مرتين أخريين. أصدر صوتاً كالمواء. انتزعت الهراوة من يده الخدرة. وراح يئن منتحباً.

ركلت وجهه بركبتي. فآلم ذلك ركبتي، لم يقل لي إن كانت أوجعت وجهه. وبينما كان لايزال يئن ضربته ضربة قاضية بالهراوة.

انتزعت المفتاح من الجهة الخارجية وأقفلت الباب من الداخل ورحت أفتش جيوبه. كان يحمل مزيداً من المفاتيح. وكان أحدها يناسب خزانتي حيث علقت ملابسي. فتشت في جيوبي أنا. كانوا سرقوا مال المحفظة. عدت الى الرجل ذي المعطف الأبيض. كان يحمل مالاً أكثر مما تكسبه هذه الوظيفة.

أخذت ما كان قد سلب مني ثم جررته الى السرير وحزّمت معصميه وركبته وحشرت ذراعاً من الشراشف في فمه. كان أنفه متحطماً. وانتظرت وقتاً طويلاً لأتأكد من قدرته على التنفس عبره.

شعرت بالأسف من أجله. مجرد فتى بسيط ضئيل وكادح يحاول الحفاظ على وظيفته والحصول على أجره آخر الشهر. ربما لديه زوجة وأولاد أيضاً. هذا محزن جداً. ولا شيء في متناوله غير هراوة. لم يبد الأمر عادلاً أبداً. كنت وضعت قنينة الويسكي على مقربة في متناول يده لو لم تكونا مكبّلتين.

ربّت على كتفه. وكدت أبكي حزناً فوقه.

كانت كل ثيابي هناك وحتى المسدس وحمّالته، ولكن لم تكن هناك رصاصات فيه. ارتديت ثيابي بمشقة، آلمتني أصابعي وكنت أئن وجعاً.

كان الرجل الممدد على السرير مرتاحاً. تركته هناك وأقفلت عليه الباب.

في الخارج كان الرواق ساكناً وفيه ثلاثة أبواب مقفلة. لم يسمع من وراء الأبواب مطلق صوت. انفرشت سجادة حمراء نبيذية في وسط الرواق وكانت ساكنة أيضاً كبقية المنزل. ثم كان هناك عطف في الرواق حيث دخلت رواقاً آخر حاد الزوايا انتهى الى سلم قديم العهد من خشب السنديان. التوى السلم بانسياب نزولاً الى صالة قاتمة في الأسفل. عند آخر الصالة السفلية ارتفع بابان زجاجيان مزخرفان بالرسوم. كانت أرضية الرواق من السيراميك ومكسوّة بسجادات

سميكة. انسل شعاع مكسور من حافة باب مقفل. أيضاً لم يكن مطلق صوت.

كان منزلاً قديماً ومبنياً بطريقة خارقة ما عادت معهودة الآن. كان يقع ربما في شارع منعزل تحيط به تعريشة من الورود، وحشد من الزهور. متألق، ساكن وهادىء تحت شمس كاليفورنيا الساطعة. ولا يهم من يسكنه، بشرط أن يصرخوا بأصوات مرتفعة.

كنت على وشك أن أهبط الدرجات حين سمعت سعال رجل. انتفضت فوراً ملتفتاً ورأيت انه كان هناك باب نصف مشرع عبر الرواق الآخر في القعر. تقدمت على رؤوس قدمي عبر الممر. ووقفت هناك منتظراً قرب الباب المشقوق، ولم أدخل. سعل الرجل مجدداً. كان سعاله عميقاً من أعماق صدره. كان سعالاً مسالماً ومستكيناً. وما كان هذا يعنيني. كل ما يعنيني كان الخروج من هنا. ولكن كنت سأهتم لأي رجل كان يمكن أن يكون بابه مفتوحاً في هذا المنزل. قد يكون رجلاً مهماً. تسللت قليلاً داخل مثلث الضوء، وسمعت حفيف صحيفة.

استطعت رؤية جزء من غرفة. وكانت مفروشة كغرفة وليس كزنزانة. كان فيها طاولة مكتب قاتمة وضعت فوقها قبعة وبعض المجلات. نوافذ بستائر مطرّزة وسجادة جميلة.

صرّت براغي السرير صارخة. كان بالتأكيد رجلاً ضخماً مثل سعاله. مددت رؤوس أصابعي ودفعت الباب بضعة سنتيمترات. لم يحدث أي شيء. أدنيت رأسي ببطء ليس له مثيل ورأيت الآن كل الغرفة، السرير، والرجل المستلقي فوقه،

والمنفضة الطافحة بأعقاب السجائر المتراكمة من الليلة الفائتة والفائضة الى الطاولة ومنها الى السجادة. كان هناك قرابة الدزينة من الصحف منتشرة فوق الفراش ومبعثرة. كانت إحداها بين يدين هائلتين ومنفرشة أمام وجه عملاق. رأيت شعره فوق حافة الصحيفة الخضراء. كان أسود، جعداً - أسود - وكثيفاً جداً. كان هناك زيح بشرة بيضاء تحته. انزاحت الصحيفة قليلاً فخمدت أنفاسي، ولم يتطلع الرجل الممدد على السرير.

كان في حاجة الى حلاقة ذقن بدا أنه سيكون باستمرار في حاجة الى حلاقة ذقن. لقد كنت شاهدته من قبل، في شارع سنترال أفينيو في ملهى للزنوج يدعى فلوريان. رأيته في بدلة صارخة الألوان أزرارها كرات غولف وكان يحمل في يده كأساً من الويسكي الصرف. ورأيته أيضاً حاملاً مسدساً حربياً من طراز كولت وقد بدا في قبضته أشبه بدمية وقد انسل برشاقة عبر باب محطم. لقد رأيت بعضاً من أفعاله. وكانت من النوع الكوارثي.

سعل مجدداً وأزاح مؤخرته على الفراش ثم تثاءب طويلاً وتناول من جانبه علبة سجائر. دخلت احدى السجائر فمه. والتهب ضوء عند ذروة ابهامه، وانجرف الدخان من منخريه.

لفظ: «آه»، وغطت الصحيفة وجهه مجدداً.

تركته هناك وتقهقرت عائداً الى الرواق الجانبي. ظهر ان السيد مالوي الموط كان بين أيادٍ أمينة. توجهت الى الدرج ونزلت.

همهم صوت وراء باب مقفل. انتظرت لأسمع الجواب. لم

يكن من جواب. كانت محادثة تلفونية. اقتربت من الباب وتنصت. كان الصوت خفيفاً مجرد تمتمة. لم أسمع ولم أفهم ما سمعت. ثم سمعت في النهاية طقة جافة. وتابع الصمت في الغرفة بعد ذلك.

لقد حلّ وقت الانصراف والمغادرة بعيداً. لذا دفعت الباب فانفتح وخطوت بهدوء الى الداخل.

ـ ٢٧ ـ

كان مكتباً لا صغيراً ولا كبيراً، أنيقاً، نظيفاً مثل أي مكتب كلاسيكي مثالي. وكان هناك مكتبة زجاجية محملة بكتب ثقيلة. وخزانة مساعدات أولية على أحد الجدران، وخلف زجاجها وعاء مطلي أبيض للتعقيم وفي داخله عدد كبير من الابر والحقن. كانت طاولة المكتب واسعة وضعت فوقها ورقة نشّاف، مقص أوراق برونزي، طقم أقلام، دفتر مواعيد،وأشياء قليلة أخرى. ما عدا مرفقي رجل كان يقعد متأملاً واضعاً وجهه بين يديه.

بين الأصابع الصفراء المنفرجة رأيت خصل شعر بلون رمل بني بليل، وناعم الى درجة اني حسبت انه مرسوم على جمجمته. تقدمت ثلاث خطوات إضافية ولا بد أن عينيه نظرتا الى ما وراء الطاولة وشاهدتا حركة قدمي. ارتفع رأسه ونظر إليّ. كانت عيناه غائرتين في وجهه الأشبه بالرّق. أفلت يديه وتراجع ببطء ونظر إليّ من غير أدنى تعبير.

ثم بسط يديه بحركة واهنة ومستهجنة في آن واحد. وحين

حطتا على الطاولة مجدداً كانت احداهما قريبة جداً من حافة الطاولة.

قلت: «الجرس الكهربائي لن ينفعك البتة هذه الليلة. لقد وضعت على التو رجلك القبضاي في السرير».

أصبحت عيناه حينئذٍ نعستين وقال: «لقد كنت رجلاً مريضاً جداً يا سيد. رجلاً مريضاً جداً. لا أنصحك بالنهوض الآن».

قلت: «اليد اليمنى» وربتُّ عليها بالهراوة فالتوت حول نفسها كثعبان جريح.

درت حول الطاولة مبتسماً من غير مطلق سبب. كان لديه بالطبع مسدس في الدرج. انهم يضعون باستمرار مسدساً في الدرج ولكنهم ينتشلونه دائماً بعد فوات الأوان. هذا ان حصل وقدّر لهم انتشاله. كان مسدساً أوتوماتيكياً من عيار ٣٨ وهو من طراز غير استثنائي. وليس أبداً بجودة مسدسي، غير اني أستطيع بالتأكيد استخدام مؤونته. لم يظهر ان هناك أي رصاصات في الدرج. لذا رحت أفرّغ خزّانه.

قام بحركة غريبة وكانت عيناه ماتزالان غائرتين وكئيبتين.

قلت: «ربما لديك جرس آخر تحت السجادة. وربما سيقرع في مكتب قائد الشرطة في المركز. أنصحك بعدم استخدامه. سأكون رجلاً في منتهى القسوة لساعة واحدة من الوقت. لن يدخل مطلق واحد من هذا الباب إلاّ ميتاً».

ـ «لا يوجد أي جرس تحت السجادة» وكان في نبرته الحد الأدنى من اللكنة الأجنبية.

أفرغت حشوة خزّان مسدسه في مسدسي. ثم توجهت مجدداً الى الناحية الأخرى من الطاولة.

كان هناك مزلاج على الباب. تراجعت اليه وأقفلته وسمعت طقّة القفل. كان هنالك قفل آخر فأدرته أيضاً.

عدت الى طاولة المكتب وجلست على كرسيّ. وكنت استهلكت آخر ذرّة من قوتي.

قلت: «ويسكي».

راح يحرك يديه.

قلت: «ويسكي».

توجه الى خزانة الاسعافات الطبية وأحضر قنينة رقيقة عليها دمغة خضراء وحمل معها كأساً.

قلت: «أحضر كأسين. لقد جرّبت مشروبك هذا مرة من قبل. فكدت أحلّق فوق هونولولو.

أحضر الكأسين الصغيرتين وفتح ختم القنينة وملأهما.

قلت: «اشرب أنت أولاً».

ابتسم ابتسامة هزيلة ورفع إحدى الكأسين.

ـ «بصحتك يا سيد ـ أو ما تبقى منها» ـ شرب وشربت أنا. تناولت القنينة ووضعتها قربي وانتظرت أن يدفىء المشروب قلبي. وبدأ قلبي يخفق ولكنه كان عاد الى صدري مجدداً، لم يعد معلقاً بشريط حذائي.

قلت: «لقد رأيت كابوساً. سخافة. حلمت أني كنت مقيداً على سرير وانهم حقنوني بجرعات كبيرة من المخدر، وسجنوني خلف قضبان حديدية. صرت واهناً جداً. وغفوت. لم يكن

لديَّ أي طعام. كنت رجلاً مريضاً. كانوا ضربوني على رأسي وحملوني الى مكان ما حيث فعلوا بي هكذا. لقد تكبدوا الكثير من المشقة. مع أني لست بذاك الشخص المهم».

بقي صامتاً. راح يراقبني. بدا في عينيه وكأنه يخمّن متسائلاً كم يتبقى لي من وقت قبل أن أموت.

وتابعت: «استفقت في غرفة مليئة بالدخان. كان ذلك مجرد هلوسة بالطبع. تهيّج في الأعصاب البصرية أو شيء من هذا القبيل، كما يدعوه شخص من صنفك. بدل تخيّل أفاع حمراء رأيت أنا دخاناً. عندها صرخت فدخل عليَّ قبضاي في معطف أبيض ولوّح لي بهراوة. ولقد استلزمني وقت طويل كي أستعد لانتزاعها منه. حصلت أيضاً على مفاتيحه وثيابي حتى اني استرجعت دراهمي من جيوبه. وها أنذا بكامل صحتي. ماذا كنت تقول؟».

قال: «أنا لم أقل شيئاً».

قلت: «إن الملاحظات تنتظرك لتتفوه بها. ان ألسنتها متدلية بانتظار أن تلفظها. وهذا الشيء هنا...»، ولوّحت بالهراوة بخفّة، «إنه وسيلة إقناع، لقد استعرته من صديق».

قال بابتسامة جذّابة: «أرجوك أعطني إياها فوراً»، كانت ابتسامته أشبه بابتسامة جلاّد حين يحضر الى زنزانتك من أجل قياس طولك، لتحضير حبل المشنقة الملائم. ابتسامة محببة وأبوية بعض الشيء وحذرة قليلاً في الوقت نفسه. كان يمكن أن تحب تلك الابتسامة لو تسنى لك أن تعيش طويلاً معها.

أفلت الهراوة في باطن يده، باطن يده اليسرى.

ثم قال بهدوء: «والآن المسدس، ان سمحت. لقد كنت مريضاً جداً يا سيد مارلو. أعتقد ان عليَّ أن أصرّ على مسألة عودتك الى الفراش».

حدّقت فيه.

قال: «أنا الدكتور سوندربورغ. وأحذرك اني لا أحتمل كثيراً السخافات».

وضع الهراوة علي الطاولة أمامه. وأصبحت ابتسامته الآن جليدية كسمكة مجلّدة. وتحركت أصابعه مثل فراشات ميتة.

قال بنعومة: «ناولني المسدس أرجوك. اني أنصحك بهذا بحزم...».

- «ما الوقت الآن أيها السجان؟».

نظر إليَّ بدهشة ضئيلة. كنت أحمل الساعة في معصمي، غير انها كانت متوقفة.

- «انه تقريباً منتصف الليل. لماذا؟».

- «في أي نهار نحن اليوم؟».

- «لماذا تسأل يا سيدي العزيز... انه مساء الأحد، بالطبع».

اتكأت مسنداً نفسي على الطاولة لأفكر، وأدنيت المسدس منه الى درجة تسمح لي بمحاولة انتازعه مني.

- «لقد مضى حوالى الثماني والأربعين ساعة. ليس غريباً أني تعرضت لنوبات. من الذي أحضرني الى هنا؟».

حدّق فيَّ وبدأت يده اليسرى تنسل متقدمة الى المسدس. كانت يده بالتأكيد عضواً في جمعية الأيادي الجوّالة. لا بد وان الفتيات كن يستمتعن بأوقات ظريفة برفقته.

قلت: «أرجوك لا تجعلني أغضب لا ترغمني على التنكر لتهذيبي ولسلوكي اللطيف. كل ما أريده منك هو أن تقول لي كيف وصلت الى هنا؟».

كان جريئاً. فانقض لانتزاع المسدس. غير أن هذا الأخير لم يكن حيث انقض. تراجعت ووضعته في حضني.

اصطبغ وجهه بالإحمرار سخطاً. فانقض على زجاجة الويسكي وسكب لنفسه كأساً أخرى وابتلعها على الفور. ثم تنفس عميقاً وارتعش. لم يحب طعم المشروب. المدمنون يكرهون طعمه عموماً.

قال بحدة: «سوف يُلقى القبض عليك فوراً إن غادرت هذا المكان. أظن ان من سلّمك الينا هو ضابط من الشرطة...».

ـ «لا يحق لضباط الشرطة القيام بذلك».

صدمته إجابتي بعض الشيء. وبدا وجهه المصفر قلقاً.

قلت: «قل لي من دون كذب. من الذي أتى بي الى هنا، لماذا وكيف؟ اني مجنون هذه الليلة. أريد أن أذهب وأرقص مع الساحرات. اني أسمع نداء الظلمات. أنا لم أقتل أي رجل منذ أسبوع. هيا تكلم يا دكتور فرنكشتاين، دوزن كمانك الأثري، ولتصدح موسيقاك الرقيقة».

قال ببرودة: «إنك تعاني من تسمم في جهازك العصبي. كنت على وشك أن تموت. اضطررت الى إعطائك ثلاث حقن منبهة للقلب. لقد قاومت، وصرخت، كان ينبغي السيطرة عليك». كانت كلماته سريعة وكأنما تتدافع خارجة من فمه. «إن غادرت مستشفاي بهذه الحالة فسوف تتعرض لنكسة صحية فظيعة».

ـ «أوَهَل قلت انك طبيب... طبيب صحة؟».

ـ «بالتأكيد. أنا الدكتور سوندربورغ. كما ذكرت لك».

ـ «يا طبيبي العزيز ألا تصرخ أنت وتقاوم إن تعرضت لتسمم في أعصابك. أو انك تتمدد فقط في غيبوبة. حاول أن تجد لك أي كلام آخر. ودعني من كل هذا اللغط. كل ما أريد أن أعرفه هو زبدة الكلام. من الذي أتى بي الى عيادتك هذه الظريفة؟».

ـ «لكن...».

ـ «لا «لكن» ولا «لكنّات». سأجعلك مصفاة، وأغرقك في برميل خمر. أتمنى لو كنت أمتلك واحداً لكنت أغرقت نفسي فيه. في الانتظار دعنا نشرب قليلاً من مشروبنا هذا. تناولت كأسي وصببت لنا كأسين آخرين. «هيا تكلم يا فرانكشتاين».

ـ «لقد أحضرتك الشرطة الى هنا».

ـ «أي شرطة؟».

ـ «شرطة باي سيتي بالطبع» وأدار بأصابعه المرتبكة الشاحبة كأسه. «أنت هنا في باي سيتي».

ـ «وهل لهذا الشرطي الذي أحضرني اسم؟».

ـ «انه يدعى الضابط غالبرايت على ماأظن. انه ليس عادة من الشرطة الجوالة. لقد وجدك هو وشرطي آخر متجولاً حول أحد البيوت في حالة ذهول كاملة ليلة الجمعة الفائتة. لقد أحضراك الى هنا لأنه أقرب مكان ممكن. لقد اعتقدت انك مدمن تناول جرعة مفرطة. لكن قد أكون مخطئاً».

- «هذه رواية جيدة. لا أستطيع أن أنقضها. ولكن لماذا استبقيتني هنا؟».

بسط يديه المرتعشتين: «لقد رددت لك مراراً وتكراراً انك رجل مريض جداً وانك لاتزال كذلك. ماذا تتوقع مني أن أفعل؟».

- «إذن أنا مدين لك بأجرك، أليس كذلك؟».

هز كتفيه من دون مبالاة وقال: «بالطبع مئتا دولار».

دفعت كرسيّي قليلاً إلى الخلف: «هراء. لِمَ لا تحاول انتزاعها مني».

قال بحدة: «ان غادرت هذا المكان فسوف يلقى القبض عليك على الفور».

انحنيت الى الأمام فوق الطاولة وقلت في وجهه: «لن يقبضوا عليَّ لمجرد الهروب من هنا فقط يا فرانكشتاين. هيا افتح هذه الخزنة في الحائط هناك».

وقف برشاقة قائلاً: «لقد طالت هذه المزحة أكثر من اللزوم».

- «ألن تفتحها؟».

- «بالتأكيد لن أفعل هذا».

- «هذا مسدس، ان كنت لا تعرف».

ابتسم بالكاد وبحدّة.

قلت: «انها خزنة كبيرة جداً. وجديدة أيضاً. وهذا مسدس ممتاز، ألن تفتحها؟».

بقي وجهه مسمراً.

قلت: «اللعنة. من المفترض أن يطيع الناس كل أوامرك حين تكون حاملاً مسدساً. يبدو ان هذا لا ينفع، أليس كذلك؟».

ابتسم. وكان في ابتسامته متعة سادية. كنت أنزلق الى الخلف. كنت سأنهار.

ترنحت وتمسكت بالطاولة، فافترقت شفتاه بسهولة.

بقيت متكئاً هناك لفترة طويلة محدقاً في عينيه. ثم ابتسمت.

قلت: «وداعاً. إني أتركك لأيادٍ أكثر قذارة من يدي».

تقهقرت نحو الباب، فتحته وخرجت.

كانت الأبواب غير مقفلة. كان هناك شرفة مسقوفة. كانت الحديقة تهمهم بأزهارها. كان هناك أيضاً سياج أبيض وباب. كان المنزل الى زاوية الشارع. كانت ليلة عليلة رطبة من دون ضوء القمر.

دلت الشارة عند الزاوية الى شارع دسكانشو. كانت البيوت مضاءة عبر الشارع. تنصّت لأسمع أصوات السمندرات. لم أسمع مطلق صوت. الشارة التالية أعلنت الشارع رقم ٢٣. إنحرفت نحو الشارع رقم ٢٥ وتوجهت نحو الشارع رقم ٨٠٠، كانت آن ريوردان تسكن المنزل رقم ٨١٩ إنها الملاذ.

كنت مشيت وقتاً طويلاً قبل أن أنتبه أني كنت ما أزال ممسكاً بالمسدس. ولم أسمع أبداً أصوات السمندر.

تابعت أمشي. كان الهواء منعشاً، ولكن مفعول الويسكي كان تلاشى، ولم يكن لديَّ سوى حروق في المعدة. كان شارع البناء مسوّراً بأشجار التّنوب وبالبيوت القرميدية.

كان الضوء ما يزال مشتعلاً في الرقم ٨١٩ كان له مدخل صغير أبيض محشور بين أشجار طويلة من السرو. انتشرت أمام المنزل نبتات وورود. تسلقت الممشى وتنصت قبل أن أقرع الباب. قرع الجرس بموسيقى وبعد فترة سمعت صوتاً عبر واحدة من الأدوات الغريبة التي تسمح لك بالتحدث من غير أن تفتح الباب.

- «من هناك إذا سمحت؟».

- «مارلو».

ربما قطعت لها المفاجأة أنفاسها، وربما أحدثت تلك الآلة العجيبة ذاك الصوت وهي تنغلق.

انفتح الباب مشرعاً ووقفت الآنسة ريوردان هناك في ثياب فضفاضة من الأخضر الشاحب، ناظرة إليّ. اتسعت عيناها بفعل الخوف. وأضحى وجهها تحت نور الشرفة شاحباً فجأة.

- «يا الهي» صاحت، «إنك تبدو كوالد هاملت».

- ٢٨ -

كانت غرفة الجلوس مفروشة بكنبات بيضاء وزهرية اللون، وبسجادة مزيّنة بالرسوم، ومقعد رخامي أسود بمساند طويلة نحاسية، مكتبات مثبتة داخل الجدران، وستارات سميكة فوق ستارات معدنية مرفوعة.

لم يكن هناك مطلق غرض نسوي الطابع في الغرفة غير مرآة كبيرة تتقدمها انخفاضة في الأرضية.

كنت متهالكاً في الكنبة العميقة نصف مستلق ونصف جالس وكانت قدماي ممددتين فوق منضدة صغيرة. تناولت

فنجانين من القهوة السوداء ثم شربت كأساً من المشروب، وبعدها أكلت بيضتين مسلوقتين، وقطعة خبز محمّص، وأيضاً مجدداً بعض القهوة السوداء مع قليل من البراندي فيه.

عدت متماسكاً على أحسن حال. صحوت جيداً تقريباً. وأصبحت معدتي تنطح برفق الآن بعدما كانت مثل ثور هائج.

جلست آن ريوردان قبالتي منحنية بعض الشيء الى الأمام. كانت تضع ذقنها الجميلة بين يديها، وكانت عيناها قاتمتين ظليلتين تحت شعرها البني الاحمرار المنفوش. كان هناك قلم منغرز في شعرها. بدت قلقة. كنت أخبرتها بعض ما جرى، ولكن ليس كل شيء. لم أخبرها خصوصاً عن الجزء المتعلق بمالوي الموظ.

قالت: «لقد خيّل لي انك ثمل. اعتقدت انه كان يجب أن تكون ثملاً كي تقرر المجيء إليّ. ظننت انك خرجت مع الشقراء. ظننت.. لا أعرف ما كنت ظننت».

قلت متطلعاً في الأرجاء: «أراهن أنك ما كنت ابتكرت كل هذا كتابة. حتى ولو دفعوا لك لكتابة هكذا تقرير».

قالت: «ان أبي أيضاً لم يكتسب كل هذا جاعلاً رجال الشرطة يعملون لمصلحته الخاصة. مثلما يفعل الآن قائد الشرطة هذا الأخرق البدين».

قلت: «ان هذا لا يعنيني».

قالت: «كانت لدينا أرض في منطقة ديل راي. مجرد أراض رملية وقد خدعوه للحصول عليها. وتبين انها كانت تحتوي على آبار بترول». هززت رأسي وشربت ما كان في

الكأس الكريستالية الجميلة التي كنت أحملها. كان طعم ما فيها دافئاً ولذيذاً.

قلت: «يستطيع الواحد أن يستقر بشكل جيد هنا. أن يدخل بقدميه فقط. ان كل شيء جاهز تماماً».

قالت: «إن كان شخصاً مناسباً. وإن كان مرغوباً فيه».

قلت: «لكن ليس هناك خادم، هذا يصعّب الأمور».

تورّد خداها، وقالت: «ولكنك ستفضل أن يحطم رأسك ويصبح عجينة، وأن تملأ الثقوب ذراعك كالغربال محقونة بالمخدر، وأن يتحول ذقنك الى سندان. الله وحده يعلم ان كنت ستكتفي في يوم من الأيام».

لم أقل شيئاً. كنت منهكاً جداً.

قالت: «على الأقل، لقد كنت حاذقاً وفتشت داخل أعقاب السجائر. كنت خلت حين سمعتك تتحدث في «آستر درايف» انك أسأت فهم كل القصة».

ـ «ان البطاقات لا تفسّر ولا تعني شيئاً».

حدقت فيّ عيناها بغضب: «أهذا كل ما تجد لتقول بعدما جعل هذا الرجل شرطيين مخادعين يشبعانك ضرباً، ثم رمى بك في عيادة إدمان طوال يومين ليلقّنك درساً في عدم التحرش بما لا يعنيك؟ يجب أن تكون في منتهى الغباء كي لا تلاحظ حتى ما يجري».

ـ «كان يجب أن يكون أنا من قال هذا. انه أسلوبي. ها أنت تتكلمين بأسلوبي الفج. ما الذي تستخلصينه من كل هذا؟».

- «أستنتج ان هذا الوسيط الأنيق ليس سوى رجل عصابات من الدرجة الأولى. انه يختار الضحايا يغسل أدمغتهن، ثم يأمر رجال العصابة بالخروج لسلبهن جواهرهن».

- «هل فعلاً تعتقدين هذا؟».

حدّقت بي باندهاش. أنهيت كأسي واستعدت نظرتي المثيرة للشفقة. لم تتأثر بها البتة.

قالت: «بالطبع هذا ما أعتقده. وهذا ما تعتقده أنت أيضاً».

- «أعتقد ان الأمور أكثر تعقيداً من هذا بقليل».

كانت ابتسامتها دافئة ولاذعة في آن واحد: «آه استميحك عذراً. لقد غاب عن ذهني لحظة انك تحري. من المفروض أن تكون الأمور معقدة أوّليس كذلك؟ أعتقد ان القضايا السهلة مهينة بعض الشيء».

قلت مجدداً: «ان الأمور أكثر تعقيداً مما تتصورين».

- «حسناً. هيا، إني أنصت».

- «لست أعرف. هذا ما يراودني فقط. هل أستطيع الحصول على مزيد من المشروب؟».

وقفت قائلة: «أتعرف. يجب أن تتذوق الماء في يوم ما، فقط لمجرد الحشرية». اقتربت وتناولت كأسي، «سيكون هذا الأخير». خرجت من الغرفة وسمعت من مكان ما حرتقة مكعبات ثلج، وأغمضت عيني ورحت أتنصت الى أصوات خفيفة مهمهمة. ما كان ينبغي أن آتي الى هنا. ان كانوا يعرفون عني بقدر ما أحسب، قد يحضرون الى هنا للقبض عليّ. وسيكون هذا كارثة.

عادت حاملة كأساً ولمست أصابعها الباردة من جراء حمل الكأس الباردة بأصابعي. بقيت ممسكاً أصابعها برهة ثم أفلتها ببطء كما تغادر حلماً حين تستفيق والشمس تلفح وجهك وأنت في وادٍ بديع.

تورّدت خجلاً وعادت الى مقعدها وقعدت بعد أن استغرقتها احتفالية الجلوس هذه فترة طويلة.

أشعلت سيجارة، وهي تراقبني وأنا أشرب.

قلت: «ان آمثور هذا من الصنف القذر. ولكني لا أستطيع تصوّره بالدماغ المحرك لعصابة سرقة مجوهرات. ربما أنا على خطأ. لو كان كذلك وكان يشك في أني أشكل خطراً عليه، لا أعتقد اني كنت خرجت حياً من مستشفى الادمان ذاك. غير ان لديه بالتأكيد ما يخشاه. فهو في الواقع لم يصبح شريراً إلاّ حين بدأت أثرثر في شأن كتابات خفية».

نظرت إليّ بلا مبالاة قائلة: «أوَهل وجدت أياً منها؟».

ضحكت قائلاً: «لو كان هناك أي شيء، فأنا لم أقرأه».

ـ «إنها طريقة مضحكة لإخفاء ملاحظات بشعة عن شخص ما. في أعقاب سجائر! ألا تعتقد ذلك؟ افترض انه لم يعثر عليها أبداً».

ـ «أظن ان التفسير الوحيد للأمر هو ان ماريوت كان يخشى شيئاً ما، واعتبر انه لو تعرض يوماً ما لمكروه، فسوف يعثر بالتأكيد على البطاقات. سوف تفتش الشرطة جيوبه بدقة بالغة. إن هذا التفسير هو أكثر ما يقلقني في الحقيقة. لو كان آمثور حقاً مجرماً محترفاً لما كان ترك وراءه ما كان يمكن أن يؤذيه».

ـ «أَوَهل تعني ان آمثور هو الذي قتله ـ أو أوعز بقتله؟ ولكن ما كان يعرفه ماريوت عن آمثور ربما ليس له أية علاقة مباشرة بالجريمة».

انحنيت الى الخلف متكئاً على الكنبة وأنهيت كأسي وتظاهرت بالتفكير. ثم هززت رأسي موافقاً إياها.

ـ «لكن مسألة سرقة الجواهر متصلة بالجريمة. ونحن نفترض هنا أن لآمثور علاقة بسرقة المجوهرات».

نظرت الآن بمكر وقالت: «أعتقد انك منهك كلياً. ألا تفضل أن تخلد الى النوم؟».

ـ «هنا؟».

توردت خجلاً حتى جذور شعرها ورفعت ذقنها علامة عصيان: «هذا ما عنيت. لست طفلة. من يأبه لِما أفعل، ومتى وكيف؟».

وضعت الكأس جانباً ووقفت قائلاً: «ها أنذا أعيش لحظة نادرة من الكياسة. هل توصلينني في سيارتك الى مكتب تاكسيات، هذا ان لم تكوني متعبة جداً؟».

قالت ساخطة: «يا لك من أبله ملعون. لقد أُشبعت ضرباً، وحقنت ببرميل من أصناف المخدرات، حسبما أرى ولست في حاجة سوى للنوم العميق، لتنهض مشرقاً باكراً في الصباح، وتبدأ مجدداً كونك التحري الذي أنت هو».

ـ «أظن اني سأغرق في النوم حتى وقت متأخر».

ـ «كان ينبغي أن تكون الآن في المستشفى أيها الأحمق الملعون».

ارتعشت قائلاً: «اسمعي. ان رأسي مشوش هذه الليلة، ولا أعتقد انه يجدر بي أن أتأخر هنا. ليس لديَّ أي اثباتات ضد هؤلاء الناس، ولكن ما هو واضح هو انهم ليسوا مغرمين بي. لن أستطيع غير اتهامهم كلامياً وستكون الشرطة ضدي، إذ يبدو أن الشرطة فاسدة في هذه البلدة».

قالت بحدّة: «انها بلدة جميلة». وتابعت بانقطاع النفس: «لا يمكنك أن تحكم...».

- «حسناً، حسناً انها بلدة لطيفة. وهكذا هي شيكاغو أيضاً. ان في وسعك قضاء ساعات فيها من غير أن تري فوهة مدفع رشاش. انها بلدة ظريفة وربما أقل فساداً من لوس أنجلوس. ولكن ليس في وسعك رشوة أكثر من حيّ واحد في مدينة كبيرة. لكن في مقدورك بالطبع أن ترشي وتشتري بلدة كاملة بهذا الحجم، ومع كرتونتها وملفوفة بورقة هدية، هذا هو الفرق. وهذا ما يدفعني في الواقع أكثر من أي شيء آخر الى الفرار».

وقفت قبالتي بتحدٍ وقالت: «سوف تتوجه الى الفراش فوراً وهنا. لديَّ غرفة إضافية. يمكن أن تدخل و...».

- «هل تعدينني انك ستقفلين بابك؟».

احمرّت خجلاً وعضت شفتها: «يخالجني أحياناً انك فتى رائع وفي أحيان أخرى انك أحقر من رأيت في حياتي».

- «في الحالتين، ألا تريدين إيصالي الى حيث سيكون في وسعي الحصول على تاكسي؟».

قالت بحدة: «ستبقى هنا. انك منهك، انك رجل مريض».

قلت بنبرة شريرة: «لست مريضاً الى درجة اقتلاع دماغي».

هرولت خارجة من الغرفة بسرعة وقفزت تقريباً فوق الدرجتين الفاصلتين بين غرفة الجلوس والرواق، وعادت وقد ارتدت معطفاً طويلاً أبيض فوق لباسها القطني ومن غير قبعة، وكان شعرها المحمر أكثر جنوناً من عينيها.

فتحت الباب الجانبي وقذفته بعيداً عنها واندفعت عبره وراحت تطرق بقدميها أرض الممشى. ارتفع باب مرآب محدثاً ضجة ضئيلة. فتح باب سيارة وصفق مقفلاً من جديد. زأر المشغل، فدار المحرك وشعت المصابيح عبر الباب الفرنسي الطراز في غرفة الجلوس.

حملت قبعتي وأطفأت الأضواء ورأيت أن للباب الفرنسي قفلاً. فالتفت الى الوراء متطلعاً لوهلة قبل أن أغلق الباب. كانت غرفة جميلة. غرفة مريحة حالمة للاستلقاء والتمشي بالخفّين.

أغلقت الباب وانزلقت السيارة الصغيرة الى جانبي ودرت من ورائها لأدخلها.

قادت طوال الطريق الى منزلي، غاضبة وصامتة. قادت بجنون. حين خرجت أمام شقتي قالت لي مساء الخير بنبرة جليدية ودارت بالسيارة وسط الطريق وغادرت قبل أن يتسنى لي اخراج مفاتيحي من جيبي.

كانوا يقفلون باب الردهة الخارجية عند الساعة الحادية عشرة. فتحته وعبرت الى داخل الردهة الدائمة العفونة وعبر الدرجات الى المصعد. صعدت الى طبقتي. اشتعلت أضواء كئيبة في الرواق. ورصفت قناني حليب أمام غرف الخدمة.

لاح باب غرفة الإطفاء الأحمر كطيف في المؤخرة. كان حجابه السلكي مفتوحاً لينسل عبره مجرى هواء بليد، لم يجرف البتة رائحة الطهو. عدت أخيراً الى قلب نائم، عالم غير مؤذ كهرة نائمة.

فتحت قفل باب شقتي ودخلتها ورحت أشم رائحتها. بقيت واقفاً هناك عند الباب لفترة غير طويلة قبل أن أشعلت الضوء. كانت رائحة منزلية، رائحة غبار، ودخان تبغ، رائحة عالم يعيش فيه الناس. ويتابعون العيش.

خلعت ثيابي وتوجهت الى السرير. حلمت بكوابيس واستفقت منها مغسولاً بالعرق. ولكني عدت رجلاً سليماً معافى في الصباح.

- ٢٩ -

كنت جالساً الى جانب سريري في بيجامتي، مفكراً في النهوض. لم أشعر أني بأحسن حال، غير اني لم أكن مريضاً بالدرجة التي كان ينبغي أن أكون، كان رأسي يؤلمني وأحسسته متورماً وساخناً، وكان لساني جافاً ومكسواً بالحصباء. أما حلقي فكان متيبساً ومتورماً. لكني عرفت صبحيات أسوأ.

كان صباحاً قاتماً ضبابياً، لم يكن حاراً، غير انه سيصبح كذلك بالتأكيد. نهضت بمشقة من الفراش وفركت بطني حيث أوجعتني بفعل التقيؤ. قدمي اليسرى لم تؤلمني. عندما ركلت بها زاوية السرير.

كنت منشغلاً بكيل الشتائم حين طرق الباب بعنف. كان طرقاً من النوع المتسلط الذي يجعلك تقرر فتح الباب

لسنتيمترين فقط، أن تزعق طارداً الزبون وتصفعه ليقفل مجدداً.

غير اني فتحته أكثر من سنتيمترين بقليل. انبرى الليوتانت راندال واقفاً أمامه في بدلة بنية من «الغبردين». كان أنيقاً مرتباً ورزيناً وقدحت عيناه شراً.

دفع الباب قليلاً وابتعد عنه. ثم دخل وأغلقه متطلعاً في الأرجاء. قال: «إني أفتش عنك منذ يومين». لم ينظر حتى إليّ. كانت عيناه تقيسان الغرفة.

- «كنت مريضاً».

جلت بخطى خفيفة وابتعدت عنه. كان شعره الأشيب اللزج يلتمع، وهو يحمل الآن قبعته تحت ذراعه واضعاً يديه في جيبيه. كان جسمه أضأل من أن يكون لشرطي. انتشل إحدى يديه ووضع القبعة بعناية فوق بعض المجلات.

قال: «لم تكن هنا».

- «كنت في مستشفى».

- «أي مستشفى؟».

- «في مستشفى للحيوانات».

انتفض كما لو أني صفعته على وجهه. وتغير لونه، وقال:

- «ان الوقت مبكر لهذا النوع من النكات، ألا تعتقد هذا؟».

لم أرد. أشعلت سيجارة. ابتلعت منها مجة واحدة وبسرعة جلست على الفراش مجدداً.

- «لا علاج لأشخاص مثلك، أليس كذلك؟ العلاج الوحيد هو رميهم في براد الموتى».

- «لقد كنت مريضاً وأنا لم أتناول بعد قهوتي الصباحية. لا تتوقع أن أكون عبقرياً وأنا على هذه الحالة».

- «لقد قلت لك سابقاً أن لا تتدخل في هذه القضية».

- «أنت لست إلهاً. أنت لست حتى يسوع المسيح» ثم مججت جرعة ثانية من سيجارتي. شعرت كما لو أن قسماً ما في جوفي كان نيئاً، غير اني لم أكره ذلك.

- «ليس في وسعك أن تتصور ما يمكن أن أسبب لك من متاعب».

- «ربما».

- «هل تعرف لماذا لم أفعل ذلك بعد؟».

- «أجل».

- «لماذا؟». كان منحنياً قليلاً الى الأمام مثل ثعلب يستعد للانقضاض.

- «لأنك لم تستطع العثور عليّ».

تقهقر متراقصاً بعض الشيء على قدميه. وعاد اللون الى وجهه. قال: «خلت انك ستقول شيئاً آخر. ولو كنت فعلت لكنت لكمتك على وجهك».

- «انك رجل لا يمكن رشوته بعشرين مليون دولار. لكن أحياناً تأتي الأوامر من المراكز العليا».

خمد نفسه فيما بقي فمه مفتوحاً قليلاً. ثم أخرج بتمهل علبة سجائر من جيبه وفضّ غلافها. كانت أصابعه ترتعش قليلاً. وضع سيجارة بين شفتيه ثم توجه الى طاولة مجلاتي

حيث وضعت علبة ثقاب. أشعل السيجارة بعناية، ورمى العود المحروف في المنفضة وليس على الأرض، وتنشق عميقاً.

قال: «لقد أعطيتك نصيحة على الهاتف ذاك النهار. نهار الجمعة».

ـ «أجل. الجمعة. ولم تنفع. وأستطيع أن أفهم الآن لماذا؟ لكني لم أكن أفقه عندها انك كنت تخفي دليلاً. كنت فقط أنصحك بتصرف بدا لي مناسباً لهذه القضية».

ـ «عن أي دليل تتحدث؟».

حدّق فيّ صامتاً.

سألته: «هل ترغب بفنجان من القهوة؟ قد يجعلك بشرياً بعض الشيء».

ـ «لا».

ـ «أما أنا فنعم». وقفت وتوجهت نحو المطبخ الصغير.

زمجر راندال قائلاً: «اجلس. أنا لم أفرغ بعد من حديثي».

تابعت وخرجت الى المطبخ، ملأت الغلاّية بعض الماء ووضعتها على السخانة. ثم شربت كوباً من الماء البارد من الحنفية، ثم واحداً آخر. عدت بعدها بكوب ثالث ووقفت حاملاً إياه عند الباب متطلعاً اليه. لم يكن تحرك من مكانه. كان حجم دخانيّ كثيفاً يحجب تقريباً جانباً كاملاً من جسمه، كان يحدّق في الأرض.

سألته: «لماذا تقول اني اقترفت سوءاً بالذهاب الى السيدة غرايل حين بعثت في طلبي؟».

ـ «أنا لم أكن أتحدث عن هذا».

ـ «أجل. ليس الآن. ولكن قبل قليل».

ـ «انها لم تبعث في طلبك»، رفع عينيه وكان لايزال ينظر إليَّ بنظرته الجليدية والاحمرار الذي صبغ عظام خديه البارزة. «لقد فرضت نفسك عليها وتحدثت عن فضيحة، عملياً أنت أقحمت نفسك في القضية بطريقة أشبه بالابتزاز».

ـ «هذا مضحك. كما أذكر نحن لم نتحدث حتى عن العمل. أنا لم أعتبر أن هناك ما ينفع البتة في قصتها. أعني لا شيء مهماً. لا نقطة انطلاق. وبالطبع كنت افترضت انها كانت أخبرتك كل ذلك».

ـ «أجل لقد فعلت. ذاك المقهى الذي يقدّم البيرة في سانت مونيكا هو مخبأ فاسد للأشرار. لكني لم أستطع اكتشاف مطلق شيء هناك. أني أشك أيضاً بذلك الفندق المواجه له. لم أجد ضالتنا هناك. فقد مجرد لصوص من الدرجة العاشرة.

هل هي التي قالت أقحمت نفسي الى عندها؟».

أخفض عينيه قليلاً وقال: «لا».

ابتسمت وقلت: «أتريد فنجان قهوة؟».

ـ «لا».

عدت الى المطبخ وحضّرت القهوة. تبعني راندال هذه المرة ووقف هو نفسه الآن عند الباب.

قال: «حسبما أعرف أن عصابة سرقة المجوهرات هذه ناشطة في هوليوود منذ ما يقارب العشر سنوات. غير انهم تمادوا كثيراً هذه المرة. لقد قتلوا رجلاً. وأعتقد أني أعرف السبب».

ـ «حسناً. انك كنت تقول انها فعلة عصابة وانك ستقبض

عليها، فستكون أول جريمة من هذاالنوع تستحق عصابة العقاب بسببها منذ عشت في هذه المدينة. وأستطيع أن أعدد وأصف لك دزينة جرائم من هذا النوع بالذات».

- «أمر لطيف منك أن تقول هذا يا مارلو».

- «صحح معلوماتي إن كنت مخطئاً».

- «اللعنة»، لفظ متردداً. «أنت لست مخطئاً. لقد حلّت بعض القضايا المشابهة في الواقع. لكنها مجرد أحكام اجرامية، وقد تبنّاها لصوص صغار بدل الرؤوس الكبيرة المنظمة.

- «أجل. قهوة؟».

- «لو شربت قليلاً هل تعدني أن تحدثني بصراحة، كرجل الى رجل من دون تحاذق؟».

- «سأحاول ولا أعدك باستعراض كل آرائي الشخصية».

- «ان بدلتك جميلة جداً على أية حال».

تورد وجهه مجدداً وقال بجفاف: «لقد دفعت ثمنها خمسة وعشرين دولاراً ونصفاً».

- «رباه، اننا بحضرة شرطي حسّاس». قلت هذا وعدت الى السخّانة.

- «إن رائحتها شهية. كيف تحضّرها؟».

صببت فنجانين، (بالطريقة الفرنسية، ببنّ طبيعي غير مخفف، ومن دون استخدام أي مصفاة). أحضرت السكر من الخزانة والحليب من البراد. وجلسنا متواجهين حول الطاولة.

ـ «لقد كانت خدعة أليس كذلك، قصة مرضك تلك، والمستشفى؟».

ـ «يا ليت، لقد تعرضت لمتاعب صغيرة ـ في نواحي باي سيتي. ولقد احتجزوني. ليس في الزنزانة إنما في عيادة لمكافحة الإدمان».

تطلع إليّ بغرابة: «في باي سيتي، هه؟ انك تهوى اللعب بالنار يا مارلو. أليس كذلك؟».

ـ «ليس الأمر اني أهوى المعاصي. بل انه قدري. وأنا لم أتعرض لشيء من هذا القبيل من قبل. لقد ضربت على رأسي مرتين، وفي المرة الثانية من قبل ضابط شرطة، أو ربما رجل ادعى انه كذلك، بل كان يبدو وكأنه كذلك. لقد ضربوني بمسدسي وتمرّن بي هندي عملاق. ثم رموني فاقد الوعي في عيادة الإدمان تلك وأقفلوا عليّ هناك وربما أوثقوني معظم الوقت. ولا أستطيع إثبات أي شيء ضدهم. باستثناء مجموعة الكدمات الجميلة التي تملأ جسمي، والوخزات التي تزيّن ذراعي اليسرى».

حدّق بانتباه شديد في زاوية الطاولة. وقال ببطء: «كل هذا وفي باي سيتي؟».

ـ «اسم جميل كأغنية. أغنية تغنيها في مغطس حمام قذر».

ـ «ماذا كنت تفعل هناك؟».

ـ «أنا لم أذهب الى هناك. ان رجلي الشرطة ذينك هما من نقلني الى هناك. كنت توجهت الى منطقة «ستيلوود هايتس» لمقابلة شخص ما. انها منطقة في لوس انجلوس».

قال بهدوء: «انه رجل يدعى جول آمثور. لماذا اختلست تلك السجائر؟».

حملقت في كوبي. يا لها من حمقاء ملعونة، وقلت: «بدا لي أمراً غريباً أن يحمل ذاك الرجل، ماريوت علبة السجائر الاضافية تلك التي تحتوي على الماريجوانا. يبدو انهم يضعونها بشكل سجائر روسية هناك في باي سيتي، مع أعقاب فارغة وكل ما يتبع».

دفع كوبه الفارغ في اتجاهي وملأته له مجدداً. كان يتفحص وجهي بإمعان، خلية تلو الخلية مثلما يفعل شرلوك هولمز بمكبّره.

انبرى قائلاً بحدة: «كان يجدر بك أن تخبرني». شرب ثم مسح شفتيه بواسطة خرقة ما أو حاشية من القماش التي تستخدم في الفنادق بدل المناديل. وأضاف: «لكنك لم تخف تلك السجائر. لقد أخبرتني الفتاة».

- «آه، جيد، يا للشيطان. لم يعد في مقدور الواحد أن يفعل مطلق أمر في هذه المدينة الملعونة. النساء. دائماً النساء».

- «انها تحبك» قال راندال ذلك بطريقة تشبه أسلوب عميل أف بي آي مهذب في السينما، وبتعاسة، ولكن برجولة. «كان والدها أحد أكثر رجال الشرطة استقامة بين الذين طردوا من وظيفتهم. لم تكن لديها مطلق مصلحة في الحصول على تلك السجائر. إنها معجبة بك».

- «إنها فتاة لطيفة. لكنها ليست من النوع الذي أفضّله».

- «ألا تحبهن لطيفات؟». وكان يدخن سيجارة أخرى وكان يبعد الدخان عن وجهه بواسطة يده.

- «إني أفضل المحملقات، الشهوانيات، العنيدات والداعرات حتى العظم».

قال راندال بلامبالاة: «ان هذا الصنف لا يأتيك سوى بالمتاعب».

- «بالتأكيد. ها أنذا أعود من نزهة طازجة؟ ماذا يمكنك تسمية ما جرى لي طوال اليومين الفائتين؟».

ابتسم أول ابتسامة له ذاك النهار. ربما ما كان يسمح لنفسه بأكثر من أربع في اليوم الواحد.

وقال: «لم أستطع الى الآن استخلاص أي شيء منك».

- «سأقدم لك نظرية، ولكني أظن انك تقدمتني بأشواط فيها. ماريوت ذاك كان مبتز نساء، لأن السيدة غرايل هي نفسها من قال لي هذا. لكنه كان شيئاً آخر أيضاً. لقد كان صياد طرائد لعصابة سلب جواهر. لقد كان يقوم بهذا داخل الوسط الأرستقراطي. كان الفاتن الذي يتملق النساء وينظم المسرحية. كان يختار نساء ثريات ويستدرجهن للخروج معهن بعد أن يتعرف جيداً الى كل تفاصيل حياتهن. خذ مثلاً، عملية السطو التي حدثت الخميس الفائت. انها مريبة بالتأكيد. وما كانت لتحصل لو لم يكن ماريوت هو نفسه من يقود السيارة ولو لم يصطحب السيدة غرايل الى ملهى «تروك» ولو لم يتخذ الطريق التي سلكتها عبر مقهى الجعة. ما كانت عملية السلب لتتم لو لم يفعل ذلك».

قال راندال مستدركاً: «كان يمكن أن يكون السوّاق هو من يقود. ولكن ما كان هذا غيّر كثيراً مجرى الأمور. السوّاقون عادة لا يجترعون البطولات في وجه رجال عصابات من أجل

تسعين دولاراً في الشهر. ولكن لا يعقل أن يقوم بعمليات كثيرة من هذا النوع مع مجموعة كبيرة من النساء من غير أن ينكشف أمره».

ـ «ان ميزة هذه العمليات الأساسية هي انه لا يمكن التحدث عنها. وخصوصاً ان المبالغ التي كانت تدفع لاسترداد المسروقات كانت قليلة».

تراجع راندال وهز رأسه غير موافق، وقال: «ينبغي أن تقدم لي أكثر من هذا إن كنت تريد التأثير عليَّ. إن النساء لا تخفين أي أمر. كان يمكن أن تنتشر شائعة بما معناه ان ماريوت محتال ومن الخطورة الخروج بمعيته».

ـ «قد يكون هذا ما حصل فعلاً. وربما لهذا قتلوه».

حدّق فيّ راندال مذهولاً. مددت ذراعي ولكنه أزاح الكوب قائلاً: «تابع. أريد معرفة البقية».

ـ «لقد استنفدوه. ما عاد ينفع. كان انكشف أمره بعض الشيء وبدأت تلوكه الشائعات. كما اقترحت أنت. لكن ليس في وسعك أن تتخلص بسهولة من ارتباطات من هذا النوع. لذا كانت هذه آخر عملية له ـ الأخيرة. انتبه لهذا التفصيل. لقد طلبوا في الواقع ثمناً قليلاً جداً لهذا العقد اليشب بالنسبة لقيمته الحقيقية. وكان ماريوت هو من قام بعملية المبادلة. ولكن في مطلق الأحوال لقد كان ماريوت خائفاً. لقد قرر في اللحظة الأخيرة أن لا يذهب بمفرده. ولقد ابتكر هذه الخدعة الصغيرة، انه رجل قذر وذكي الى درجة انه يشكل العقل المدبر لهذا الصنف من العصابات، ورجل في مركز اجتماعي متميز يخوّله الحصول على معلومات عن النساء

الثريات. لقد كانت خدعة من النوع الصبياني، لكنها نجحت في الواقع».

هزّ راندال رأسه معارضاً: «لو كانت هذه فعلة عصابة، لكانوا قتلوه وأغرقوا جثته في البحر».

ـ «لا. لقد أرادوا أن يبدو الأمر كفعلة هاوٍ. انهم يريدون متابعة عملياتهم هذه. قد يكون لديهم الآن فاتنٌ أو عميل بديل».

عارض راندال برأسه مجدداً: «الرجل الذي أشارت اليه السجائر ليس بالرجل المناسب. ان لديه مؤسسة النصب الخاصة به. لقد تحريت عنه. ما رأيك فيه؟».

كانت عيناه الآن معدمتي التعبير والى حد بعيد. قلت: «لقد بدا لي قذراً سافلاً. وأنت تعرف أن لا حدود للجشع حين يتعلق الأمر بالمال. ثم ان مهنة النصب هذه التي يمارسها كوسيط روحي، هي بطبيعة الحال مهنة قصيرة العمر. انها موضة تدرج مؤقتاً، فيتسارع الجميع اليه، وبعد فترة تموت هذه الموضة فيذوب مثل الملح. هذا ان لم يكن سوى وسيط ولا يعمل أي شيء آخر. تماماً مثل نجوم السينما. اني أعطيه خمس سنوات. انه يستطيع الاستمرار لخمس سنوات. ولكن لو استطاع استثمار المعلومات التي يكتشفها من هؤلاء النساء، فسيجمع ثروة طائلة».

قال راندال من دون أدنى انفعال: «سأتحرى عنه بشكل أدق. ولكني الآن مهتم أكثر بشأن ماريوت. دعنا نعد الى الوراء، الى بداية الأمر. كيف حصل أن تعرفت الى ماريوت؟».

ـ «لقد اتصل بي. هذا كل ما حدث. كان انتقى اسمي عشوائياً من دليل الهاتف. هذا ما قال هو في مطلق الأحوال».

ـ «انه كان يحمل بطاقتك».

نظرت متفاجئاً: «بالتأكيد. كنت نسيت هذا».

ـ «أوَهل تساءلت أبداً لماذا اختار اسمك بالذات. وأرجو أن تتناسى قليلاً مسألة ذاكرتك الضعيفة؟».

حملقت فيه من فوق حافة كوب القهوة. كنت بدأت أستلطفه، لقد كان لديه تحت سترته أشياء أخرى غير قميصه.

قلت: «إذاً هذا هو السبب الحقيقي لزيارتك».

هز رأسه موافقاً: «كان ما تبقى كما تعرف مجرد ثرثرة». وابتسم بتهذيب وانتظر.

سكبت مزيداً من القهوة.

انحنى راندال فوق حافة الطاولة ونظر الى سطحها الزبدي اللون. وقال شارد الذهن: «بعض الغبار»، ثم استقام وحدّق فيَّ بثبات، «ربما يجدر بي أن أطرح السؤال بأسلوب آخر. سأقول على سبيل المثال قد تكون نظريتك بشأن ماريوت صحيحة. ان لديه ثلاثة وعشرين ألف دولار نقداً في صندوق الأمانات خاصته في البنك. وبالمناسبة لقد عانينا الأمرين لاكتشافها. هناك أيضاً سندات وصَك لملكية في غرب الشارع رقم ٥٤».

تناول الملعقة وراح يطرقها بنعومة على حافة كوبه وابتسم. ثم سألني برقة: «أوَهل يهمك هذا الأمر. رقم المنزل هو ١٦٤٤ غرب الشارع رقم ٥٤».

قلت بصعوبة: «أجل».

- «آه. لقد كانت هناك أيضاً كمية لا بأس بها من المجوهرات في صندوق ماريوت - مجوهرات مهمة. ولكني لا أظن انه سرقها. أعتقد انها كانت قدّمت له كهدايا. وهذا يثبت نظريتك. لقد كان يخاف أن يبيعها - ليس لسبب سوى اعتقاده هو نفسه ان ذلك كان يمكن أن يسبب له مشاكل مستقبلية».

أطرقت موافقاً: «وكان سيشعر أيضاً كما لو انها كانت أيضاً مسروقات».

- «أجل. في الواقع ان صك الملكية لم يلفت انتباهي في البداية. ولكن الأمور تجري عندنا بشكل مختلف. وبالأسلوب الذي يستهجنه رجال التحريات الخاصة من أمثالك عند الشرطة. اننا نتلقى كل تقارير الجرائم والوفيات المشبوهة من كل ضواحي الأوتوستراد. ويتوجب علينا قراءتها كلها في اليوم نفسه. هذا هو النظام عندنا، وهو مثل أي نظام آخر كالامتناع عن تفتيش أي مكان من غير مذكرة رسمية، أو اعتقال رجل من غير سبب كافٍ. ولكننا نخرق أحياناً القوانين. نضطر الى ذلك. أنا لم أكن قد اطلعت على بعض التقارير حتى هذا الصباح. وهكذا قرأت واحداً عن مقتل زنجي في شارع سانترال الخميس المنصرم. وكان القاتل عملاقاً يدعى مالوي الموظ. ولقد كان هناك شاهد عيان. وسألعن الشيطان، إن لم يكن ذلك الشاهد هو أنت بالذات».

ثم ابتسم بنعومة، وكانت تلك ابتسامته الثالثة ذلك النهار: «هل أعجبتك قصتي؟».

- «أنا أستمع اليك».

- «هذا ما اكتشفته هذا الصباح فقط. هل تفهم؟ وهكذا بحثت عن اسم الرجل الذي كتب التقرير وعرفته، انه نولتي. وعرفت للتو ان القضية أصبحت في سلة المهملات. ان نولتي هو من الصنف... حسناً، هل تعرف محطة «كريستلاين»؟».

- «أجل».

- «حسناً. يوجد قرب المحطة مكان جمعت فيه قاطرات قديمة تحولت لاحقاً الى أكواخ. تلك القاطرات كانت نقلت الى هناك بواسطة شاحنات، انها موضوعة هناك ومعدمة الاطارات. ما أريد قوله في النهاية هو أن نولتي ذاك من الصنف الذي لا ينفع إلا كسائق لإحدى تلك القاطرات المشلولة».

قلت: «ليس أمراً لطيفاً أن نتحدث هكذا عن ضابط زميل».

- «وهكذا اتصلت بنولتي، وبقي يتنحنح ويتلعثم مراوغاً لأكثر من خمس دقائق، وبصق أيضاً عدة مرات، ثم قال أخيراً انك ذكرت شيئاً ما عن فتاة تدعى فيلما، وأشياء أخرى بما معناه ان مالوي كان مغرماً بها منذ وقت طويل، وانك زرت أرملة الرجل الذي كان يملك المكان حيث كان قتل الزنجي، قبل أن يتحول الى ملهى للزنوج. وحيث كان يعمل أيضاً كل من الفتاة والموظ مالوي في ذاك الوقت. وكان عنوان الأرملة الرقم ١٦٤٤ غرب الشارع رقم ٥٤. وهو المنزل الذي يملك ماريوت صك ملكيته».

- «أجل».

- «وهكذا خطر لي ان هذه المصادفات كانت أكثر من

كافية لصباح واحد. وها أنذا. وما أزال الى الآن لطيفاً مقارنة مع جريمة من هذا النوع».

قلت: «المشكلة في أن الأمور تبدو أكبر مما هي في الواقع. ان تلك الفتاة ميتة الآن حسب ما أخبرتني السيدة فلوريان. ان لدي صورتها».

توجهت الى غرفة الجلوس ومددت يدي الى جيب سترتي وفي منتصف الطريق اليها خالجني شعور غريب بالفراغ. ولكنهم لم يأخذوا حتى الصور. انتشلتها وتوجهت بها الى المطبخ ورميت صورة الفتاة التي ترتدي زي المهرج بييرو أمام راندال. وراح يتفحصها ملياً.

- «لم يسبق لي أن رأيت هذا الوجه. دعني أرَ تلك الأخرى».

- «لا. هذه ليست سوى قصاصة صحيفة وفيها صورة السيدة غرايل، لقد أعطتني إياها آن ريوردان».

- «حدّق فيها وهو يهز برأسه: «مقابل عشرين مليون دولار، كنت تزوجتها أنا بنفسي».

قلت: «ينبغي أن أخبرك أمراً ما. لقد راودتني البارحة أفكار مجنونة، وقررت أن أتوجه الى هناك وأقتحم المكان بمفردي. ان هذا المستشفى يقع في الشارع رقم ٢٣. في حي «دسكانسو» في باي سيتي. المستشفى هذا يديره رجل يدعى سوندربورغ، يدّعي انه طبيب. انه يستخدم كذلك المستشفى كمخبأ للمجرمين في أحد جوانبه. لقد شاهدت الموظ مالوي هناك الليلة الفائتة. في إحدى الغرف».

ظل راندال ساكناً متطلعاً إليّ: «هل أنت متأكد؟».

- «لا يمكنك أن تخطىء في التعرف اليه. انه رجل ضخم، عملاق. انه لا يشبه أي رجل سبق ورأيت في حياتي».

جلس محدّقاً فيّ، وبدون حراك. ثم انزاح متمهلاً من قرب الطاولة ووقف.

- «هيا بنا نتوجه ونقابل السيدة فلوريان».

- «وماذا بشأن مالوي؟».

جلس مجدداً وقال: «أخبرني كل ما جرى لك وبدقة».

أخبرته. وأنصت إليّ من غير أن ينزاح بصره عن وجهي. لا أعتقد ان جفنيه رفّا طوال الوقت. كان يتنفس من فمه المنفرج قليلاً. لم يتحرك جسمه البتة. وكانت أصابعه تربّت بنعومة على حافة الطاولة. حين فرغت، قال:

- «هذا الدكتور سوندربورغ، كيف كان شكله؟».

- «كان يبدو كمدمن، أو كبائع مخدرات». ورحت أصفه لراندال بأقصى ما استطعت.

خرج الى الغرفة الأخرى وقعد قرب الهاتف. طلب الرقم وتحدث بصوت منخفض لوقت طويل. ثم عاد، وكنت انتهيت من تحضير مزيد من القهوة وحضّرت بيضتين مسلوقتين، وقطعتي «توست» مرغتهما بالزبدة. وقعدت أتناولها.

جلس راندال قبالتي ممسكاً بذقنه: «لقد أرسلت الى هناك شرطياً من رجال مكافحة المخدرات بحجة الكشف على المستشفى. ربما سيستطيع أن يكتشف شيئاً. وبالتأكيد لن يقبض على مالوي. لأن هذا الأخير غادر المكان بعد خروجك بعشر دقائق، أنا واثق من هذا».

رششت ملحاً على البيض وقلت: «ولماذا لا تكلف شرطة باي سيتي بالمهمة؟».

لم يقل راندال شيئاً. حين رفعت رأسي متطلعاً اليه كان متضايقاً وأحمر الوجه.

قلت: «أنا لم أقابل في حياتي شرطياً أكثر منك حساسية».

ـ «هيا عجل في تناول طعامك. ينبغي أن ننطلق».

ـ «يجب أن أستحم وأحلق ذقني وأرتدي ثيابي بعد هذا».

سأل بحدة: أوَلا تستطيع أن تذهب كما أنت بالبيجاما؟».

قلت: «أهذه البلدة فاسدة الى هذا الحد؟».

ـ «إنها بلدة «ليرد برونيت». يقال انه دفع رشوة مبلغها ثلاثون ألف دولار لينتخب رئيس بلدية من قبله».

ـ «هل هو الرجل نفسه الذي يملك نادي «بيليفردي»؟».

ـ «وكذلك سفينتين للقمار».

قلت: «ولكن هذا يقع ضمن مقاطعتك».

التفت محدقاً في أظافره النظيفة اللماعة.

ـ «سوف نعرّج على مكتبك لآخذ السيجارتين المتبقيتين. ان كانتا لاتزالان هناك». ثم طقطق أصابعه وأضاف: «ان أعرتني مفاتيحك فسوف أقوم بذلك بينما تستحم أنت وترتدي ثيابك».

قلت: «سنذهب معاً. قد تكون وصلتني بعض الرسائل».

أطرق موافقاً فجلس وأشعل سيجارة أخرى. حلقت ذقني واستحممت ثم غادرنا في سيارة راندال.

كانت وصلتني بعض الرسائل السخيفة. وكانت

السيجارتان الموضوعتان في درجي في مكانهما غير ممسوستين. ولم تظهر مطلق دلائل على انه جرى تفتيش المكتب.

أخذ راندال السيجارتين الروسيتين، اشتم تبغهما ثم دسّهما في جيبه.

قال وهو مستغرق في التفكير: «لقد انتزع منك احداها. ليس هناك بالتأكيد أي دليل فيها، ولهذا لم يكلف نفسه مشقة الحصول على الأخريين. أعتقد ان آمشور ليس خائفاً البتة، كل ما في الأمر انه اعتقد انك تدبّر له شيئاً، وقرر أن يلقنك درساً. هيا بنا».

- ٣٠ -

مطّت العجوز الفضولية أنفها سنتيمتراً خارج باب المدخل. وراحت تشم بتأنٍ ما يبدو انه بنفسجة تفتحت قبل أوانها، ثم تطلعت الى أعلى وأسفل الشارع بنظرة متفحصة وهزت برأسها الأبيض الأشيب. رفعنا أنا وراندال لها قبعتينا وكان هذا التصرف في حي من هذا النوع يضعنا بالتأكيد في مصاف «رودولف فالنتينو». وبدا انها تذكرتني.

قلت: «صباح الخير يا سيدة موريسون، هل نستطيع أن نزورك دقيقة؟ هذا هو الليوتنانت راندال من قسم الشرطة».

- «رباه. إني مرتبكة لغاية. لديَّ كمية كبيرة من الثياب التي تحتاج للكوي».

- «لن نؤخرك أكثر من دقيقة».

انزاحت من أمام الباب وعبرنا الى داخل الردهة ومن جنب الخزانة القديمة، ومن هناك الى غرفة الجلوس النظيفة بستاراتها

المخرمة بالدانتيل. انتشرت رائحة الكوي من مؤخر البيت. أغلقت الباب بحرص شديد كما لو انه عجينة الرقائق.

كانت ترتدي هذا الصباح «وزرة» زرقاء وبيضاء. كانت عيناها حادّتين كالعادة، وذقنها لم يكبر حجمه الصغير البتة. وقفت على بعد سنتيمترات مني ودفعت وجهها الى الأمام وحدقت في عيني.

قلت: «انها لم تتلق الرسالة المضمونة».

ـ «لا لم تتلقّها. كان نهار السبت أول الشهر يوم كذبة أول نيسان ها ها!». توقفت وكانت على وشك أن تمسح شفتيها بـ«وزرتها» حين تذكرت آخر لحظة انها «وزرة» من النايلون. أزعجها ذلك بعض الشيء. وزمّ فمها فأضحى كمثل خوخة.

حين مر ساعي البريد ولم يدخل ممشاها ركضت الى الخارج ونادته. هز لها رأسه نافياً وتابع طريقه. فعادت ودخلت مغلقة الباب بعنف وخيّل إليّ ان النافذة تحطمت من جراء ذلك. وكأنها فقدت صوابها كلياً.

قلت: «أوَهل يعقل؟!».

توجهت الفضولية العجوز نحو راندال قائلة: «دعني أرَ شارتك أيها الشاب. لقد فاحت من هذا الباب هنا رائحة ويسكي حين زارني في المرة السابقة. أنا لم أثق به إطلاقاً في الواقع».

انتشل راندال شارته الذهبية والزرقاء وعرضها أمامها لتراها.

ـ «جيد»، وأقرت قائلة: «انك تبدو كشرطي حقيقي على أية

حال. حسناً لم يحدث أي شيء هنا نهار الأحد. لقد خرجت فقط لتبتاع مشروبها. وعادت بقنينتين مربعتين».

قلت: «قنينتا «جين»، أقول هذا لمجرد اعطائك فكرة عن الموضوع. ان الناس المحترمين لا يشربون أبداً «الجين»».

قالت الفضولية العجوز ملمّحة إليّ: «الناس المحترمون لا يشربون أبداً المسكرات».

قلت: «نعم. ها قد جاء نهار الاثنين، أعني اليوم ولم يزرها ساعي البريد كذلك. لا بد انها جنت غيظاً هذه المرة».

ـ «يا للذكاء، أمر لا يطاق هؤلاء الشبان الذين يريدون أن يحزروا كل ما هنالك، أليس كذلك أيها الشاب؟ ألا يمكنك الانتظار حتى يفتح أحدهم فمه؟».

ـ «أنا أعتذر يا سيدة موريسون، انها قضية مهمة جداً بالنسبة الينا...».

ـ «هذا الشاب هنا يبدو قادراً على الأقل على حفظ لسانه».

قلت: «انه متزوج. ان لديه خبرة».

قتم وجهها وأصبح بنفسجياً وصاحت بي قائلة: «اخرج من هنا وإلا اتصلت بالشرطة».

قال راندال باقتضاب: «ان من يقف أمامك يا مدام هو ضابط في الشرطة. لست في أي خطر».

ـ «آه هذا صحيح». أقرت هذا وأخذ اللون البنفسجي ينحسر متوارياً في وجهها. «لا أثق بهذا الرجل».

ـ «انك لست بمفردك يا سيدتي. ان السيدة فلوريان لم تتلق اليوم أيضاً رسالتها المضمونة. أهذا ما تريدين قوله؟».

ـ «لا». ردت بنبرة قاسية وباقتضاب. وأصبحت عيناها الآن تتطلعان بانخطاف. وشرعت تتكلم بسرعة، وبسرعة شديدة. «لقد حضر الى عندها أشخاص الليلة الفائتة، إنني لم أستطع حتى رؤيتهم. كان قد اصطحبني أصدقائي الى السينما. وما ان عدنا ـ لا ما ان أعادوني وانطلقوا مغادرين، غادرت سيارة من أمام منزلها. انطلقت بسرعة من غير أن تضيء كشافاتها. ولم أستطع رؤية رقم تسجيلها».

رمقتني بحدة بعينيها الحذرتين. وتساءلت لماذا كانت تنظر إليّ بتلك الطريقة. ثم اقتربت من النافذة وأزحت الستارة الدانتيل. وقف أمام المنزل المجاور رجل في بدلة رمادية، وكان يحمل حقيبة جلدية علّقها بإحدى كتفيه ومعتمراً «كاسكيت».

استدرت مبتعداً عن النافذة مبتسماً وقلت لها بفظاظة: «انك تفقدين حاسة الشم كلياً. سوف نبعثك الى محشر الكلاب الضالّة في السنة القادمة، إذا تابعت على هذا المنوال».

قال راندال ببرودة تامة: «خفف الوطأة قليلاً».

ـ «اقترب وألق نظرة من النافذة».

فعل ذلك وتجهم وجهه على الفور. وقف بعدها من دون حراك محدقاً بالسيدة موريسون. كان يتوقع شيئاً ما، صوتاً ما لا مثيل له في السكون. وقد أتاه هذا الصوت على الفور.

سمع صوت ارتطام شيء ما في صندوق البريد. كان يمكن أن تكون فاتورة لكن الصوت لم يوح بذلك. ثم سمعت خطوات وهي تبتعد في الشارع، وتوجه راندال مجدداً الى النافذة. لم يتوقف ساعي البريد أمام منزل السيدة فلوريان.

تابع متقدماً بظهره الرمادي والأزرق المتميز تحت الحقيبة الجلدية الثقيلة.

استدار راندال وسأل بتهذيب مريع: «كم مرة يتم توزيع البريد الصباحي في الحي هنا يا سيدة موريسون؟».

حاولت أن تواجه الاحراج قائلة: «هذه هي المرة الوحيدة». وأضافت بحدة: «مرة في الصباح، ومرة في العشية».

راحت عيناها تتقافزان في الاتجاهات. وكان ذقنها الأرنبي الدقيق يرتعش منقبضاً. وأخذت يداها تتحسسان بعصبية حافة «وزرتها» البيضاء والزرقاء.

قال راندال مشدوهاً: «لقد قام الساعي للتوّ بجولته الصباحية. أهو نفسه من يقوم بتوزيع الرسائل المضمونة؟».

قالت بصوت مرتجف: «انها تتلقى رسالتها بواسطة البريد السريع».

- «آه ولكنك تقولين انها ركضت نهار السبت وتحدثت مع ساعي البريد حين لم يتوقف أمام منزلها. وأنت لم تذكري شيئاً عن مسألة البريد السريع هذه».

- «كان من الممتع مشاهدته وهو يتصرف... مع واحد آخر».

فتحت فاها واسعاً وكانت أسنانها لمّاعة بفعل انتقاعها في المسحوق طوال الليل. وفجأة راحت تصيح بلا انقطاع ورفعت «وزرتها» فوق رأسها وركضت الى خارج الغرفة.

نظر الى الباب الذي انطلقت عبره. كان يقع خلف القنطرة الداخلية. ابتسم، ودبت ابتسامته متعبة.

قلت: «أسلوب واضح ممتاز. في المرة القادمة إلعب أنت دور الشرير. لا أحب أن أقسو على السيدات العجائز - حتى لو كن يكذبن».

تابع يبتسم وقال: «لا شيء جديداً. ان هذه اللعبة قديمة». وهز كتفية بلامبالاة. «هذه التحقيقات! يا للزيف. لقد أخبرتنا في البداية وقائع كانت تعرفها ورأتها. ولكن حين لم تحصل سريعاً على أشياءجديدة، أو حتى مثيرة الى حد معقول. راحت تحاول ابتكار بعض الأكاذيب».

استدار وتوجه الى الردهة. وتناهت الينا تنهدات بكاء من مؤخر المنزل. وكانت مؤثرة بشكل فظيع وكان يمكن أن تستعطف رجلاً ميتاً ومدفوناً منذ زمن طويل. إلا أنها لم تكن بالنسبة لي سوى عجوز باكية، ولم يكن ذلك بالأمر الممتع.

خرجنا بسكون من المنزل، وأغلقنا الباب وراءنا بهدوء. وضع راندال قبعته على رأسه وتنهّد. ثم هز كتفية ناشراً يديه أبعد مسافة ممكنة عن جسمه. وكان صوت بكائها لايزال مسموعاً من مؤخر المنزل.

كان ساعي البريد مازال منطلقاً على بعد منزلين في الشارع.

- «تحقيقات، هيه»، تمتم راندال بصمت ولوى فمه.

ثم عبر الفسحة الفاصلة نحو المنزل المجاور. لم تكن السيدة فلوريان جمعت بعد غسيلها المنشور. كان لايزال يرتعش مبتسماًومصفراً على السلك في الفناء الجانبي. ارتقينا

الدرجات وقرعنا الجرس. لم يكن من جواب. قرعنا مجدداً. لا جواب أيضاً.

قلت: «كان الباب غير مقفل آخر مرة حضرت الى هنا».

حاول فتح الباب بعناية حاجباً حركته بجسمه. كان مقفلاً هذه المرة. نزلنا من الشرفة الصغيرة ودرنا حول المنزل من الجهة غير المتاخمة لمنزل العجوز الفضولية. كان للمدخل الخلفي باب سلكي بدائي. قرع راندال هذا الباب، وما من جواب أيضاً. ثم عاد وتوجه عبر المعبر المعشوشب المهمل وفتح باب مرآب خشبي. بعثت مفصّلات الباب صريراً، وكان المرآب مليئاً بأشياء بالية لا فائدة فيها. كان فيه صندوقان محطمان قديمان لا ينفعان حتى للحريق. أيضاً أدوات للبستنة صدئة، علب قديمة، وكراتين كثيرة. الى زاويتي الجدار ارتفعت نافذتان سوداوان مكسوّتان كلياً بنسيج عنكبوت مهترىء. تناول قطعة خشب وراح ينتزعه شارد الذهن أغلق باب المرآب مجدداً وعاد عبر الممشى المكسو بالعشب الى واجهة المنزل، وإلى الدرجات المواجهة لمنزل العجوز. لم يجاوب أحد على قرعه أو طرقاته.

عاد ببطء، ناظراً الى الشارع من فوق كتفه.

وقال: «سيكون من السهل أن ندخل من الباب الخلفي. لست أخشى أن تقوم تلك الدجاجة العجوز بأي حركة الآن وقد كشفنا للتو كل أكاذيبها».

صعد الدرجتين الخلفيتين وحشر شفرة سكين في فسخ الباب ورفع المزلاج الداخلي. وهكذادخلنا من الباب السلكي الواقي. وكانت الزاوية وراءه مليئة بعلب المعلبات وكان بعضها محجوباً بالذباب.

قال: «رباه، يا لها من طريقة عيش!».

كان فتح الباب الخلفي سهلاً، فتح قفله مفتاح عمومي بخمس سنتات. لكن كان له مزلاج من الداخل.

قلت: «ان هذا يذهلني. أعتقد انها فرّت. ما كانت لتقفل الباب بهذا الشكل. انها مستهترة الى أقصى الحدود».

قال راندال: «ان قبعتك أقدم من قبعتي». وتطلع الى اللوح الزجاجي في الباب الخلفي، «أعرني إياها لأحطم الزجاج. أو هل تفضل أن نخلع الباب؟».

- «اركله. من ذا يهتم هنا؟».

- «ها أنذا أفعل».

تراجع قليلاً وانقض عليه بقدمه. طقطق شيء ما بخفوت وتراجع الباب بضعة سنتيمترات الى الوراء. أكملنا عليه بدفعة من الكتف والتقطنا من الأرض قضيباً حديدياً غريب الشكل ووضعناه بتهذيب كامل على مرتبة خشبية قرب تسع قنان فارغة من «الجين».

اندفعت ذبابات تطن مرتطمة بنوافذ المطبخ المقفلة. وقف راندال وسط المطبخ وراح يتفحص المكان بدقة.

ثم تقدم بخفة عبر الباب المتأرجح من غير أن يلمسه سوى بذروة حذائه، ودفعه بعيداً لكي يظل مفتوحاً. كانت غرفة الجلوس كما عهدتها بالضبط. وكان الراديو الجميل مطفأ.

قال راندال: «هذا راديو جميل. وثمين، هذا ان كان دفع ثمنه. انظر هنا».

ركع على ركبة واحدة وتطلع عبر السجادة. ثم توجه الى

جانب الراديو وحرك شريطاً منفلتاً بقدمه، انحنى وراح يتفحص مقابض الراديو الأمامية.

«جيد جداً. انها ملساء وكبيرة. هذا ذكي جداً. ليس في الوسع استخراج بصمات عن شريط كهربائي، أليس كذلك؟».

- «اربطه بالتيار وجرب إذا كان يعمل».

مد يده وحشر طرف الشريط في العلبة الكهربائية. وشع الراديو للتو. وانتظرنا. راح يهمهم لفترة وثم بغتة صدرت منه أصوات صاخبة راحت تترقرق من مذياعه، انقض راندال على الشريط وأخرجه من جديد. وانقطع الصوت بحدة.

حين وقف كانت عيناه تشعان.

توجه بعدها بخفة الي غرفة النوم. كانت السيدة جيسي بيرس فلوريان ممددة أفقياً علي السرير في رداء منزلي متجعد بأكمله. وكان وجهها ملاصقاً لأحد قائمتي السرير الخلفيتين. كانت زاوية الفراش مصبوغة ببقعة قاتمة وبدا أنها من النوع المحبب عند الذباب.

بدا انها كانت ميتة منذ وقت طويل.

راندال لم يلمسها أبداً. حدق نزولاً فيها لفترة طويلة ثم تطلع إليّ مكشراً عن أسنانه.

- «إن دماغها يغطي وجهها. يبدو ان هذه هي لازمة هذه القضية. باستثناء انهم قاموا بذلك باليدين المجردتين. ولكن يا لهما من يدين فظيعتين. انظر الى الكدمات على الرقبة، الى ضخامة آثار الأصابع».

قلت: «أنت تطلع الى هذا»، واستدرت مبتعداً، وأضفت: «يا لصديقنا نولتي المسكين. لم تعد مجرد مسألة مقتل زنجي».

- ٣١ -

كانت بقّة سوداء لمّاعة ذات رأس وبقع حمراء تزحف بطيئة فوق طاولة مكتب راندال المصقولة، ثم راحت تتوجس بقرنيها مستطلعة أحوال الطقس لتقلع وتطير. كانت تتعثر وهي تزحف مثل عجوز تحمل علباً كثيرة. جلس شرطي بدون اسم الى مكتب آخر ولم يتوقف عن التحدث عبر هاتف عجيب وقديم الطراز، وتبدو نبرته كواحد يهمس داخل نفق. كان يتحدث بعينين نصف مغمضتين. كانت يد كبيرة بندب عريض موضوعة على الطاولة أمامه وكان يحمل بين عقدتين من أصابعه سيجارة مشتعلة.

أدركت البقة حافة طاولة راندال وحلقت مستقيمة في الهواء. ثم سقطت على ظهرها فوق الأرض وراحت تلوّح بأقدامها الرفيعة المتهالكة وبوهن. ثم تظاهرت بالموت. لم يهتم أحد لها، فراحت تلوح مجدداً وفي النهاية نجحت في الانقلاب على وجهها. ثم انطلقت متهادية زاحفة ببطء الى زاوية ما نحو لا شيء، في اتجاه لا مكان.

أعلن مذياع الشرطة الخاص المعلق على الجدار عن عملية سطو في سان بدرو جنوب الشارع رقم ٤٤. كان الرجل الذي قام بالعملية في متوسط العمر ويرتدي بزة رمادية قاتمة وقبعة من اللون نفسه. آخر مرة شوهد فيها كان يركض في شرق الشارع ٤٤ ثم راح يراوغ ملتوياً بين البيوت. ثم أعلن المذيع «اقتربوا

منه بحذر. ان هذا المشتبه به يحمل مسدساً من عيار ٣٢ ولقد قام بسلب صاحب مطعم يوناني في البناء رقم ٣٩٦٦ جنوب سان بدرو».

طقطق المذياع اللاسلكي واختفى صوت المتحدث، لتحل موجة أخرى وراح واحد آخر يقرأ لائحة بسيارات مسروقة، في صوت بطيء رتيب كان يردد كل شيء مرتين.

فتح الباب ودخل راندال حاملاً كدسة من أوراق بحجم أوراق الآلة الكاتبة، قطع الغرفة مستنفراً وجلس الى الطاولة قبالتي ودفع إليَّ بعض الأوراق.

قال: «وقّع أربع نسخ».

وقّعت أربع نسخ.

أدركت البقة زاوية الغرفة وحركت قرنيها مستكشفة نقطة مناسبة للانطلاق. بدت مترددة بعض الشيء. فانطلقت مجدداً في اتجاه زاوية أخرى. أشعلت سيجارة وانتفض الشرطي القاعد قرب الهاتف العجيب فجأة وخرج من المكتب.

انحني راندال الى الخلف متكئاً على كرسي. وهو يبدو كما كان أبداً، هادئاً، واثقاً من نفسه ومتحفزاً على الدوام ليصبح شريراً أو لطيفاً حسبما تقتضي الأمور.

قال لي أخيراً: «سوف أطلعك على بعض الأمور السرية كي لا تعتريك من الآن وصاعداً أفكار مفاجئة ومجنونة. وكي لا تنطلق في كل الأمكنة متحاذقاً ومعتبراً نفسك شرلوك هولمز. لعلك تتخلى بحق السماء عن هذه القضية الملعونة».

قعدت منتظراً.

قال: «لم نعثر على أية بصمات على المقبض. أنت تعرف عن أي مقبض أتحدث. كان الشريط شد وانتزع لإطفاء الراديو، ولكن يحتمل انها هي من أشعله. ان كنت تضع قفازات للقيام بجريمة ما، وتدير الراديو لإخفاء صوت اطلاق النار أو أي شيء من هذا القبيل، ففي وسعك إطفاؤه بالطريقة نفسها. ولكن الجريمة لم تقترف بهذه الطريقة. ثم انهم حطموا عنق هذه المرأة المسكينة. لقد ماتت قبل أن يبدأ ذلك الرجل بتحطيم وجهها. والسؤال الآن لماذا قام بتحطيم وجهها؟».

ـ «إني أستمع اليك فقط».

تجهّم راندال وقال: «ربما لم يعرف انه دقّ عنقها. كان غاضباً منها». وابتسم بمرارة مضيفاً: «انه فن الاستنتاج كما تعرف».

نفخت بعض الدخان ولوحت مبعداً إياه عن وجهي.

ـ «حسناً. ولماذا كان غاضباً منها؟ لقد كانت هناك مكافأة كبيرة ثمناً لرأسه وقتذاك حين ألقي القبض عليه في ملهى الفلوريانز، بعد عملية السطو على المصرف في «أوراغون». لقد دفعت هذه المكافأة المالية الى محام محتال مات منذ ذلك الوقت. ولكن يحتمل جداً ان فلوريان حصل على قسم من تلك المكافأة. قد يكون مالوي شك في ذلك. وربما كان يعرف ذلك في الواقع. وربما كان يحاول فقط أن يخيفها».

هززت رأسي موافقاً. بدا وكأن التفسير يستحق بعض الاطراء. وتابع راندال.

ـ «أمسك بعنقها ومن المرة الأولى، لم يكن في حاجة الى

تكرار ذلك. لو استطعنا القبض عليه، ربما سيكون في مقدورنا اثبات ذلك بواسطة الكدمات والعلامات التي تركتها يداه عليها. وربما لا. يتصوّر الطبيب الشرعي ان الجريمة وقعت الليلة الفائتة وفي وقت مبكر منها بأقرب تقدير. وقت الدخول الى السينما. على أية حال، لم نستطع الى الآن أن نثبت ان مالوي كان في المنزل ليلة الأمس، لم يؤكد أي من الجيران ذلك. ولكنها تبدو بالتأكيد فعلة مالوي».

ـ «أجل»، قلت، «انه مالوي بالتأكيد. ربما ما كان يقصد قتلها، إلاّ انه فقط قوي جداً. ولا يستطيع السيطرة على ذلك».

قال راندال بذهول: «هذا لن ينفعه بأي شيء».

ـ «أعتقد ذلك. ولكن أود فقط أن أشير الى أنني لا أرى مالوي من صنف المجرمين. انه يقتل إذا حشر بزاوية، وإذا اضطر الى ذلك.. ولكن ليس من أجل المتعة أو المال... ولا أظن أبداً انه يقتل امرأة».

سألني بجفاف: «هل تعتقد ان هذه نقطة مهمة؟».

ـ «أنت تعرف ربما ما هو مهم وما هو غير مهم. أنا لا أعرف».

حدق فيّ طويلاً ولفترة مديدة أعلن خلالها المذيع مجدداً تقريراً جديداً عن عملية السطو في المطعم اليوناني في جنوب «سان بدرو». كان قد قبض على المشتبه به واكتشف لاحقاً انه كان ولداً مكسيكياً في الرابعة عشرة من العمر ومسلحاً بمسدس مائي. انجاز مهم بالنسبة لشاهد عيان!!

انتظر راندال حتى انتهى المذيع من قراءة تقريره. وتابع:

ـ «لقد أصبحنا صديقين هذا الصباح. دعنا نظل كذلك. اذهب الى البيت، تمدد وخذ استراحة طويلة. انك تبدو شاحباً جداً. فقط دعنا أنا وقسم الشرطة نتولّ قضية مقتل ماريوت، وايجاد مالوي الموظ وإلى ما هنالك».

قلت: «ان قضية ماريوت كانت مأجورة. ولقد فشلت في المهمة. ثم استخدمتني السيدة غرايل. ماذا تريدني أن أفعل ـ أن أتقاعد وأقتات من شحمي».

حدّق إليّ مجدداً: «أعرف ما تقصد. أنا انسان أيضاً. انهم يعطونكم رخصاً، وهذا لا يعني انهم يتوقعون منكم أن تعلقوها فقط في مكاتبكم. ومن جانب آخر يستطيع أي ضابط بسيط وحاقد أن يحطّم رأسك لمجرد المتعة».

ـ «ليس إذا كانت عائلة غرايل ورائي».

فكّر في هذا ملياً. كان يصعب عليه أن يعترف بأني محق في هذا ولو بجزء ضئيل. تجهم وراح يربّت على طاولته.

قال بعد توقف: «ليكن كل شيء واضحاً. إذا سببت لنا متاعب في هذه القضية سنزجك في السجن. ربما ستستطيع أن تخرج منه هذه المرة. لست متأكداً. ولكن سوف تبني شيئاً فشيئاً حائط عداء مع هذا القسم، وهذا سوف يسبب لك مشقة كبيرة عند القيام بأي عمل».

ـ «كل رجال التحري المستقلين يواجهون هذا الأمر يومياً في حياتهم».

ـ «لا يمكننا أن نسمح لك بالتحقيق في الجرائم».

ـ «لقد قلت ما عندك. ولقد سمعته. أنا لا أتوقع أن أحقق

أشياء يعجز جهاز كبير للشرطة عن تحقيقها. وإذا كانت لديَّ بعض الأفكار الشخصية الصغيرة، فلن تكون سوى ذلك. مجرد أفكار صغيرة وخاصة».

انحنى ببطء فوق الطاولة. وراحت أصابعه النحيلة العصبية تربت بلا انقطاع مثل ما تفعل أغصان شجرة البونسيه على جدار السيدة فلوريان الأمامي. التمع شعره الأشيب وكانت عيناه الهادئتان المسمّرتان تحملقان في عيني.

قال: «دعنا نتابع استعراض ما لدينا. ان آمثور ليس هنا الآن. انه مسافر. زوجته، وسكرتيرته، لا تعرفان أين هو، أو لا تريدان أن تقولا. الهندي توارى أيضاً. هل تريد أن تقدم شكوى ضد هؤلاء الأشخاص؟».

- «لا، لا يمكنني اثبات ذلك».

بدا ان الأمر أراحه: «تقول زوجته انها لم تسمع بك قط. أما في ما يتعلق بشرطيي باي سيتي، ان كان هذا ما كان في الواقع، فهذا الأمر خارج صلاحيتي. أفضل أن لا أعقد الأمور أكثر مما هي عليه. لكنني متأكد من أمر واحد. وهو أن لا علاقة لآمثور بمقتل ماريوت. لم تكن السجائر التي احتوت بطاقاته سوى خدعة».

- «وماذا بشأن الدكتور سوندربورغ؟».

بسط يديه وقال: «لقد هربت المؤسسة بكاملها. فقد أرسلت فرقة من المحققين من مكتب المدعي العام. ولم يتصلوا أبداً بشرطة باي سيتي. وقد دخلوا الى العيادة ووجدوها مقفلة ومقفرة. كانت جرت بالتأكيد محاولة معجّلة لتنظيف المكان، لكن بقيت آثار. آثار كثيرة. يلزمنا

أكثر من أسبوع لنحلل ما عثرنا عليه. هناك أيضاً خزنة في الحائط واننا نعمل الآن على فتحها. قد تكون المخدرات في داخلها ـ وأشياء أخرى أيضاً. أعتقد ان سوندربورغ يمتلك سجلاً اجرامياً، ليس هنا محلياً، وانما في مكان آخر. جرائم اجهاض، ومعالجة جروح واصابات بالرصاص لرجال عصابات. واستخدامات غير قانونية للمخدرات. ان كانت هذه المخالفات تمس القانون الفيدرالي فسوف نحصل على مساعدة كبيرة من هذه المؤسسة».

قلت: «ادعى انه طبيب شرعي».

هز راندال كتفيه بلا مبالاة وقال: «ربما كان كذلك مرة. ربما لم يصدر ضده حكم قضائي من قبل. هناك واحد يمارس الطب الآن قرب «بالمر سبرينفس» وكان قد اتهم بالاتجار بالمخدرات في هوليوود منذ خمس سنوات. لقد كان مذنباً كالشيطان، لكن الوساطات نجحت في حمايته. لقد خرج. هل من أمر آخر يثير قلقك؟».

ـ «ماذا تعرف عن بروينت؟ لمجرد الثرثرة؟».

ـ «بروينت مقامر. انه يكسب مبالغ طائلة. وبأسهل ما يكون».

ـ «حسناً»، قلت وكنت على وشك النهوض. «يبدو كل هذا منطقياً، ولكنه لا يسعفنا البتة في الاقتراب من عصابة سرقة المجوهرات التي قتلت ماريوت».

ـ «لا أستطيع أن أطلعك على كل شيء يا مارلو».

قلت: «أنا لا أتوقع هذا. بالمناسبة، لقد أخبرتني جيسي فلوريان حين رأيتها للمرة الثانية انها كانت خادمة في منزل

عائلة ماريوت مرة. ولهذا السبب كان يبعث اليها بالمال. هل لديك ما يدعم هذه القصة؟».

- «أجل. لديَّ رسائل في صندوقه المصرفي الخاص. رسائل منها تشكره فيها وتقول هذاالكلام نفسه». ثم بدا عليه وكأنه على وشك أن يفقد أعصابه وقال: «والآن بحق الله هلاّ ذهبت الى منزلك أو اهتممت بشؤونك الخاصة؟».

- «لقد كان أمراً لطيفاً من قبله أن يحتفظ بتلك الرسائل. أليس كذلك؟».

رفع عينيه حتى وصلتا بمواجهة ذروة رأسي. ثم أخفض جفنيه الى أن حجب نصف عينيه. وظل محدقاً بهذه الطريقة على مدى عشر ثوان. ثم ابتسم. لقد ابتسم كثيراً هذا النهار. كان يستنفد مؤونة أسبوع كامل.

قلت: «لديَّ نظرية ما في شأن هذا الأمر. انها نظرية مجنونة، ولكنهاالطبيعة البشرية. كان ماريوت، استناداً الى طريقة حياته وظروفه رجلاً مهدداً باستمرار. كل النصّابين يغامرون بشكل أو بآخر، وكل المقامرين يتشاءمون بشكل ما. وأنا أعتقد ان جيسي فلوريان كانت مصدر تفاؤل بالنسبة لماريوت. فقد كان يؤمن بأنه لن يصاب بأي سوء ما دام يهتم بها».

التفت ورحت أبحث عن البقة الحمراء. كانت تتقدم منتحبة الى الزاوية الثالثة من الغرفة. فوقفت على الطاولة والتقطتها بمنديلي وحملتها مجدداً وقلت له: «انظر. ان هذه الغرفة تعلو ثماني عشرة طبقة عن الأرض. وهذه البقّة تتسلق كل هذه المسافة الى هنا فقط لتعثر على صديق. وهو أنا. وهي

فأل حسن بالنسبة لي». ثم لففت البقة بعناية في جزء ناعم من المنديل ودسسته في جيبي. تطلع إليّ راندال بذهول كامل. تحرك فمه، ولكنه لم يلفظ شيئاً.

قلت: «انني أتساءل من يكون الشخص الذي يتفاءل لرؤية ماريوت؟».

قال وكان صوته بمنتهى الحدة: «لن تكون أنت في مطلق الأحوال!».

ـ «وربما لن تكون أنت أيضاً»، قلت هذا بصوت لم يكن غير مجرد صوت. وغادرت الغرفة مغلقاً ورائي الباب.

نزلت في المصعد السريع حتى مدخل شارع سبرينغ وخرجت الى الباحة الأمامية لبناء البلدية ونزلت بضع درجات ومن هناك الى حديقة الزهور حيث وضعت البقة الحمراء بعناية خلف شجيرات واطئة.

رحت أتساءل وأنا عائد بالتاكسي الى المنزل كم سيلزمها من الوقت لتدرك مكتب قسم الجنايات مجدداً!

أخرجت سيارتي من الموقف الواقع خلف شقتي، وتناولت قليلاً من الطعام في هوليوود قبل أن أنطلق الى باي سيتي. كان الطقس لطيفاً ومشمساً وجميلاً في الأسفل عند الشاطىء. غادرت بولفار ارغويلو عند الشارع الثالث وقدت سيارتي في اتجاه مبنى البلدية.

ـ ٣٢ ـ

كان يبدو فقير المظهر بالنسبة الى بلدة مزدهرة وثرية. وكانت مجموعة كبيرة من المتسكعين المشردين تجلس

باسترخاء كلّي وفي صف طويل على حافة الجدار الذي كان يسند المرج الأمامي - المكسو في معظمه بأعشاب البرمودا - ويمنعه من السقوط الى الشارع. البناء مؤلف من ثلاث طبقات وكان يعتمر برج كنيسة قديم العهد لايزال جرسه معلقاً فيه. ربما كانوا يقرعونه في الماضي بمثابة نفير لفرقة الاطفائيين المتطوعين، وكان ذلك في الأزمنة الماضية الزاهرة، عندما كانوا يتباهون بالشوارب ويمضغون التبغ.

كان الممشى الأمامي المصدّع والدرجات تؤدي الى باب مزدوج، تطل منه على زمرة من السماسرة وعملاء البخشيش وصقور المعاملات غير القانونية. كانوا كلهم يتميزون بـ«كروشهم» الكبيرة وكان يبدو عليهم علامات التوجس والحذر وهم يرتدون ثيابهم الأنيقة وسلوكهم البالغ التزلف. تكرموا وافسحوا لي سنتيمترين للعبور.

في الداخل كانت هناك صالة طويلة معتمة ربما لم تكنّس مذ يوم انتخاب الرئيس ماكينلي. وقد لصقت عليها لافتة خشبية تشير الى انها مكتب استعلامات قسم الشرطة. كان هناك رجل في زي شرطي خلف صندوق لهاتف عمومي مثبت عند نهاية منضدة خشبية مشوّهة. ورجل في ثياب عادية وبدون سترة، كانت ساقاه الخنزيريتان أشبه بخرطومي إطفاء، أزاح عيناً واحدة من خلف صحيفة المساء، وأطلق بصقة ماراتونية ثم تثاءب، وقال لي ان مكتب قائد الشرطة يقع في آخر الطبقة العليا.

كانت الطبقة الثانية أكثر ضوءاً ونظافة. لكن هذا لا يعني

انها كانت مضيئة ونظيفة. وعند نهاية الرواق كتب بأحرف صغيرة؛ «جون واكس. قائد الشرطة. أدخل».

في الداخل كان هناك منضدة خشبية واطئة، جلس وراءها شرطي في بدلة عمل، وكان يطرق بإبهام وإصبعين على آلة كاتبة. تناول بطاقتي، تثاءب، قال انه سيرى في الأمر، ونجح بأعجوبة في جرّ نفسه عبر باب من خشب الماهوغوني كتب عليه «جون واكس. قائد الشرطة. خاص». عاد وفتح لي الباب الصغير الحاجز.

دخلت وأغلقت ورائي باب المكتب الداخلي. كان هواء الغرفة منعشاً وكانت واسعة ومحاطة بنوافذ من ثلاثة جوانب منها. كانت طاولة المكتب الخشبية المصقولة موضوعة بعيداً في قعر الغرفة كما في مكتب موسوليني، وهكذا يتوجب عليك أن تعبر امتداد السجادة الطويلة لتدركه، وفيما تفعل ذلك تقوم عينان بتفحصك ملياً من الرأس الى أسفل القدمين.

مشيت نحو المكتب الذي وضعت عليه كذلك شارة كتب عليها «جون واكس. قائد الشرطة». توقفت لأحفظ الاسم. نظرت الى الرجل القاعد وراءه. ولم تظهر أية «ريشة» فوق شعره.

كان من الحجم ما فوق الثقيل ومدكوكاً دكاً، وشعره بلون زهري قصير فوق جلدة رأس زهرية كانت تلتمع عبره. كانت عيناه الصغيرتان النهمتان تحت جفنيه الثقيلين، ترفرفان مثل ذباب مهتاج. كان يرتدي بدلة كستنائية، وقميصاً وياقة بلون البن. كان يضع خاتماً ماسياً، ودبوساً ماسياً أيضاً علقه على ثنية

صدر سترته وحمل اسم ناديه. ومن جيب سترته انبثقت رؤوس محرمته الثلاثة حادة وأعلى بسنتيمترات مما ينبغي.

كانت احدى يديه السمينتين تحمل بطاقتي. قرأها ثم أدارها وقرأ ظهرها الذي كان بياضاً مجرداً. ثم عاد وقرأ وجهها مجدداً. وضعها أخيراً على طاولته ووضع فوقها مثقلة أوراق لها شكل قرد برونزي، كما لو كان يتأكد من عدم فقدانها.

رفع لي يداً وردية ضخمة، وحين رددت له تحيته، أشار لي في اتجاه مقعد. وقال:

- «اجلس يا سيد مارلو. أرى انك زميل مهنة بشكل ما. ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟».

- «إنها مشكلة صغيرة أيها الرئيس. في مقدورك أن تسوّيها لي في دقيقة، إن كنت تريد ذلك».

دار في كرسيه وشبك ساقيه البدينتين وحملق متأملاً في زوج من نوافذه. ومكنني هذا من رؤية جوربيه الصوفيين الاسكتلنديين، وحذائه الرياضي الخفيف والانكليزي الطراز، الذي بدا وكأنه نقع في دلو من الخمرة. قدرت. ومن غير أن أحسب محفظته وما لم أستطع رؤيته، انه كان يساوي أكثر من نصف ألف دولار. وقدرت ان لديه زوجة ثرية.

قال: «مشكلة؟»، وأضاف بهدوء، «ان بلدتنا الصغيرة لا تعرف الكثير عن أمور من هذا النوع يا سيد مارلو. ان بلدتنا صغيرة ولكن آمنة جداً، جداً. اني أنظر من نافذتي الغربية فأرى المحيط الباسيفيكي. لا يوجد ما هو أكثر صفاء، أليس كذلك؟». لم يأت على ذكر سفينتي المقامرة اللتين كانتا

تمخران الأمواج الذهبية تواً خلف حدود الثلاثة أميال. وأنا كذلك لم أذكر ذلك.

قلت: «إن كلامك بمنتهى الصحة أيها الرئيس».

دفع بصدره بضعة سنتيمترات الى الأمام، وتابع يقول: «وأنظر عبر نافذتي الشمالية فأرى الازدحام الشديد فوق بولفارأرغويللو وسفوح تلال كاليفورنيا البديعة. وعلى مقربة أحد أجمل الأحياء التجارية في العالم. وأنظر من نافذتي الجنوبية التي أنظر عبرها الآن فأشاهد أروع ميناء يخوت في العالم. ليست لديَّ نافذة الى ناحية الشرق، ولكن لو كان لديَّ لكنت شاهدت المنطقة السكنية التي كانت ستسيل لعابك بدون أدنى ريب. لا يا سيدي ان المشاكل كلمة لا تتردد كثيراً في بلدتنا الصغيرة».

ـ «أخشى اني حملت معي مشكلتي أيها الرئيس. بعضها على الأقل. هل لديك هنا شرطي يعاونك يدعى غالبرايت. انه ضابط في ثياب مدنية».

ـ «آه. أجل. أعتقد هذا». قال هذا وأجال بصره في الأرجاء. «وماذا في شأنه؟».

ـ «أحقاً لديك رجل يخرج بهذا الشكل؟».

وصفت الرجل الآخر الذي تكلم قليلاً، كان قصيراً يرتدي شاربين وضربني على رأسي بواسطة هراوة: «انه يرافق غالبرايت في جولاته، أعتقد هذا. لقد ناداه أحدهم باسم السيد بلاين، ولكن بدا لي انه كان اسماً مستعاراً».

ـ «على العكس تماماً»، انبرى القائد قائلاً بجفاف، هو

أقصى ما في مقدور رجل بدين أن يفعل. «إنه رئيس جهاز التحري عندي. انه الكابتن بلاين».

ـ «هل أستطيع أن أقابل هذين الرجلين هنا في مكتبك؟».

انتشل بطاقتي مجدداً وقرأها مرة أخرى. ثم وضعها ولوح بيده الملساء الزلقة.

قال بدماثة: «لن أفعل ان لم تقدم لي سبباً أفضل من الذي قدمته لي حتى الآن».

ـ «لم يخطر لي اني سأنجح في هذا، أيها الرئيس. هل تعرف يا ترى رجلاً يدعى جول آمثور؟ انه يدعي انه وسيط روحاني، ويعيش عند قمة تلة في منطقة «ستيلوود هايتس»».

ـ «لا. أيضاً ان منطقة «ستيلوود هايتس» ليست ضمن مقاطعتي». وكانت عيناه قلقتين.

قلت: «هذا في الواقع ما هو مضحك في الأمر. القصة هي اني توجهت لمقابلة السيد آمثور لمسألة لها علاقة بزبون لي. ولقد خيّل للسيد آمثور اني كنت أحاول ابتزازه. وهذا الاعتقاد ليس بالأمر الصعب أو الغريب لدى من يمارس مهنة من هذا النوع. ان لديه رجلاً هندياً هو حارسه الشخصي وهو قوي ولم أستطع مقاومته. وهكذا أمسكني الهندي وجعل آمثور يضربني بمسدسي. ثم بعث في طلب شرطيين. وصدف انهما غالبرايت والسيد بلاين. أوَهل تهمّك هذه القصة بشكل ما؟».

بسط قائد الشرطة واكس يديه بنعومة على صفحة الطاولة. وأغلق جفنيه تقريباً كلياً. شع بريق عينيه البارد بين رموشه

الثخينة وسطعت تواً في اتجاهي. جلس من دون حراك كما لو كان منصتا. ثم فتح عينيه وابتسم.

وسألني بتهذيب وكأنه القبضاي في ملهى نادي «ستارك»: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

ـ «فتشاني، ثم اصطحباني بسيارتهما ورمياني عند سفح الجبل بعدما ضرباني بهراوة لأفقد وعيي حالما أخرج من السيارة».

هز رأسه متفهماً كما لو ان الذي قلته أمر طبيعي للغاية. وقال: «أوَهل حدث كل هذا في منطقة ستيلوود هايتس؟».

ـ «أجل».

انحنى قليلاً فوق الطاولة، بقدر ما تسمح له بطنه أن يفعل وقال: «هل تعرف ماذا أعتقدك؟».

قلت: «كاذباً».

قال: «هذا هو الباب» وأشار اليه باصبع يده اليسرى الصغير.

لم أتحرك قيد أنملة. وبقيت محدقاً فيه. وحين استعر به الغضب وكان على وشك أن يضغط جرس الحارس قلت: «دعنا لا نرتكب نحن الاثنين الخطأ نفسه. انك تعتقد انني تحري مبتدىء يحاول اغتصاب شهرة ما عبر اتهام ضابط في البوليس. وبأية حال ولو كانت هذه التهمة صحيحة فسينجح الضابط من دون أدنى شك في منعي من اثباتها. هذا ليس أبداً ما أريد. أنا لست في صدد تقديم أي شكوى. أعتقد ان الغلطة كانت أمراً طبيعياً. كل ما أريده هو تصفية حسابي مع آمثور

وأريد من رجلك غالبرايت أن يعاونني في تحقيق ذلك. لا حاجة أن يزعج السيد بلاين نفسه. غالبرايت سيكون كافياً لوحده. وبالمناسبة أنا مسنود، أي انني لست أعزل في هذه القضية. أنا مدعوم من أناس مهمين».

سأل القائد متنحنحاً ومبتهجاً بنكتته: «وكم يبعد هؤلاء الذين يسندونك؟».

ـ «ليس كثيراً. مسافة الرقم ٨٦٢ في شارع «آشر درايف» من هنا. هناك حيث يقيم السيد لوين لوكريدج غرايل».

تغيرت ملامح وجهه كلياً، وخلت ان رجلاً آخر حلّ محله في الكرسي. وقلت: «ان زبونتي هي في الواقع السيدة غرايل».

قال: «أقفل الأبواب. انك أصغر وأنشط مني. أقفل أيضاً المزلاجات. كوننا سنناقش هذه المسألة فلنبدأ كصديقين. انك تبدو لي شريفاً يا مارلو».

نهضت وأقفلت البابين. وحين عدت الى طاولة المكتب مجتازاً السجادة الزرقاء، كان الرئيس وضع أمامه قنينة جميلة الشكل وكأسين. قذف حفنة من حب الهال فوق الطاولة أمامه، وملأ الكأسين.

شربنا. كسر بضع حبات من الهال وجعلنا نمتصها بصمت متطلعين بيعضنا بعضاً.

قال: «ان طعمها طيب». ثم ملأ الكأسين مجدداً. وكان قد جاء دوري لتكسير حبوب الهال. دفع القشور عن الطاولة الى الأرض، وابتسم متراجعاً الى مقعده وقال:

- «والآن. كلي آذان صاغية. هل لهذه المهمة التي كلفتك بها السيدة غرايل أية علاقة بآمثور؟».

- «أجل هناك علاقة في الواقع، ولكن أظن انه من الأفضل أن تتأكد من صحة كلامي».

- «هذا صحيح». قال هذا وتناول هاتفه. ثم انتشل دفتراً صغيراً من صدريته وبحث عن الرقم.

قال وغمزني بعينه: «لقد موّلوا حملتنا الانتخابية. ان رئيس البلدية يصرّ على ان لهم أكبر عدد ممكن من الخدمات. آه. ها هو الرقم».

ألقى الدفتر الصغير جانباً وطلب الرقم.

ومثلما حصل معي فقد أنهكه الخادم قبل أن يحوّله الى السيدة غرايل، وجعل أذنيه تلتهبان احمراراً. وفي النهاية استطاع التحدث اليها. لكن أذنيه بقيتا حمراوين. لا بد انها أنّبته بحدّة.

قال دافعاً الهاتف عبر طاولته العارية: «انها تريد التحدث اليك».

قلت: «هنا الفيل»، وغمزت الرئيس بشقاوة.

اندلعت من الجانب الآخر قهقهة كلها إغراء، وقالت: «ماذا تفعل عند هذا الأحمق الخنزير؟».

- «إننا نحتسي بعض المشروب».

- «وهل ينبغي أن تفعل ذلك برفقته؟».

- «في الوقت الحاضر، أجل. انها جلسة عمل. هل من جديد؟ أنت تعرفين ماذا أقصد؟».

ـ «لا. هل تعي يا ولدي الطيب، انك جعلتني أنتظر لمدة ساعة على الطريق ليلة الأمس؟ هل بدوت لك من نوع النساء اللواتي يسمحن بأن يحصل لهن هذا؟».

ـ «لقد تعرضت لحادث. ما رأيك أن نلتقي هذه الليلة؟».

ـ «دعني أرى ـ هذه الليلة هي ليلة... بحق السماء في أي نهار من الأسبوع نحن الآن؟».

قلت: «من الأفضل أن أتصل بك. ربما لن أستطيع أن أذهب هذه الليلة. نحن في نهار الجمعة».

ـ «كاذب»، وجعلت تضحك من جديد بصوتها الناعم المبحوح. «فليكن نهار الاثنين. في الوقت والمكان نفسيهما ـ ولن تخادع هذه المرة أيضاً؟».

ـ «من المستحسن أن أتصل بك».

ـ «من المستحسن أن تكون هناك».

ـ «لا يمكنني أن أكون واثقاً من هذا. دعيني أتصل بك».

ـ «آه إننا نتدلّع، قد أكون حمقاء إن تابعت المحاولة».

ـ «في الواقع أنت كذلك».

ـ «لماذا؟».

ـ «أنا رجل فقير. وإنما شريف. ولكن أعتقد ان سلوكي جلف بعض الشيء بالنسبة لذوقك».

ـ «لعنة الله عليك إن لم توافني الى هناك...».

ـ «قلت لك إني سأتصل بك».

تنهدت قائلة: «كل الرجال سواسية متشابهون».

ـ «وهكذا هن النساء.. بعد التسع الأوائل».

لعنتني مجدداً وأقفلت السماعة. جحظت عينا قائد الشرطة الى درجة انهما بدتا وكأنما معلقتين بدبوسين فوق وجهه. ملأ الكأسين مجدداً بيد مرتعشة ودفع بإحداهما إليّ.

قال بنبرة حالمة: «آه هكذا إذن تجري الأمور».

قلت: «ان زوجها لا يأبه البتة. ولا ضرورة لتسجيل هذا».

بدا متضايقاً وهو يشرب من كأسه. كسّر حبوب الهال بنعومة وهو مستغرق في التفكير. وشربنا نخب أحبابنا. ثم قام القائد وللأسف بإخفاء القنينة والكأسين. وضغط مقبضاً صغيراً في هاتفه المذياع وقال:

- «اجعل غالبرايت يحضر إليّ في الحال، ان كان هناك في البناية. وان لم يكن حاول أن تصلني به».

نهضت، فتحت قفلي الباب وجلست مجدداً. لم ننتظر طويلاً. طُرق الباب الجانبي، وأذن القائد، فدخل همنغواي الغرفة.

تقدم بخطى وطيدة الى طاولة المكتب وتوقف عند نهايتها متطلعاً الى القائد واكس بنظرة ملؤها المهانة الشديدة.

قال القائد بوّد: «أقدم لك السيد فيليب مارلو. انه تحري خاص من لوس أنجلوس».

أدار همنغواي رأسه ما يكفي فقط لرؤيتي. ولو كان رآني من قبل، فإن وجهه ما كان ليكون الشاهد على ذلك مطلقاً. مد يده، مددت يدي، تصافحنا وتطلع الى القائد مجدداً.

قال قائد الشرطة بدهاء كمثل ريشوليو من وراء ستارة: «لقد روى لي السيد مارلو قصة غريبة. عن رجل يدعى آمثور

يسكن في منطقة «ستيلوود هايتس». انه وسيط من الصنف الذي يستخدم كرة بلّورية. يبدو ان السيد مارلو كان توجه الى هناك لمقابلته وصادف انكما كنتما هناك أيضاً أنت وبلاين، وحدث شجار ما. نسيت التفاصيل». ثم نظر الى خارج نوافذه بادياً كرجل لا يحفظ التفاصيل.

قال همنغواي: «هناك في الواقع خطأ ما. أنا لم أر هذا الرجل من قبل».

قال القائد بنبرة حالمة: «لقد حصل في الواقع خطأ ما. غلطة بسيطة، ولكنها غلطة في مطلق الأحوال. والسيد مارلو هنا لا يعتبرها بذات أهمية».

نظر إليّ همنغواي مجدداً. وبدا وجهه متحجراً، فاقد التعبير.

تابع القائد يقول بنبرته الحالمة: «في الواقع انه ليس مكترثاً بهذه الغلطة. ولكنه مهتم بشأن التوجه الى عند هذا الرجل آمثور الذي يسكن في «ستيلوود هايتس». ويرغب في أن يرافقه أحد ما. ولقد خطرت أنت في بالي. انه يريد أن يصحبه أحد لكي يستطيع أن يواجهه نداً لند. يبدو ان لدى السيد آمثور رجلاً هندياً عملاقاً يستخدمه كحارس شخصي. ويشك السيد مارلو في أن يكون قادراً وحده على السيطرة على الموقف من دون مساعدة. هل تعتقد ان في مقدورك العثور على مكان إقامة السيد آمثور؟».

قال همنغواي: «أجل. لكن منطقة «ستيلوود هايتس» تقع يا سيدي خارج مقاطعتنا. أوَهذه خدمة شخصية لصديق لك؟».

قال القائد محدقاً في إبهامه الأيسر: «يمكنك أن تقول هذا. ونحن لا نريد أن نتخطى القانون بالطبع، أليس كذلك؟».

قال همنغواي: «أجل.. لا». سعل وقال: «متى سنتوجه الى هناك؟».

نظر إليّ قائد الشرطة طالباً الإجابة.

قلت: «يمكننا أن ننطلق الآن. إن كان هذا يناسب السيد غالبرايت».

قال همنغواي: «إني أفعل ما أؤمر به».

حدق فيه القائد شبراً شبراً. غسله ومشطه بعينيه. ثم سأله: «كيف حال الكابتن بلاين اليوم؟ قال هذا وهو يمضغ حبة هال.

أجاب همنغواي: «انه في حالة سيئة جداً. لقد فرطت زائدته الدودية. انها حالة خطرة».

هزّ القائد رأسه بحزن. ثم قبض على ذراعي كرسيه وجرّ نفسه جراً ليقف على قدميه. ثم دفع بعدها يده المتوردة قائلاً:

- «سيهتم غالبرايت بك خير اهتمام يا مارلو. يمكنك أن تعتمد على هذا».

قلت: «حسناً، إني ممتن لك جداً أيها الرئيس. وأعجز عن شكرك».

- «ياه ه ه! لا داعي للشكر. يسعدني على الدوام أن أخدم أصدقاء أصدقائي». وغمزني بطرف عينه. رآه همنغواي يفعل ذلك، وحاول اكتناه مغزاها.

خرجنا أنا وهمنغواي وكادت تمتمات قائد الشرطة الفائقة التهذيب تحملنا عبر المكتب. أغلق الباب. تطلع همنغواي إلى

أعلى وأسفل الرواق ثم في اتجاهي. وقال: «لقد لعبتها بشكل بارع يا صديقي الصغير. لا بد انك تخبىء أمراً ما كنا نجهله».

ترقرقت السيارة بسكون عبر شارع هادىء تحيطه منازل متميزة. وانحنت أشجار فلفل فوقه بالكاد تلامسه فاعلة نفقاً أخضر. تلألأت الشمس خلال الأغصان المرتفعة وأوراقها الصغيرة الرقيقة. وأشارت لافتة في زاوية الشارع الى انه الشارع رقم ١٨.

كان همنغواي يقود وكنت جالساً الى جانبه. كان يقود ببطء شديد، متجهم الوجه بالأفكار.

سألني بعد أن استقر على رأي: «ماذا أخبرته بالضبط؟».

- «أخبرته انكما توجهتما الى هناك أنت وبلاين، وألقيتما بي خارج السيارة وضربتماني على جمجمتي. لم أخبره البقية».

- «أوَلم تخبره عما حدث في الشارع ٢٣ والعيادة في شارع دسكانسو؟».

- «لا».

- «لماذا لم تفعل؟».

- «لقد خطر لي انك ستتعاون معي بشكل أفضل إن لم أفعل ذلك؟».

- «آه هذا تفكير سليم. أوَهل ترغب حقاً في الذهاب الى «ستيلوود هايتس»، أم ان ذلك كان مجرد ذريعة؟».

- «بالضبط. كانت مجرد ذريعة. ما أرغب فعلاً في معرفته هو لماذا وضعتماني في تلك العيادة العجيبة، ولماذا احتجزت هناك؟».

فكر همنغواي. فكر عميقاً الى درجة أن عضلات وجنتيه المشدودة أحدثت عقداً تحت بشرته القاتمة.

قال: «انه بلاين. هذا «الظنبوب» المشوي. لم أكن أتوقع أن يضربك. ولم يكن في نيتي أن أجعلك تعود مشياً كذلك، أنا لم أرغب بذلك في الحقيقة. كانت مجرد تمثيلية، لأننا صديقان لهذا الهندوسي، يمكنك أن تقول إننا نقوم بحمايته من مضايقات الناس. ستفاجأ لو قلت لك عدد الأشخاص الذين يحاولون مضايقته».

قلت: «أمر مذهل».

التفت إليّ. كانت عيناه البنيتان مثل مكعبين من الثلج. ثم عاود النظر أمامه عبر الزجاج الأمامي المغبر واستغرق مرة جديدة في التفكير.

قال: «إن رجال الشرطة الكهول يتشوّقون بين الحين والآخر الى الضرب بالهراوة. فقط لمجرد المتعة بالأمر وتحطيم رأس ما. رباه، لقد ارتعدت فرائصي. سقطت يومذاك مثل كيس اسمنت. يومها أنّبت بلاين بشكل فظيع. ثم حملناك الى عيادة سوندربورغ من غير قصد معين سوى انه كان أقرب مكان ممكن، وهو رجل محترم وكان سيعتني بك».

- «هل عرف آمثور أنكما نقلتماني الى هناك؟».

- «بحق الشيطان، لا. لقد كانت فكرتنا نحن».

- «في ما يختص بالدكتور سوندربورغ كونه رجلاً محترماً وسيعتني بي. ليست هناك أدنى فرصة بأن يدعم طبيب ما أي شكوى سأقدمها. ولا أظن انه سيكون هناك أي نتيجة لشكوى تقدم في هذه البلدة الصغيرة اللطيفة. هذا إذا قدّمتها».

سأل همنغواي مفكراً: «انك تضمر له الشر أليس كذلك؟».

قلت: «أنا؟ لا أبداً. وأنت لن تفعل ذلك ولأول مرة في حياتك. لأن وظيفتك معلّقة الآن بخيط رفيع. لقد نظرت في عيني قائد الشرطة ورأيت ذلك بالتأكيد. أنا لم أتوجه الى عنده هذه المرة غير مدعوم».

ـ «حسناً، فهمت». قال همنغواي هذا وبصق من النافذة. «أنا لم يخطر لي منذ البداية أن ألعب دور الشرير. كان الأمر مجرد تشدّق روتيني. وماذا أيضاً؟».

ـ «هل بلاين مريض حقاً؟».

هز همنغواي رأسه ايجاباً. ولكنه فشل ولا أعرف كيف في إظهار حزنه: «بالتأكيد. لقد استعر به الألم ما قبل البارحة. وانفجرت زائدته قبل أن يستطيعوا استئصالها. لديه حظ بالنجاة ـ ولكنه لن يكون صحيحاً كلياً».

قلت: «ستكون خسارة كبرى لو فقدناه. ان رجلاً مثله هو ضرورة في أي شرطة قوية».

ابتلع همنغواي هذا، ثم بصق عبر نافذة السيارة.

تنهّد وقال: «حسناً، هل من سؤال آخر؟».

ـ «لقد قلت لي لماذا أخذتماني الى عيادة سوندربورغ. ولكنك لم تخبرني لماذا أبقاني هناك طوال ٤٨ ساعة، وأقفل عليّ بعد أن حقنني ببرميل من المخدرات».

فرمل همنغواي السيارة بهدوء الى جانب الرصيف. ثم

وضع يديه الضخمتين عند أسفل المقود الواحدة قرب الأخرى. وراح يفرك الإبهام بالآخر.

قال بصوت خفيض: «ليست لديَّ أدنى فكرة عن هذا الأمر».

قلت: «كنت أحمل أوراقاً شخصية تثبت ان لديَّ رخصة خاصة. وكذلك مفاتيح وبعض المال وصورتين فوتوغرافيتين. لو لم يكن يعرفكما أنتما الاثنين جيداً، لكان اعتقد أن تلك الضربة على الرأس لم تكن سوى ذريعة للتسلل الى عيادته للتجسس على نشاطاته. ولكني أعتقد انه يعرفكما معرفة جيدة ويثق بكما. ولهذا أنا محتار وليس في مقدوري تفسير هذا اللغز».

- «إبق محتاراً يا صديقي الصغير. ان هذا أسلم بكثير».

قلت: «هذا ما سيكون. ولكن لا أستطيع أن أكتفي بهذا فقط».

- «هل تدعمك شرطة لوس أنجلوس في هذا؟».

- «في أي هذا؟».

- «في ما يجول ببالك بشأن سوندربورغ».

- «ليس تماماً».

- «هذا الجواب لا يعني نعم ولا يعني لا».

قلت: «لست مهماً الى هذه الدرجة. ان رجال شرطة لوس أنجلوس يستطيعون المجيء الى هنا ساعة يشاؤون - وإن لم يكن كلهم فثلثهم بأقل تقدير. وبالدرجة الأولى رجال الشريف والمدعي العام. لديَّ صديق في مكتب المدعي العام. لقد

عملت هناك مرة. انه يدعى برني أولز. انه رئيس قسم التحريات».

- «هل أخبرته ما حدث لك؟».
- «لا، أنا لم أتصل به منذ شهر».
- «هل تفكر في اطلاعه على الأمر؟».
- «لا، وخاصة إذا كان هذا سيؤثر على القضية التي أعمل لها».
- «هل هي قضية خاصة؟».
- «أجل».
- «حسناً. ما الذي تريد أن تعرفه؟».
- «ما هي مهنة سوندربورغ الحقيقية؟».

رفع همنغواي يديه عن المقود وبصق عبر النافذة. وقال: «اننا نقف هنا في شارع جميل، أليس كذلك؟ بيوت جميلة، حدائق بديعة، ومناخ رائع. أنت تسمع الكثير عن شرطيين فاسدين، أليس هذا صحيحاً؟».

قلت: «بين الحين والآخر».

- «حسناً. كم تعتقد انه في وسعك أن تجد شرطيين يعيشون في شارع لائق كهذا، في بيوت بحدائق جميلة وأزهار؟ اني أعرف أربعة أو خمسة فقط، وكلهم من فرقة مكافحة الرذيلة. وكلهم حصلوا على هذا بطرق ملتوية، ان الشرطيين أمثالي يعيشون في أكواخ في قعر المدينة. هل تريد أن ترى أين أعيش أنا؟».

- «ماذا يثبت هذا؟».

ـ «اسمع جيداً يا صديقي الصغير» قال الرجل الضخم بنبرة جدّية: «انك تمسكني بخيط رفيع، ولكن يمكن لهذا الخيط أن ينقطع. ان رجال الشرطة لا يصبحون فاسدين دائماً بسبب المال فقط، ولا حتى غالباً. انهم سجناء النظام. ليس في مقدورهم سوى التصرف داخل هذا النطاق. وأن يفعلوا ما يطلب منهم. أما الرجل الذي يقعد هناك في الخلف في زاويته الكبيرة، في مكتبه مرتدياً بزة جميلة، ومبتلعاً مشروباً فاخراً، وماضغاً تلك الحبوب الطيبة الرائحة، ولكن على الرغم من كل هذا ـ فليس هو من يعطي الأوامر هل فهمت ما أقصد؟».

ـ «أي نوع من الرجال هو رئيس البلدية؟».

ـ «مثلما هو رئيس البلدية في أي مكان. رجل سياسة. أوَهل تعتقد انه هو من يصدر الأوامر؟ هراء. أوَهل تعرف ما هي مشكلة هذه البلاد يا صديقي الصغير؟».

ـ «انها الكميات الضخمة من الرساميل المجمدة. هكذا سمعت».

قال همنغواي: «لا يستطيع المرء أن يبقى شريفاً حتى ولو أراد ذلك. هذه هي مشكلة هذه البلاد الأساسية. وسوف يطرد ويرمى كقذارة ان لم يفعل ذلك. يجب أن تلعبها بطريقتهم القذرة وإلاّ مت جوعاً. يعتقد الكثير من الأغبياء ان كل ما نحتاج اليه هو تسعون ألفاً من رجال الـ«أف. بي. آي» بياقات نظيفة وحقائب. هذا هراء. لن يستطيعوا مقاومة الرشوة وسيستسلمون كما حدث لكل منا. أتعرف ما رأيي أنا؟ أنا أظن انه ينبغي أن نبني عالمنا هذا الصغير من جديد من الألف

الى الياء. خذ مثالاً على هذا حركة إعادة التسلح الأخلاقي. هذا أمر ممتاز فصيلة إعادة التسلح الأخلاقي. هذا ممتاز يا صديقي الصغير».

ـ «إن كانت بلدة باي سيتي مثالاً على هذا، فإني أفضل حبة أسبرين».

قال همنغواي بهدوء: «لا تتحاذق كثيراً. قد لا تقتنع بهذا، ولكن هذا يمكن أن ينجح. يمكنك أن تصبح حاذقاً وستفشل في التفكير بأي شيء آخر غير حذاقتك. أنا لست سوى شرطي أخرق. أتلقى الأوامر. لديَّ زوجة وولدان، وأنفذ ما تأمرني به الرؤوس الكبيرة. قد يستطيع بلاين أن يشرح لك أكثر مني. أنا مجرد جاهل أميّ».

ـ «هل أنت متأكد ان بلاين يعاني من انفجار الزائدة الدودية؟ هل أنت متأكد من انه لم يطلق النار على معدته هكذا لمجرد استهلاك طاقة الشر فيه؟».

احتجّ همنغواي على كلامي هذا وراح يضع يديه فوق أعلى وأسفل المقود: «لا تكن هكذا. حاول أن تفكر بشكل ايجابي بالناس».

ـ «ببلاين؟ هل من جوانب ايجابية فيه؟».

ـ «انه بشري ـ مثلنا كلنا»، وأضاف: «انه خاطىء، ولكنه بشري».

ـ «ما هو عمر سوندربورغ الحقيقي؟».

ـ «حسناً. أنا كنت أخبرك فقط. قد أكون مخطئاً. انك بدوت لي من النوع الذي يقبل الاستماع الى هكذا كلام».

ـ «ألا تعرف ما مهنته الحقيقية؟».

انتشل همنغواي محرمته ومسح وجهه بها. قال: «يا صديقي أكره أن أقول هذا. ولكن يجدر بك أن تعرف جيداً لو كنا بلاين وأنا نفقه ان سوندربورغ يمارس مهنة خفية، ما كنا لنسلمك اليه، وبالدرجة الثانية ما كنت لتخرج من هناك حياً. وأنا أتحدث هنا عمّا يسمى حقيقة بالمهنة الشريرة، وليس مجرد خداع كقراءة بخت النساء العجائز بواسطة كرة بلّورية».

قلت: «لا أعتقد البتة انه كان من المفترض أن أخرج من هناك حياً. هناك مخدر يدعى سكوبولامين، انه مصل الحقيقة. إن هذا المصل يجعل الناس أحياناً يتكلمون من غير أن يعرفوا ذلك. انه ليس مضمون النتيجة مئة في المئة، ويشبه التنويم المغناطيسي في ذلك. غير انه ينجح أحياناً. أعتقد اني كنت قد حقنت به يومذاك ليكتشفوا ما كنت أعرفه. إلاّ انه لم تكن هناك ثلاثة سبل ليكتشف إذا كنت أعرف شيئاً ما كان يمكن أن يؤذيه. إما أن يكون آمثور أخبره ذلك، أو أن يكون الموظ مالوي ذكر أمامه اني كنت توجهت لمقابلة جيسي فلوريان، أو انه ظن ان الشرطة وضعتني هناك عبر مكيدة أعدّت له».

حدق فيّ همنغواي بحزن وقال: «إنني لا أفهم البتة ما تقوله. من هو هذا الموظ مالوي بحق الشيطان؟».

ـ «انه غوريلا ضخمة كان قتل رجلاً في شارع سنترال أفينيو منذ بضعة أيام. لقد أبرقت مواصفاته الى كل مراكز الشرطة، هذا إن كنت تقرأ أبداً هذه البرقيات. وأعتقد انهم وزعوا الآن صوره أيضاً».

ـ «وماذا يعني هذا؟».

- «هذا يعني ان سوندربورغ كان يخفيه عنده. لقد رأيته هناك، على سرير يقرأ الصحف، ليلة فراري من ذلك المكان».

- «كيف استطعت الفرار؟ ألم يكن مقفلاً عليك؟».

- «لقد قضيت على الحارس بـ«زنبرك» سرير. كنت محظوظاً».

- «أوَهل رآك ذلك الغوريلا؟».

- «لا».

اندفع همنغواي بالسيارة من الرصيف وقد أضاءت ابتسامة عريضة وجهه. وقال: «هيا بنا الى الحصاد. هذا واضح. واضح جداً. كان سوندربورغ يخبىء مجرمين ورجال عصابات. هذا إن كانوا يستطيعون الدفع، بالطبع. لقد كانت عيادته تلك غطاء ممتازاً. ومصلحة مربحة جداً».

ركل دواسة بنزين السيارة وانجرت ملتفة حول منعطف ثم قال مشمئزاً: «يا للشيطان. يا لي من غبي، كنت أعتقد انه يبيع مخدرات. وانه كان محمياً بشكل جيد. ولكن، اللعنة، لقد كان ذلك مجرد عمل إضافي في الوقت الضائع».

- «هل سمعت مرة بالمقامرة بالأرقام؟ ان هذه أيضاً مهن حقيرة. هذا إن نظرت الى كل منها على حدة».

لفّ همنغواي بحدة منعطفاً آخر وهز رأسه الثقيل: «أجل، أجل. مثل لعبة البليباردو اليابانية، وصالات البينغو، وقاعات مراهنات سباقات الخيل والخ. ولكن عندما يجتمع كل ذلك وتحت هيمنة وسيطرة شخص واحد فانها تبدو حقيرة على الاطلاق».

ـ «أي شخص؟».

تسمّر وجهه من جديد. وانغلق فمه بشدة وكنت أستطيع أن أتخيّل أسنانه وهي تصر عاضة بعضها بعضاً فيه. كنا نعبر شارع دسكانسو ونتوجه شرقاً. كان شارعاً هادئاً حتى في نهاية ما بعد الظهيرة، حين وصلنا مشارف الشارع رقم ٢٣، أصبح الشارع بطريقة غريبة أقل هدوءاً. كان رجلان يتفحّصان شجرة نخيل وكأنهما يتداولان في طريقة لاقتلاعها. كانت سيارة متوقفة قرب عيادة سوندربورغ ولكن لم يظهر أحد فيها. عند وسط الطريق في الشارع عينه كان رجل يتفحص عدّادات المياه. كان منزل العيادة مشرقاً بديعاً تحت ضوء النهار. تشابكت نبتات «البيغونية» تحت النوافذ الأمامية مؤلفة أحجاماً كثيفة شاحبة اللون، وعكست البنفسجات لوناً ضبابياً حول نبتة «أكاسيا» مزهرة بيضاء. تسلقت أيضاً نبتة ورد بالكاد متفتحة البراعم تعريشة بشكل مروحة. انتشر كذلك بساط من البازيلا الشتوية وكان عصفور طنّان برونزي الإخضرار يتنقل بينها بخفة. بدا المنزل كمسكن لائق لعجوزين يعشقان البستنة. كانت شمس ما بعد الظهيرة تخلع عليه سكينة مريبة.

اجتاز همنغواي المنزل ببطء وارتسمت ابتسامة قليلة ومشدودة عند جانبي فمه. راح يشم الهواء اللطيف وانحرف عند المنعطف التالي. ثم تطلع عبر المرآة الأمامية وضاعف سرعة السيارة.

فرمل بعد ثلاث بنايات الى جانب الرصيف، والتفت إليّ بعدها محدقاً بغضب.

ـ «إنها شرطة لوس أنجلوس» قال، «أحد الرجلين الواقفين

قرب شجرة النخيل يدعى كونيلي. أنا أعرفه. انهم يراقبون العيادة. وأنت تقول لي انك لم تخبر صديقك في مكتب المدعي العام، أليس كذلك؟».

- «قلت لك اني لم أفعل».

زمجر همنغواي قائلاً: «سوف يفرح القائد كثيراً حين سيسمع هذا. لقد جاؤوا الى هنا، وأغاروا على مكان، من غير أن يمروا علينا حتى لإلقاء تحية».

لم أقل شيئاً.

- «هل قبضوا على الموظ مالوي؟».

هززت رأسي نافياً: «ليس بعد بحسب معلوماتي».

سألني بهدوء شديد: «اني أتساءل يا صديقي الصغير ان كان هناك ما لا تعرفه؟».

- «ليس الى هذا الحد. هل توجد أية علاقة بين آمثور وسوندربورغ؟».

- «ليس بحسب معرفتي».

- «من الذي يسيطر على هذه البلدة؟».

صمت.

- «سمعت ان مقامراً محترفاً يدعى ليرد برونيت دفع مبلغ ثلاثين ألف دولار في عملية انتخاب رئيس البلدية. وسمعت انه يملك نادي بليفردي وسفينتي القمار المبحرتين في المحيط».

قال همنغواي بتهذيب: «ربما».

- «أين يمكننا العثور على برونيت؟».

- «لماذا تسألني يا صديقي الصغير؟».

ـ «أين تستطيع أن تختبىء إذا تحولت الى نعجة سوداء في هذه المدينة؟».

ـ «في مكسيكو».

انفجرت ضاحكاً: «حسناً، هل تقدم لي خدمة كبيرة؟».

ـ «بكل سرور».

ـ «عد بي الى وسط المدينة».

انطلق بالسيارة مبتعداً عن الرصيف ثم انعطف بها ببراعة نحو شارع ظليل باتجاه المحيط. أدركت السيارة مبنى البلدية، واندفعت الى داخل موقف الشرطة ونزلت منها.

مد يده باتجاهي وبادرني: «بدون أدنى ضغينة يا صديقي».

وابتسم بكل كيانه. ثم ناداني وقد بدأت أمشي مبتعداً. تطلع بانتباه الى كل الاتجاهات وأدنى فمه من أذني وقال:

ـ «من المفترض أن هاتين السفينتين راسيتان خارج نطاق سلطة المدينة والولاية. انهما مسجلتان في بناما وتحملان العلم البانامي. لو كنت أنا من...» وصمت كلياً، واصطبغت عيناه الكئيبتان بالقلق.

قلت: «فهمت. كانت خطرت لي الفكرة نفسها. لا أعرف لماذا تكبدت كل هذا الشقاء لتشاركني أنت بها. بأية حال لن تنفع، رجل واحد لن يكون كافياً».

أطرق وهو يهز رأسه موافقاً، ثم راح يبتسم وقال: «حركة اعادة التسلح الأخلاقي».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٣٤ -

تمددت على ظهري فوق الفراش في فندق ملاصق للبحر منتظراً حلول الظلام. كانت غرفة مطلّة ذات فراش قاسٍ أسمك بقليل من البطانية القطنية التي كَسَتْه. كان أحدَ «زنبركات» السرير تحتي مفلتاً وانغرز في جانب ظهري الأيسر. تمددت هناك تاركاً إياه يحت بي.

كان انعكاس ضوء من النيون الأحمر يلتمع على سقف الغرفة، وحين سيضيء كل الغرفة باحمراره سيكون الظلام قد استعر كلياً، وسيصبح في وسعي الخروج. في الخارج كانت السيارات تزمجر بأبواقها فوق طريق الأوتوستراد. وكانت همدرة وقع الأقدام المندفعة على الرصيف في الاتجاهين ترتفع الى الغرفة. الهواء الذي انسل عبر الستارات المعدنية الصدئة كان مفعماً برائحة الشواء والدهن. ومن البعيد تناهى صياح من النوع الذي يسمع من البعيد، وكان يهتف: «جوعوا يا شباب، جوعوا. هنا الهوت دوغ الممتاز، الفاخر، جوعوا!!!».

تهافتت العتمة. رحت أفكر، وتواترت الأفكار في دماغي متباطئة متكاسلة، كما لو انها تحت رقابة عيون سادية لاذعة. خطرت لي عيون ميتة محدقة في سماء معدمة القمر، ودم أسود عند أطراف أفواه قربها. وتراءت لي نسوة عجائز شريرات تضربن حتى الموت عند قوائم أسرتهن. تراءى لي أيضاً رجل بشعر أشقر لمّاع كان خائفاً، ولم يكن متأكداً من سبّب جزعه، وكان حساساً الى درجة انه حدث أمراً ما خطأ،

وكان أمراً سخيفاً وبدون جدوى أن يحاول أن يحزر ما كان ذاك الخطأ. ثم فكرت في نسوة جميلات ثريات وسهل منالهن. فكرت في فتيات نحيلات فضوليات يعشن بمفردهن ويسهل الحصول عليهن أيضاً، ولكن بطرق مختلفة. فكرت في رجال شرطة قساة يمكن أن يصبحوا بدينين ولكنهم لم يكونوا رغم ذلك سيئين مثل همنغواي. شرطيون بدينون يعيشون ببحبوحة، وأصواتهم كأصوات جماعة غرفة التجارة، مثل القائد واكس. شرطيون نحيلون وحاذقون وخطرون مثل راندال ولكن على الرغم من كل حذاقتهم وصلابتهم لم يكونوا أحراراً في التصرف بضمير حي وبأسلوب نظيف. وفكرت في عجائز متجهمين أمثال نولتي، ممن فشلوا الى حد انهم يئسوا من المحاولة. فكرت في هنود ووسطاء روحيين وأطباء يتاجرون بالمخدرات.

فكرت في أشياء كثيرة. وازدادت الظلمة. وانتشر شعاع اللافتة النيون أكثر وأكثر في سقف الغرفة. جلست على السرير ووضعت قدمي على الأرض ثم حككت مؤخر عنقي.

نهضت واقفاً على قدمي، وتوجهت الى المغسلة في الزاوية وألقيت مياهاً باردة على وجهي. بعد وقت قليل بعدما شعرت بتحسن طفيف، طفيف جداً، رغبت بكأس من المشروب، احتجت الى عطلة، وكنت بحاجة الى منزل في الريف. كل ما امتلكته كان معطفاً، قبعة ومسدساً. ارتديتها كلها وخرجت من المنزل.

لم يكن هناك مصعد. كانت رائحة الرواق نتنة وكان متكأ السلم مثيراً للإشمئزاز. انحدرت نازلاً الدرجات، رميت المفتاح

على المنضدة، وقلت اني مغادر. هز موظف ذو ثؤلول فوق حاجبه، رأسه، ثم خرج خادم الفندق المكسيكي في زيه البالي من وراء أوسخ نبتة مطاط في كاليفورنيا ليحمل لي حقائبي. لم تكن لديَّ أي حقائب، وكونه مكسيكياً، فتح لي الباب وابتسم بلطف على الرغم من هذا.

في الخارج كان الشارع مكسواً بالدخان، والأرصفة تغص بأصحاب البطون المستكينة. عبر الشارع كان هناك صالة للبينغو محشوة بالزبائن، وقربها بحاران برفقة فتاتين، وكانوا خارجين من محل للتصوير بحيث التقطت لهم صورة ربما وهم راكبون على جمل. كان صوت بائع «الهوت دوغ» يشق الغسق وكأنه فأس. أطلق باص أزرق كبير بوقه عند آخر الشارع عند المستديرة الصغيرة حيث كانت الباصات تنعطف، وسرت متقدماً الى هناك.

بعد فترة هبّت رائحة ضئيلة من المحيط. رائحة بحر هزيلة. وكانت كما لو انهم تركوها عمداً ليذكر الناس ان هذا المكان كان مرة شاطئاً نظيفاً ومشرعاً انجرت فوقه الأمواج وفرشت زبدها ثم اندلعت الريح وبات في وسعك أن تشم شيئاً آخر غير رائحة الشحم الحار والعرق البارد.

اقتربت عربة رصيف متدحرجة عبر الرصيف الإسمنتي الواسع. ركبتها حتى نهاية الخط، ونزلت لأجلس على مقعد في مكان هادىء وبارد بعض الشيء، وامتدت أمامي وعلى مقربة من قدمي أعشاب بحرية قاتمة اللون. وهناك بعيداً في البحر اندلعت أضواء سفينتي المقامرة.

عدت في عربة الرصيف مجدداً ورجعت تقريباً الى حيث

كان الفندق. إن كان أحد ما يتبعني فبالتأكيد كان يفعل ذلك من غير أن يتحرك. ولكني لا أعتقد هذا. ليس هناك في هذه المدينة الصغيرة النظيفة ما يكفي من الجرائم كي يصبح الشرطيون بارعين في الملاحقة.

التمعت أرصفة المرفأ السوداء بمداها الطويل ثم توارت في خلفيتها المعتمة. كان في وسعك أن تشم أيضاً رائحة الشواء الساخن، وكذلك رائحة المحيط. وتابع بائع «الهوت دوغ» مردداً لازمته الرتيبة: «جوعوا أيها الفتيان، جوعوا، تذوقوا الهوت دوغ الشهي. جوعوا».

أخيراً لمحته أمام فرن شواء أبيض في الهواء الطلق يخز بشوكة طويلة مقانق فرانكفورتية. كانت أعماله مزدهرة بالنسبة لهذا الوقت المبكر من السنة. كان يجب أن أنتظر بعض الشيء لأنفرد به.

سألته مشيراً بأنفي: «ماذا تدعى تلك البعيدة هناك؟».

أجاب وقد رمقني بنظرة حادة متفحصة: «مونتيشيتو».

ـ «هل نستطيع الذهاب الى هناك إن كنا نحمل مبلغاً لا بأس به من المال؟».

ـ «الذهاب للقيام بماذا؟».

انفجرت ضاحكاً، ضحكة ساخرة وقحة.

وزعق منشداً: «هوت دوغ. هوت دوغ ساخن أيها الفتيان». ثم قال مخفضاً صوته: أتبغي مضاجعة النساء؟».

ـ «لا. ما أحتاج اليه في الواقع هو غرفة ونسيم بحري عليل،

وطعام شهي ولا أحد لمضايقتي. رحلة استجمام، هل تفهمني؟».

ابتعد قائلاً: «لا أستطيع سماع كلمة واحدة مما تقوله». وتابع يزعق لازمته.

باع بعض السندويشات. لا أعرف لماذا أصرّيت على هذا الرجل. أظن أن وجهه يوحي بالغرض. تقدم شاب وفتاة في سروالين قصيرين وابتاعا سندويشين من المقانق، ثم انصرفا وكانت ذراع الفتى ملتفة حول حمّالة صدر الفتاة، وهما يلتهمان السندويشين.

اقترب الرجل بخفة إليّ وحملق بي: «ينبغي أن أنصرف الآن». ثم توقف وتابع بعدها قائلاً: «هذا سيكلفك بعض المال».

- «كم تريد؟».

- «خمسون دولاراً. هذا آخر سعر. إلاّ إذا كنت مطلوباً من العدالة».

قلت: «لقد كانت هذه بلدة ظريفة في ما مضى. مدينة صغيرة هادئة مستكينة».

قال متشدقاً: «أعتقد انها لا تزال هكذا. ولكن لماذا تسألني أنا؟».

قلت: «ليست لديَّ أدنى فكرة». ثم رميت دولاراً على منضدته الصغيرة وقلت: «ضعها في حساب طفلك المصرفي، وان كنت لا تريد فالسلام».

التقط الدولار بسرعة، طواه في الطول وفي العرض ثم

بالعكس. ثم وضعه على المنضدة ونقفه باصبعه. اندفع الدولار المطوي وارتطم بصدري ثم سقط بصمت على الأرض. انحنيت والتقطته واستدرت بسرعة. لكن ما رأيت خلفي أي شرطي.

انحنيت فوق المنضدة ممدداً فوقها الدولار مجدداً وقلت: «لا أحد يقذفني بالمال، عادة يناولونني إياه باليد، إن كنت لا تمانع».

تناول الدولار، فضّه، وفرشه ثم مسحه بـ«وزرته». ثم ضغط صندوق الدراهم وحشر الدولار في أحد الجوارير.

قال: «يقولون المال لا ينتن. واني أعجب لهذا الأمر».

لم أقل شيئاً. اهتمّ بخدمة بعض الزبائن ثم غادروا. كانت برودة الليل تزداد بسرعة.

ـ «لو كنت مكانك ما كنت لأبحر في «الرويال كراون». انها منتجع النصّابين الصغار في نهاية الأسبوع، انهم يمتصّون لهم دماءهم هناك. تبدو لي شرطياً، ولكن هذا لا يعنيني أرجوك أن تكون سباحاً جيداً».

تركته متسائلاً ما الذي دفعني للتوجه اليه بالدرجة الأولى. الحدس. اتبع دائماً حدسك... لقد أصبح هذا الأمر هاجساً عندي. لم يعد في مقدوري أن أطلب فنجان قهوة من دون أن أقفل عيني وأشير بالشوكة الى قائمة المقهى. الحدس!

تجولت في الأرجاء محاولاً أن أكتشف ان كان أحد ما يلاحقني أو يراقبني بطريقة ما. ثم رحت أبحث عن مطعم لم تكن تفوح منه رائحة شواء الشحم، ووجدت واحداً علقت فوقه لافتة قرمزية من النيون، وحجبت ستارة من قصب

البامبوباره الداخلي. كان هناك فتى مراهق ذو شعر محنّى مستغرقاً في كرسي مريح وراء بيانو ضخم وكان يداعب اللمسات بعشق ويغني أغنية: «سُلّم الى النجوم» بصوت كان يلتهم نصف النوتة.

ازدردت كأساً من المارتيني ثم عجلت عبر ستارة البامبو نحو صالة الطعام.

وجبة عشاء الـ٨٥ سنتاً كان طعمها مثل كيس بريد متقاعد وقدمها لي خادم بدا وكأنه على استعداد لصفعي مقابل ربع دولار، وتقطيع حلقي الى ستة أجزاء واغراقي في البحر في برميل محشو بالاسمنت بدولار ونصف، بما فيها ضريبة الدخل.

ـ ٣٥ ـ

كانت الرحلة طويلة بالنسبة الى ربع دولار. كان التاكسي البحري، عبارة عن «لنش» عنيف مطلي ومسور بالزجاج في ثلاثة أرباع طوله، وانزلق عبر اليخوت الراسية وحول اتساع الصخور المقشوعة التي رصفت عند نهاية الجدار الواقي من صدمات الأمواج. لطمتنا فجأة الأمواج العاتية وتأرجح القارب مثل فلينة. لكن المكان على ظهر القارب في بداية العشية تلك كان تقريباً فارغاً، ولم يكن غثيان دوار البحر يشكل مشكلة محرجة لو أصابني، أو الأزواج الثلاثة الذين كانوا معنا على القارب. وكان ربان القارب مواطناً قوي البنية كان يجلس تقريباً على وركه الأيسر بسبب المسدس

الجلدي المحشور في جيب وركه الأيمن. جعل الأزواج الثلاثة يمضغون وجوه بعضهم بعضاً ما ان خرجنا من الميناء.

نظرت الى الخلف في أضواء باي سيتي وحاولت أن لا ألقي بثقلي كله على عشائي العظيم. كانت نقاط مبعثرة من الضوء ترتسم معاً لتؤلف عقداً من الجواهر المنبسطة أمام نافذة استعراض الليل. ثم اضمحل الألق وأضحت التماعات برتقالية ناعمة تواترت في ومض وفي قتوم فوق حافة الأمواج. كانت أمواج طويلة ملساء اعتيادية بدون انكسارات زبدية على رؤوسها. كانت ارتفاعاتها وانخفاضاتها محتملة، وهكذا لم أندم على عدم غسل عشائي بواسطة الويسكي. كان التاكسي ينزلق طلوعاً ونزولاً الآن فوق الأمواج برقة مشؤومة كأفعى راقصة. وكان الهواء بارداً، وكانت برودة رطبة من النوع الذي يتجنبه البحارة. خيوط النيون الحمراء التي ارتسمت فوق سفينة «الرويال كراون» اضمحلت الى اليسار وخفتت في انسلالات الأشباح الظلامية التي لفظها البحر، ثم انبثقت من جديد مشعّة لماعة كرخام جديد.

بقينا على مسافة منها. بدت لطيفة وجميلة من البعيد. ثم تناهت الينا موسيقى عبر المياه، والموسيقى المترقرقة فوق المياه تكون دائماً رائعة. بدت سفينة «الرويال كراون» ثابتة كركيزة على قوائمها الأربع. كان رصيفها الخلفي مضاء مثل خشبة مسرح. ثم خبا كل هذا وقد ابتعدنا، وأطلّت علينا باخرة أخرى أصغر وأقدم، وراحت تنسل خارجة من العتمة في اتجاهنا. أقل من عادية. مركب قديم بجنبات صدئة مكسوّة بالزبد، كانت انشاءات طبقته العليا بسيطة مجردة مع صاريين

قصيرين سميكين لا يزيد ارتفاعهما عما يستلزمه هوائي الاتصالات اللاسلكية، أضاءت لمبة لافتة كتب عليها «مونتيشيتو» وعامت الموسيقى فوق مياه البحر الداكنة البليلة. الأزواج الذين كانوا يتطارحون الغرام أخرجوا أسنانهم من رقاب بعضهم بعضاً. حدقوا في السفينة وراحوا يقهقهون.

انجرّ القارب ملتفاً حول منعطف واسع، ومال قليلاً بما يكفي لإثارة رعب الركاب، ثم تباطأ مصطدماً بحبال حاجز الاصطدام المحيط بالسفينة. انطفأ محرك القارب وأطلق زعقته الأخيرة في الضباب. ودفع مصباح كشاف ضخم وبليد شعاعه بدائرة قطرها مسافة خمسين متراً تقريباً عن السفينة.

علّق سائق «اللنش» التاكسي مرساته برصيف السفينة وقام فتى داكن العينين في سترة ضيقة بأزرار ذهبية، وابتسامة مشعّة، وفم رجل عصابات، بمساعدة الفتيات على الصعود من التاكسي. كنت آخر من صعد. فهمته من النظرة التلقائية المتفحصة التي رمقني بها. وأطلعتني الطريقة المجردة والخبيثة التي دفعني بها من غير أن يمسني على أشياء أكثر.

ـ «لا» قال بهدوء، «لا».

كان صوته أجش مبحوحاً وأشبه بصوت كلب بَحري مكمّم بمنديل. لوى حنكه غامزاً سائق «اللانش». ربط هذا الأخير انشوطة حول مربط حبل، ولفّ المقود قليلاً، ثم تسلّق معتلياً رصيف السفينة، ووقف خلفي.

ـ «ممنوع حمل المسدسات على الباخرة. أنا آسف وكل ما تيسر من هذا الهراء». قال لي ذو السترة الضيقة بخشونة.

ـ «أستطيع أن أتركه في مكتب الأمانات. انه فقط جزء من ملابسي. لقد أتيت لأقابل السيد برونيت في مسألة عمل».

بدا وكأن الأمر أضحكه، فابتسم قائلاً: «أنا لم أسمع بهذا الاسم اطلاقاً. هيا اغرب من هنا أيها الفتى».

قلت: «أريد أن أقابل برونيت» وطلع صوتي ضعيفاً وهشاً كصوت امرأة عجوز.

قال الفتى الداكن العينين: «دعنا من الجدل. لسنا الآن في باي سيتي، ولا حتى في كاليفورنيا، وحسب بعض التفسيرات الممتازة لسنا حتى في الولايات المتحدة الأميركية. أغرب من هنا».

زمجر سائق التاكسي من ورائي: «هيا عد الى المركب. اني أدين لك بربع دولار. هيا بنا».

عدت الى المركب. نظر إليَّ ذو السترة الضيقة صامتاً ومبتسماً بخبث. تابعت أراقبه الى أن لم تعد ابتسامة، ولم يعد وجه، ولم يعد شيء سوى هيئة قاتمة في مواجهة قماشة الأضواء خلفه. نظرت اليها غاضباً راغباً بشدة العودة الى هناك.

بدت طريق العودة أطول. لم أكلم سائق اللنش ولم يتحدث هو إليَّ. حين نزلت على رصيف المرفأ ناولني الربع دولار.

وانبرى قائلاً بسأم: «قد يحالفك الحظ في ليلة أخرى. حين سيكون لدينا متسع من الوقت لطردك».

حدق إليَّ بفضول ما يقارب نصف الدزينة من الزبائن

الذين كانوا ينتظرون لصعود المركب، ما ان سمعوه يقول هذا. عبرت بينهم، ثم اجتزت باب غرفة الانتظار الصغيرة على العوامة، وتوجهت فوق السنسول الى الميناء.

وبينما أنا في الطريق اصطدم بي بغير انتباه، رجل ضخم أحمر الشعر، ثخين الرقبة منتعلاً حذاء رياضياً قذراً، وسروالاً ممزقاً، وما تبقى من سترة بحار زرقاء تحت وجه متسخ.

توقفت. بدا ضخماً جداً. كان أطول مني بسنتيمترات ويزيدني بحوالى الخمسة عشر كيلوغراماً. غير أني كنت ضقت ذرعاً وكنت مستعداً لالقاء قبضتي على أسنان أي واحد، حتى ولو لم أكن لأحصد من ذلك سوى ذراع خشبية.

كان الضوء خافتاً وأقبل معظمه من خلفي.

تشدّق قائلاً: «ما الأمر يا صاح؟ ألم توفق في الوصول الى سفينة الشيطان؟».

قلت له: «إذهب وارتق قميصك، ان بطنك يتدلى منها».

قال: «يمكن أن يحصل ما هو أسوأ. ان مسدسك هذا ناتىء بعض الشيء تحت قميصك الرقيقة».

- «ماذا يعنيك لتحشر أنفك في هذا؟».

- «يا الهي، لا شيء على الاطلاق، مجرد حشرية. لا تغضب يا صاح».

- «حسناً، ابتعد إذن عن طريقي، لعنة الله عليك».

- «بالتأكيد، اني فقط أرتاح هنا».

ابتسم ابتسامة بطيئة متعبة. كان صوته ناعماً، حالماً،

وحساساً بالنسبة الى رجل من حجمه، وذكرني هذا بعملاق آخر ناعم الصوت كنت أحببته بطريقة غريبة.

قال بتعاسة: «انك تتعاطى مع الناس بطريقة فظّة. يمكنك أن تناديني ريد».

ـ «تحرك من طريقي يا ريد. حتى أفضل الناس يرتكبون أخطاء. اني أشعر بواحدة تزحف على ظهري».

تطلّع قلقاً في الأرجاء. كان حشرني في زاوية عند سقفية العوّامة. بدا كما لو اننا كنا بمفردنا.

ـ «هل تريد الصعود الى المونتيشيتو؟ يمكنني تدبر الأمر. ان كان لديك سبب».

اجتازنا أشخاص في ثياب ووجوه بهيجة وصعدوا في اللنش. انتظرت الى أن عبروا.

ـ «وكم ثمن هذا السبب؟».

ـ «خمسون دولاراً. وعشرة إضافية ان وسّخ دمك قاربي».

مشيت ودرت حوله.

قال بنعومة: «خمسة وعشرون. خمسة عشر ان عدت مع أصدقاء».

قلت مبتعداً: «ليس لديَّ أصدقاء». لم يحاول إيقافي.

تحولت الى اليمين الى الممشى الإسمنتي الذي كانت تنسل تحته في الاتجاهين سيارات صغيرة كهربائية متقافزة مثل عربات أطفال، ومطلقة «أبواقها الخفيضة التي لم تكن لتروّع أماً حبلى.

عند قدم الرصيف البحري الأول كانت هناك صالة بينغو متلألئة الأضواء، وكانت محشوة الآن بالزبائن. دخلتها

ووقفت قرب الجدار خلف اللاعبين، حيث وقف أيضاً آخرون بانتظار أن تخلو بعض المقاعد.

راقبت ظهور بضعة أرقام على اللافتة الكهربائية، واستمعت الى ترددها بأصوات موظفي الصالة. حاولت رؤية مديري اللعبة لكني لم أستطع، فاستدرت مغادراً.

انبرى الى جانبي رجل ضخم، فاحت منه رائحة القطران: «أَوَليس لديك دراهم، أم انك بخيل؟» سألني بصوت مهذب في أذني.

تطلعت اليه. كانت عيناه من النوع الذي لا يمكن رؤيتهما، كان يمكن أن تقرأ عنهما فقط في الكتب، عينان بنفسجيتان، وتقريباً ارجوانيتان. عينان كعيني فتاة، فتاة فاتنة. كانت بشرته ناعمة كالحرير. محمرة بعض الشيء، ولا يمكن أن تصبح سمراء. كانت بشرة حساسة جداً. كان أضخم من همنغواي وأصغر سناً بسنوات عديدة. ولكنه لم يكن بضخامة الموظ مالوي، وبدا رشيق القدمين. كان شعره من الاحمرار الملتمع بالذهب. باستثناء عينيه كان له وجه فلاح بسيط، ولا شيء جذاباً فيه.

قال: «ما هي مهنتك؟ أأنت تحري خاص؟».

زمجرت مجيباً: «ما الذي يدعوني الى أن أخبرك هذا؟».

قال: «انها مجرد فكرة خطرت لي. هل خمسة وعشرون دولاراً سعر مرتفع جداً؟ ألا حساب للمصاريف؟».

- «لا».

تنهد وقال: «لقد كانت في النهاية فكرة حمقاء. سوف يمزقونك إرباً هناك».

- «ما كنت لأفاجأ بالأمر. ماذا تعمل أنت؟».

- «دولار من هنا، دولار من هناك. لقد كنت مرة شرطياً. وطردت».

- «أخبرني لماذا».

بدا متفاجئاً: «هذه هي الحقيقة».

- «لا بد وانك كنت من جماعة الأخلاق».

ابتسم قليلاً.

- «هل تعرف رجلاً يدعى برونيت؟».

تسمرت الابتسامة الواهنة على وجهه. جرى إعلان ثلاث جوائز «بينغو». كانوا يعملون بسرعة هناك. اقترب رجل طويل ذو أنف كمنقار صقر، ووجنتين ممصوصتين غائرتين، مرتدياً بذلة رثة. وقف قربنا واتكأ على الحائط من غير أن ينظر الينا. استدار ريد نحوه بهدوء وسأله: «أوَهل من أمر ترغب في أن نطلعك عليه يا رفيق؟».

كشر ذو الأنف الصغير مبتسماً وغادر. ابتسم ريد وهزّ البناء وهو يتكيء على الحائط من جديد.

قلت: «لقد التقيت رجلاً في وسعه أن يطرحك أرضاً».

قال بجديّة: «أتمنى لو يوجد أكثر من واحد من هذا النوع. إن الرجل الضخم يكلّف ثقله ذهباً. هذا العالم ليس مفصلاً على قياسه. إن تغذيته تكلف «أكثر» وثيابه أيضاً، ولا يستطيع أن ينام ورجلاه فوق السرير. هكذا تجري الأمور. قد يخطر لك

ان هذا ليس بالمكان المناسب للتحدث، ولكن أقول لك انه مناسب. ان اقترب منا أي واشٍ سأعرفه على الفور، أما ما تبقى من الحشد فإنه يراقب تلك الأرقام ولا شيء آخر. لديَّ قارب أو بالأحرى غواصة صامتة. في الواقع أستطيع أن أستعير واحدة. هناك رصيف غير مضاء في قسم ما من الميناء. وأنا أعرف باباً لشحن البضاعة في المونتيشيتو وفي مقدوري فتحه. كنت أنقل شحنات الى هناك بين الوقت والآخر. ليس هناك الكثير من الحراس هناك في قعر السفينة».

قلت: «إن لديهم ضوءاً كشافاً ومراقبين فوق السفينة».

- «في وسعنا أن ننجح».

فتحت محفظتي وانتشلت منها قطعتين نقديتين من فئتي العشرين والخمس دولارات. صففتهما على بطني وطويتهما لتصبحا صغيرتين. كانت العينان الأرجوانيتان تراقبانني من غير أن تفصحا عن ذلك.

- «أهي رحلة من غير إياب، ألن تعود معي؟».

أشرت برأسي نافياً.

قال: «لقد اتفقنا على خمسة عشر دولار».

- «لقد ارتفعت الأسعار في البورصة».

- ابتلعت يده المكسوة بالقطران الدراهم. وابتعد بصمت. ثم توارى في العتمة الحارة خارج الأبواب. تجسم فجأة الى شمالي ذو الأنف الصقري وقال بهدوء:

- «أعتقد اني أعرف ذاك الرجل في زي البحار. أهو صديق لك؟ أعتقد اني رأيته من قبل».

ابتعدت عن الحائط وخطوت مبتعداً عنه من غير أن أكلّمه، وخرجت الى ما وراء الأبواب، وكنت أرى رأسه الشامخ متنقلاً بين المصابيح الكهربائية على بعد ما يقارب الثلاثين متراً مني. بعد بضع دقائق عبرت بين كوخين، وأطل عليّ فجأة ذو الأنف الصقري يسير باستهتار ناظراً في الأرض. اقتربت منه وانبريت قائلاً:

ـ «مساء الخير. هل يمكنني أن أحزر ما وزنك مقابل دولار؟»، وانحنيت نحوه. كان يحمل مسدساً تحت سترته الرثة.

نظر إليّ بدون أدنى انفعال وقال: «أوَهل تريد اجباري على اعتقالك أيها الفتى؟ أنا مسؤول عن حفظ الأمن والقانون في هذه المنطقة».

ـ «ومن ذا الذي يخالف القانون في هذه اللحظة بالذات؟».

ـ «ان وجه صديقك يبدو لي أليفاً».

ـ «ينبغي أن يكون كذلك. انه شرطي».

ـ «آه. اللعنة» قال ذو الأنف المنقار ذلك بصبر. «آه لا بد اني رأيته هناك. أسعدت مساء».

استدار وانطلق عائداً من حيث أتى. كان الرجل الطويل توارى الآن. لم أقلق بشأنه. لا شيء بشأن هذا الرجل كان يمكن أن يقلقني.

تابعت سيري ببطء.

- ٣٦ -

بعيداً عن مصابيح الرصيف، بعيداً عن أبواق عربات الرصيف، وبعيداً عن روائح الشحم والشواء و«البوب كورن»، وصيحات الأطفال، وزعقات جماعة صندوق الفرجة، بعيداً عن كل هذا ما عدا رائحة المحيط وأزياح الأمواج المترائية ثم انفراشها بزبدها المتفاقم فوق حصى الشاطىء. مشيت تقريباً وحدي. كمدت الأصوات خلفي، وتحولت الأنوار الحارة الى مجرد ومضات متقطعة غير متماسكة. ثم تراءى السنسول المطفأ برصيفه الناتىء في خضم العتمة. قد يكون هذا هو بالذات. وانعطفت لأتوجه اليه.

وقف ريد فوق صندوق خشبي عند بداية الصخور المشقوعة وتحدث إليّ من عليائه، وقال: «ممتاز. تابع الى الدرجات عند آخره. يجب أن أذهب لأحضر المركب وأحمّي المحرك».

ـ «لقد لحق بي شرطي الشاطىء. ذاك الذي التقيناه في صالة البينغو. توجب عليّ أن أتوقف وأحدثه».

ـ «انه أولسون. اختصاصي النشّالين. وهو بارع في هذا أيضاً. قد ينشل أحياناً هراوته الجلدية ويضرب، ولا يكون هذا سوى لتحسين وضع سجل الاعتقالات. انه يعمل باندفاع فائض، أليس كذلك؟».

ـ «إن هذا يناسب بلدة كباي سيتي، دعنا ننطلق، أشعر

بهبوب الريح. لا أرغب في انكشاف الضباب. ليس الضباب كثيفاً ولكنه ينفع كثيراً.

قال ريد: «سوف يقاوم ويبقى ما يكفي من الوقت ليخدع أي ضوء كشّاف. لديهم مدافع رشاشة فوق ظهر السفينة. اذهب الى نهاية السنسول وسأوافيك الى هناك».

توارى في الظلمة وانطلق فوق الألواح الخشبية القاتمة، والزلقة بفعل بقايا قشور وزعانف الأسماك. كان هناك متكأ منخفض وقذر عند نهاية السنسول. كان هناك رجل وامرأة ممددان في احدى الزوايا. غادرا وأخذ الرجل يكيل لهما الشتائم.

بقيت لعشر دقائق أستمع الى المياه وهي تصفع الصخور. انتحب عصفور ليلي في العتمة، وعبر قتام جناحه الضئيل أمامي ثم توارى. زأرت طائرة عالياً فوقي في الفضاء. ثم من البعيد سمعت عواء ثم هدير محرك راح يزأر ويزأر مثل نصف دزينة من محركات الشاحنات، خَفَتَ الضجيج بعد فترة قصيرة ثم فجأة انقطع كلياً.

مضت دقائق أخرى. عدت الى الدرج البحري وهبطته بحذر كمثل هر على أرضية مبللة. وثب فجأة جسد داكن من العتمة وقال أحدهم بصوت جاف: «كل شيء جاهز، هيا اصعد».

دخلت المركب الغواصة وجلست الى جانبه تحت الزجاج الأمامي. تزحلق القارب فوق المياه. لم يصدر مطلق صوت من المحرك وكان الصوت الوحيد هو قرقرة المياه الغاضبة الى جانبي مقدم القارب. ومرة جديدة أضحت أنوار باي سيتي مجرد

نواصات قصيّة ما وراء ارتفاع وانخفاض الأمواج الغريبة. ومرة جديدة انبرت أضواء السفينة «رويال كراون» المبهرجة من الجانب، وبدت وكأنها تتأنف مثل عارضة أزياء فوق مسرح متحرك. ومرة جديدة ظهرت فتحات جنبات السفينة مونتيشيتو الطيبة الذكر وبرزت في عتمة المحيط، ودار حولها الضوء الكشاف بطيئاً ورتيباً كشعاع منارة.

قلت بغتة: «إني خائف، إني مرتعب».

خفف ريد محرك القارب وتركه يتأرجح فوق الأمواج وكان كأنما المياه تنزاح من تحته وبقي هو في مكانه. ثم التفت وحدّق فيّ.

قلت: «أنا خائف من الموت ومن اليأس. من المياه القاتمة ووجوه الغرقى. والجماجم المعدمة العيون. أنا خائف من الموت، من أن أصبح عدماً من أن لا أجد رجلاً يدعى برونيت».

تنحنح ريد وقال: «لقد جعلتني أصدقك في بداية الأمر. انك تتكلم بالتأكيد بطريقة حيوية جداً، قد يكون برونيت في أي مكان. في أي من السفينتين، أو في صالة القمار التي يملكها في شرق المدينة «صالة رينو»، أو ممدداً على فراشه في المنزل. أهذا كل ما تفتش عنه؟».

- «إني أبحث عن رجل يدعى مالوي، انه عملاق متوحش خرج منذ فترة من سجن ولاية أوراغون بعد امضائه فترة ثماني سنوات بسبب عملية سطو على مصرف. كان يختبىء في باي سيتي». وأخبرته كل الأمر. أخبرته أكثر مما نويت أن أفعل. لا بد ان عينيه كانتا السبب.

في النهاية استغرق في التفكير، ثم تكلم ببطء وكانت

كلماته وكأنما مغطاة بنتف ضباب. وهذا ما أضاف حكمة على ما كان يقوله، وربما لا.

قال: «ان بعض ما قلته يبدو منطقياً. والبعض الآخر لا. بعضه لا أعرف مطلق شيء عنه، والبعض الآخر يمكنني أن أفيدك فيه. ان كان ذلك السوندربورغ يدير مخبأ للعصابات، ويتاجر بالمخدرات، ويبعث برجال عصابات للسطو على مجوهرات سيدات ثريات مغامرات، فكل هذا يدل بالتأكيد على ان لديه شريكاً في رئاسة البلدية. ولكن هذا لا يعني انهم يعرفون كل نشاطاته، أو ان كل رجال الشرطة في المدينة يعرفون ان لديه شريكاً في داخل رئاسة البلدية. ربما بلاين كان يعرف هذا، وهمنغواي كما أسميته لم يكن يعرف. بلاين فاسد ولكن الآخر مجرد شرطي صنديد، ليس طيباً ولا شريراً، لا فاسداً ولا شريفاً. شجاع ومغفل مثلي الى درجة الاعتقاد ان كونه شرطياً هي طريقة شريفة ومقنعة لكسب عيشه. ذاك الوسيط الروحي يلعبها باحتراف. لقد ابتاع حمايته من أفضل المتاجر، من باي سيتي، وكان يستخدمها كلما احتاج لذلك. لا يمكنك أن تتصور البتة ماذا يدور في نوايا رجل من هذا الصنف، وماذا يمكن أن يفعل، ولهذا لا يمكن أن تعرف ما الذي يضني ضميره، أو ما الذي يخيفه.

قد يكون مجرد شخص عادي وقد وقع في غرام احدى زبوناته في احدى المرات. ان تلك الثريات يسهل منالهن وربما أسهل من الألعاب الورقية. ما أعتقده بشأن اقامتك في عيادة سوندربورغ، هو ان بلاين كان يعرف ان سوندربورغ سيخاف

حين سيكتشف حقيقتك ـ وقد تكون القصة التي أخبرك إياها سوندربورغ هي في الحقيقة ما كان بلاين أخبره بالفعل، وهي انهم عثروا عليك متسكعاً فاقد الصواب. وهكذا ارتبك سوندربورغ ولم يعرف ماذا يفعل بك، وخاف كذلك من أن يفلتك أو يقتلك، كي لا يعود بلاين بعد فترة ويضاعف المبلغ الذي كان يقبضه ثمن حمايته له. أظن ان هذا كل ما هنالك في الموضوع. لقد صادف انه كان في مقدورهم الاستفادة منك واستخدامك، وقد قاموا بذلك بالفعل. ربما كان بلاين يعرف بشأن مالوي أيضاً. لا أظن انه كان بريئاً في هذا أيضاً».

استمعت اليه مراقباً الضوء الكشاف البطيء وكذلك ذهاب وإياب التاكسي البحري بعيداً الى الميمنة.

قال ريد: «أنا أعرف كيف يفكر هؤلاء الفتيان. المشكلة عند الشرطيين ليست في انهم مغفلون أو شريرون قساة، ولكنها بالتحديد في انهم يعتقدون بأن كونهم كذلك فان هذا يعطيهم قدرات وأشياء ما كانوا يملكونها من قبل. ربما كان هذا صحيحاً في ما مضى، ولكن ليس الآن، هذا لم يعد ينفع. لقد أصبحوا مجرد سعاة أو عبيد لأدمغة بمنتهى الدهاء. وهذا يوصلنا الى برونيت. انه لا يسيطر على المدينة. لا يمكن أن يزعج نفسه بذلك. لقد دفع أموالاً ضخمة لانتخاب رئيس بلدية وكي لا يضايق أحدهم قوارب التاكسي خاصته. ولو أراد شيئاً ما محدداً، فسوف يقدمونه له. مثلما حدث من فترة حين اعتقل أحد أصدقائه، وهو محام، كان اعتقل بتهمة القيادة ثملاً، واستطاع برونيت أن يخفف

التهمة الى القيادة من دون اكتراث. انبغى أن يمزقوا التقرير الأول ليفعلوا هذا، وهذا بالتالي مخالفة جديدة. هذا قد يعطيك فكرة عن حقيقة الأمور. ان نشاطه الأساسي هو المقامرة، كل هذه الأعمال مترابطة. من المحتمل جداً انه يتاجر أيضاً بالمخدرات، أو يتقاضى نسبة من الأرباح من أحد العاملين لديه الذي كان عهد اليه بهذه التجارة. قد يكون يعرف سوندربورغ ويمكن أيضاً انه لا يعرفه. لا أعتقد ان له علاقة بمسألة عملية السطو على المجوهرات. ان أخذنا بعين الاعتبار كل ذلك المجهود الذي بذله أولئك الفتيان من أجل ثمانية آلاف دولار فقط. من المضحك أن نفكر حتى ان لبرونيت علاقة بذلك».

قلت: «أجل، ولقد قتل رجل أيضاً في العملية.. هل تذكر؟».

ـ «انه لم يفعل ذلك أيضاً، وحتى لم يوح به. لو كان برونيت وراء الجريمة لما كنت وجدت أي جثة. ولا يمكنك أن تتخيل ما كان يمكن أن يحشو في جيب ذاك الرجل. وما الداعي في النهاية الى أن يتكبد كل تلك المشقة؟ انظر مثلاً الى ما أقوم به أنا من أجلك مقابل خمسة وعشرين دولاراً. ويمكنك أن تتخيل انطلاقاً من هذا ماذا يمكن أن يحقق برونيت من المبالغ الضخمة التي يوزعها».

ـ «هل يوعز بقتل رجل؟».

فكر ريد لدقيقة وقال: «قد يفعل. وربما قد فعل هذا فعلاً. لكنه ليس رجلاً قاسياً. ان هذا النوع من رجال العصابات، هو نوع جديد على الساحة. إننا نفكر فيهم كما كنا نفكر سابقاً

في الهنود الأوباش والمنحطين المتشردين. بعض مفوضي الشرطة المتشدقين يزعقون على الراديو قائلين ان رجال العصابات هؤلاء مجرد جرذان جبانة، انهم لا يتوانون عن قتل الأطفال والنساء. ويعوون طلباً للرحمة ما ان يروا بزة شرطي. يجدر بهم أن يخجلوا وأن لا يحاولوا بيع الناس هذا النوع من الكلام. هناك شرطيون جبناء، وهناك أيضاً بعض الجبناء بين رجال تلك العصابات. ولكنهم قلة بين الطرفين.

أما بالنسبة الى الزعماء أمثال برونيت، فهم لم يصلوا الى هذا المركز بواسطة قتل الناس. لقد وصلوا بحذاقتهم وبأدمغتهم، وليست لديهم بالتالي الشجاعة التي تدعم الشرطيين كونهم يعملون كجماعة. ولكن فوق كل هذا انهم قبل كل شيء رجال أعمال. كل ما يفعلونه هو من أجل المال ولا شيء غير ذلك، يحصل أحياناً أن يضايقهم أحد ما أو يقف في طريقهم، فيصفّقوه. حسناً. يبعدوه. ولكنهم يفكرون كثيراً قبل أن يفعلوا هذا. لماذا بحق الشيطان ألقي أنا كل هذه المحاضرة؟».

قلت: «لا أظن ان رجلاً كبرونيت يقوم بإخفاء مالوي؟ لقد قام هذا الأخير بقتل شخصين».

- «لا. إلاّ إذا كان في المسألة شيء آخر غير المال. هل تريد أن نعود أدراجنا؟».

- «لا».

حرك ريد يديه على المقود. استعاد المركب سرعته، وقال: «لا يخطرن لك أني أحب هؤلاء المنحطين. إني أكرههم حتى الموت».

- ٣٧ -

كان ضوء الكشاف الدوّار شاحباً كإصبع ضبابية كشفت بالكاد الأمواج، الى مسافة ما يقارب الثلاثين متراً بعيداً عن السفينة. لقد كان بأقرب تقدير للاستعراض أكثر منه لأي غرض آخر. وخصوصاً في هذا الوقت من المساء. ولو كان لدى أي واحد خطة لاختطاف مكاسب إحدى السفينتين الكازينو، فسيحتاج بالتأكيد الى مساعدة مجموعة كبيرة من الرجال، وسوف يقوم بالعملية حوالى الساعة الرابعة فجراً، بعد أن يكون تضاءل الحشد الى عدد قليل من المقامرين، وأصبح كل الطاقم منهكاً من التعب. وحتى في ذلك الوقت فستكون عملية فاشلة. ولقد كان أحدهم قد حاول القيام بذلك مرة من قبل.

انعطف القارب التاكسي نحو رصيف نزول الركاب في السفينة، أفرغ حمولته، ثم عاد مجدداً باتجاه الشاطىء. أبقى ريد قاربه السريع مبحراً على مسافة لا يدركها ضوء الكشاف. ولكنهم لو كانوا رفعوا الكشاف ليكشف بضعة أمتار إضافية، فقط لمجرد المتعة لكانوا... لكنهم لم يفعلوا. عبر الشعاع واهناً فوق صفحة المياه الراكدة متلألئاً وإياها، فيما انسل المركب داخل المنطقة الخطرة واقترب بسرعة يتلطى تحت سقفية ناتئة في السفينة، الى جانب كابلين ضخمين مكسوين بالأعشاب البحرية. التصقنا ببدن السفينة الملوّث بالشحم وبخفر كرجل أمن في كازينو محاولاً طرد نصّاب من صالته.

تراءى لنا فوقنا بغير وضوح بابان فولاذيان، وبدوا مرتفعين

ثقيلين يصعب ادراكهما ويستحيل فتحهما حتى ولو أدركناهما. انجر المركب السريع ببلادة حول جوانب المونتيشيتو العيتقة، وكانت الأمواج تصفع برخاوة هيكل مركبنا. انبرى جسم هائل في العتمة الى جانبي وحلّق سلك عبر الهواء، ثم طقطق ملتفاً على الجسم، وفي النهاية انزلق وغطس مفرقعاً في المياه. انتشل ريد السلك بخطّاف المركب، وشده بقوة وربطه بذروة شيء ما قرب غطاء المحرك. كان هناك ما يكفي من الضباب ليجعل كل المشهد سحرياً. وكانت الريح الرطبة باردة مؤذية مثل ذكريات حب قديم.

انحنى ريد إليّ ودغدغت أنفاسه أذني وقال: «انها مرتفعة جداً. لو هبت ريح هوجاء فستتناثر وبراغيها. في مطلق الأحوال علينا أن نتسلقها».

قلت مرتعشاً: «إني أنتظر هذا بفارغ الصبر».

أثبت يديه على المقود، وأداره كما رغب في أن يكون، ثم أسكت المحرك، وطلب إليّ أن أثبّت القارب كما هو بالضبط. كان هناك سلم حديدي مثبت قرب سفح السفينة وملتوٍ كبدنها، وكانت درجاته زلقة مثل بركة من الشحم على أحسن تقدير.

بدت فكرة التسلق مغرية كالتسلق على حافة عمارة مكاتب. تطاول ريد للإمساك بحافة السلم بعدما فرك يديه بسرواله ليكسوهما بعض القطران. جذب نفسه الى الأعلى بسكون، من غير زمجرة حتى، تعلقت قدماه بالدرجات

الحديدية، ثم راح يتسلق عمودياً ملتصقاً ومحتكاً بجسم السلم.

كان الضوء الكشاف ينساب الآن في البعيد خلفنا. عكست المياه شعاعه وبدا وكأنه جعل وجهي مرئياً كمثل شعلة، غير انه لم يحدث مطلق أمر. سمعت صريراً بليداً لمفاصل فوق رأسي. ثم انداح شبح ضوء مصفر واهن في الضباب، ما لبث أن اضمحل وبانت ملامح نصف باب الشحن، وما كان يعقل انه كان مقفلاً من الداخل. وتساءلت لماذا؟

كان الهمس مجرد صوت كامد، غير مفهوم. أفلت المقود وبدأت أتسلق. كانت أقسى رحلة قمت بها في حياتي. حططت في الأعلى لاهثاً مصفوراً صافراً في زنزانة نتنة مكسوّة بركام مبعثرة من صناديق الشحن والبراميل وربطات الحبال وحزم من السلاسل الصدئة. كانت الفئران تعوي في الزوايا المعتمة. وانسلّ الضوء الأصفر من باب ضيّق عند الجهة البعيدة.

وضع ريد شفتيه على أذني وقال: «من هنا نتوجه مباشرة الى غرفة المحرك عبر ممر ضيق. لا بد وان هناك مضخة بخارية في زاوية ما، لأنه ليس لديهم محركات ديزل في هذه المقصورة لا بد وان هناك عاملاً في الأسفل. الطاقم في الأعلى على ظهر السفينة يتبدّل بين الفترات، ومنهم مدراء طاولات القمار والمراقبون والندلاء والى ما هنالك. انهم جميعهم متعاقدون مع هذا الشيء المسمى سفينة. ومن غرفة المحرك سأدلك الى المروحة غير المشبكة. إنها تفتح الى رصيف

السفينة، وهذا الرصيف محرّم على الركاب. ولكنه ملكك طالما أنت على قيد الحياة».

قلت: «لا بد وان لديك أقرباء في السفينة».

- «لقد حدثت معي أمور أظرف بكثير، هل ستعود سريعاً؟».

- «أتوقع ان أقوم بغطسة مهمة من على ظهر السفينة». وانتشلت محفظتي، «أظن ان هذا يستحق أجراً إضافياً. خذ. وابق اهتم بجثتي كما لو كانت جثتك أنت».

- «أنت لست مديناً لي بأي قرش آخر أيها الشريك».

- «إني أبتاع منك بطاقة العودة - حتى ولو كنت لن أستخدمها. خذ الدراهم قبل أن أنفجر باكياً وأبلل لك قميصك».

- «هل تحتاج ألى أي مساعدة هناك فوق؟».

- «كل ما أحتاج اليه هو لسان فضي، فيما الذي أمتلكه لا يشبه سوى ذيل حرباءة».

قال ريد: «ابعد دراهمك. لقد سبق أن دفعت لي أجر العودة». ثم أمسك يدي. كانت يده قوية، قاسية، دافئة ودبقة بعض الشيء. وهمس لي: «أعرف انك خائف».

قلت: «سوف أتخطى هذا بطريقة أو بأخرى».

استدار مبتعداً متطلعاً إليّ بطريقة غريبة لم أستطع سبرها في ذلك الضوء الشاحب. وتبعته عبر الصناديق والبراميل فوق عتبة الباب المرفوعة، وإلى جوف معبر طويل قاتم مفعم برائحة الباخرة. خرجنا من هذا الى منصّة فولاذية مصبغّة، زلقة بفعل الزيوت التي كستها، ثم نزلنا درجاً فولاذياً وكان زلقاً

كذلك. هسيس محرقات الزيت البطيء ملأ الهواء الآن وحجب كل الأصوات الأخرى. توجهنا نحو مصدر الهسيس عبر جبال من الحديد الصامت.

على مقربة من احدى الزوايا رأينا شاباً قصيراً قذراً إيطالي السمات في قميص حريرية بنفسجية، كان جالساً على كرسي مكتب ملفوفة بأسلاك حديدية. كان يتدلى فوقه مصباح عار وكان يقرأ صحيفة المساء بمساعدة إصبع أسود ونظّارة فولاذية الإطار كانت ربما لجدّه من قبله.

اقترب ريد اليه من الخلف بسكون، وبادره بلطافة: «مرحباً أيها الشاب، كيف حال الأولاد؟».

فتح الايطالي فمه ورفع يده الى فتحة قميصه البنفسجية. لكمه ريد عند حافة حنكه وأمسك به. ألقاه على الأرض بنعومة وراح يمزق القميص البنفسجية إرباً.

قال ريد بصوت خفيض: «ان هذا سيسبب له الألم أكثر من اللكمة التي تلقاها. ما كان في وسعي تحاشي هذا، إذ ان صعود أحد ما سلم المروحة كان يمكن أن يحدث بلبلة كبيرة هنا تحت، ولكن ليس في وسع من في الأعلى سماع مطلق صوت هنا».

كبّل، وسدّ فم الايطالي ببراعة ثم وضّب نظارتيه ووضعهما في مكان أمين، وتابعنا الى المروحة التي لم يكن لها حاجز. تطلعت الى الأعلى ولم أر غير الظلمة.

قلت: «وداعاً».

ـ «ربما تحتاج الى بعض المساعدة».

هززت جسمي مثل كلب مبلول: «إني بحاجة الى فصيلة من السلاح البحري الأميركي. ولكن إما أن أقوم بذلك بمفردي، أو لا أفعل ذلك البتة. الى اللقاء».

ـ «كم من الوقت ستبقى هنا؟» وكانت نبرة صوته لاتزال قلقة.

ـ «ساعة واحدة، أو ربما أقل».

حدق فيّ عاضاً شفته. ثم هز رأسه باستسلام. وقال: «أحياناً يتوجب على المرء أن..، مُرّ بي أحياناً، ستجدني في صالة البينغو، إذا توفر لديك الوقت».

ابتعد بخفة وهدوء، مشى أربع خطوات ثم عاد. وقال: «باب الشحن ذاك، قد يكون مفيداً لك، استخدمه». وأسرع مغادراً.

ـ ٣٨ ـ

هبّت ريح باردة عبر المروحة. وبدت الطريق مديدة الى الأعلى. وبعد ثلاث دقائق خلتها ساعة مددت رأسي بحذر من فتحة أشبه ببوق. القوارب القريبة المكسوة بالقماش بدت كلطخات ضبابية رمادية. تاهت تمتمات أصوات خفيفة في العتمة. حوّم ضوء الكشّاف بطيئاً. كانت الأصوات رشحت بأقرب تقدير من نقطة أكثر ارتفاعاً، وربما المنصة المسوّرة بالسور الحديدي عند قمة الصواري القصيرة. قد يكون هناك أيضاً رجل مسلح برشاش أوتوماتيكي، وربما ببندقية صغيرة من نوع «براونينغ». عملية تافهة وبمنتهى السهولة حين يكون أحدهم قد ترك باب الشحن غيرمقفل بهذا الشكل الممتاز.

ارتجفت الموسيقى من البعيد مثل صخب جهاز راديو رخيص. في الأعلى انتشر ضباب مشع، وعبر طبقات الضباب العليا تطلعت إليّ بعض النجوم.

تسلقت الى خارج المروحة، انتشلت مسدسي عيار ٣٨ وحملته أمام ضلوعي مخبئاً إياه بكميّ. تقدمت ثلاث خطوات ساكنة وانصت. لم يحدث أي شيء بسببي. توقفت التمتمة ولكن ليس بسببي. حددت الآن مصدر الصوت، كان آتياً من بين قاربين للنجاة. وعلى الرغم من العتمة والضباب، وكما كان يحدث أحياناً بغرابة، تكاثف ما يكفي من الضوء في نقطة واحدة ليضيء قساوة رشاش أوتوماتيكي قاتم مثبت على ركيزة مثلثة الأقدام وبرز من فوق السور. وقف رجلان قربه، من دون حركة، غير مدخنين، وجعلا يتمتمان مجدداً، وكان مجرد همس.

أنصت وقتاً طويلاً الى التمتمة. وتكلم صوت آخر بوضوح من ورائي:

ـ «أعتذر ولكنه غير مسموح للضيوف الصعود الى ظهر السفينة».

استدرت ولكن ببعض من البطء. وتطلعت الى يديه. كانتا معدمتي الضوء وفارغتين.

انزحت الى الجانب وأنا أهزّ رأسي مذعناً وقد حجبتنا نهاية السفينة. تبعني الرجل بلطف، وكان حذاؤه صامتاً فوق الرصيف الرطب.

قلت: «أعتقد اني تهت».

ـ «أعتقد هذا»، وكان صوته فتياً غير بارد. وتابع، «ولكن

هناك باباً عند أسفل السلم. في السابق كان المعبر محجوباً بسلسلة حديدية ولوحة نحاسية. لكننا اكتشفنا ان بعض الزوار المغامرين يقفزون فوقها».

تابع يتحدث مفسراً لوقت طويل، إما ليتلاطف، وإما ليكسب الوقت. لم أعرف بالتأكيد. وقلت: «لا بد وان أحدهم ترك الباب مفتوحاً».

هز الرأس القاتم موافقاً. كان رأسه على مستوى أدنى من رأسي.

ـ «يمكنك أن ترى هذه الورطة التي وضعتنا فيها في مطلق الأحوال. ان كان أحدهم ترك الباب مفتوحاً فسيُغضب هذا الأمر الرئيس كثيراً. ولو ثبت ان هذا لم يحصل، فسيتوجب علينا أن نعرف كيف صعدت الى هناك. أنا واثق انك فهمت ما أقصد».

ـ «هذا واضح جداً. دعنا ننزل ونتحدث اليه في هذا الشأن».

ـ «هل أتيت برفقة مجموعة؟».

ـ «أجل مجموعة محترمة جداً».

ـ «كان يجدر بك أن تبقى معهم».

ـ «أنت تعرف بالتأكيد كيف تجري الأمور... تدير رأسك، لتجد ان واحداً آخر يبتاع لها كأساً من المشروب».

تنحنح. ثم حرك ذقنه قليلاً طلوعاً ونزولاً.

انخفضت وقفزت كضفدع الى الجنب وسمعت صفير الهراوة تنهمر في هواء الليل الساكن. كان الأمر وكأن كل

هراوات الجوار كانت أوتوماتيكياً في إثر رأسي. أخذ الرجل الطويل يكيل لي الشتائم.

قلت: «هيا حاولوا أن تكونوا أبطالاً».

حركت صمام أمان المسدس بصخب.

يحدث أحياناً أن يفسد مشهد قبيح من هذا النوع جو الصالة. وقف الرجل الطويل مسمراً، واستطعت رؤية الهراوة وهي تتأرجح عند معصمه. الرجل الآخر الذي كنت أتحدث اليه كان يتأمل الوضع بغير عجلة من أمره.

ثم قال بجدية: «هذا لن يصل بك الى أي مكان. لن تستطيع أبداً مغادرة السفينة».

- «لقد فكرت في هذا. ثم راودني ان هذا الأمر لا يهمك على الاطلاق».

كان المشهد لا يزال برمته أبله.

قال بهدوء: «ما الذي تريده؟».

قلت: «لديَّ مسدس صاخب جداً. ولكن ليس من الضروري أن يطلق رصاصاً. أريد أن أتحدث مع برونيت».

- «لقد غادر الى سان دييغو لتسوية أشغال».

- «سأتحدث مع نائبه».

قال الآخر اللطيف: «انك مسل، سوف ننزل، ولكنك ستسلّم المسدس قبل أن ندخل عبرالباب».

- «سأسلم المسدس حين سأتأكد اني سأدخل الباب».

ضحك ضحكة خفيفة: «عد الى مركزك يا سليم. سأهتم أنا بهذا».

تحرك بكسل أمامي واختفى الآخرالطويل في العتمة.

- «اتبعني إذن».

مشيت وراءه فوق الرصيف. ثم هبطنا الدرجات اللزجة المحاطة بالنحاس. في القعر انبرى باب سميك. فتحه وتطلع في القفل. ابتسم وهز برأسه، أسند لي الباب ودخلت عبره مرجعاً مسدسي الى جعبته.

انغلق الباب وراءنا. وقال:

- «إنها إلى الآن ليلة هادئة».

ارتفعت أمامنا قنطرة مذهّبة، وخلفها تراءت احدى صالات القمار، ولم تكن كثيرة الازدحام. وبدت أشبه بأي صالة قمار أخرى. عند نهايتها البعيدة امتد بار زجاجي وبعض المقاعد. وتوسطها درج هابط، ومن الأسفل تصاعدت الموسيقى. سمعت دوران طاولات الروليت. كان أحدهم يلاعب زبوناً وحيداً في لعبة «الفارو». لم يكن هناك أكثر من ستين شخصاً في الصالة. وعلى طاولة «الفارو» رصفت كدسة من الدراهم كان يمكن أن تموّل مصرفاً. كان اللاعب رجلاً كهلاً أبيض الشعر، وبدا متنبهاً لمدير اللعبة ولا شيء غير ذلك.

تقدم رجلان صامتان في بدلتي سموكينغ، عبر القنطرة وتابعا بهدوء غير آبهين بشيء، وهذا أمر متوقع ثم توجها نحونا ووقف الرجل القصير النحيل الذي رافقني بانتظارهما. كانا قد عبرا القنطرة حين ارتفعت يداهما الى جيبيهما الداخليين، باحثين عن «السجائر» بالتأكيد!

قال الرجل القصير: «من الآن وصاعداً يتوجب علينا أن نكون أكثر حذراً في الصالة. لا أظن انك تعارض هذا؟».

قلت فجأة: «أنت برونيت».

هز كتفيه وقال: «بالطبع».

قلت: «انك لا تبدو من النوع القاسي».

ـ «هذا ما أتمناه».

أحاط بي الرجلان المرتديان بدلتي السموكينغ وبلطافة.

قال برونيت: «لندخل الى هنا. هنا نستطيع أن نتحدث براحة».

فتح الباب وتوجه بي الرجلان الى داخل حوض السفينة.

كانت الغرفة أشبه بقمرية ولكنها لم تكن مثل قمرية. تدلى مصباحان نحاسيان متأرجحين فوق طاولة مكتب داكنة لم تكن خشبية، ربما بلاستيكية. عند نهاية الغرفة كان هناك سريران من الخشب. كان السرير الأسفل مرتب الفراش فيما كست السرير الأعلى نصف دزينة من ألبومات الأسطوانات. في الزاوية كان جهاز راديو وفونوغراف مشترك. كان هناك أيضاً كنبة جلدية واسعة، وسجادة حمراء، ومنافض أرضية طويلة، وطاولة صغيرة فوقها سجائر، وإناء وكؤوس، وبار صغير مثبت على الجدار في الزاوية المقابلة قرب السريرين.

قال برونيت وهو يتابع الى ما وراء الطاولة: «اجلس». حيث تكدست فوق الطاولة أوراق خاصة بالعمل، بدت عليها أعمدة من الحسابات مطبوعة بآلة كاتبة. جلس على مقعد المكتب المرتفع الظهر، وأداره قليلاً وراح يتفحصني. ثم توقف من جديد وخلع عنه معطفه وشاله ورماهما الى جانبه. وقعد

مجدداً. انتشل قلماً وحك بواسطته شحمة احدى أذنيه. ارتسمت على وجهه ابتسامة هرّ. ولكني أحب الهررة.

لم يكن لا فتياً ولا كهلاً. لا بديناً ولا هزيلاً. كان منحه سكنه على أو قرب المحيط مسحة مفعمة بالصحة. كان شعره بنياً بلون الجوز وكان متموجاً بالطبيعة وجعله هواء البحر أكثر تموجاً. كان جبينه ضيقاً موحياً بالذكاء وقد عكست عيناه توعداً ملازماً. كان لونهما مصفرّاً. يداه كانتا ناعمتين لكن ليس الى درجة التخنث. بدلته السموكينغ كان لونها أزرق قاتماً حسبما بدا لي، لأنها بدت شديدة السواد. اللؤلؤة التي شبكها بقميصة كانت أكبر من اللزوم حسب ذوقي الشخصي، ولكن أعتقد ان هذه كانت مجرد غيرة من جانبي.

حدّق فيّ لوقت طويل قبل أن يقول: «انه يحمل مسدساً».

غرز أحد الحارسين الصنديدين في عمودي الفقري شيئاً لم يكن بالتأكيد قصبة صيد. ثم انتزعت يداه المتوغلتان في ثيابي المسدس وتابعتا تفتشان عن مسدسات أخرى.

سأل صوت: «هل تريد شيئاً آخر؟».

هز برونيت رأسه وقال: «ليس الآن».

دفع أحد المسلّحين بمسدسي الأوتوماتيكي على الطاولة.

وضع برونيت القلم، وانتشل فتّاحة رسائل وأزاح المسدس بنعومة من أمامه.

قال: «حسناً، وهو ينظر الى ما ورائي، «هل يتوجب أن أشرح لك ما أريده الآن؟».

خرج أحدهما بسرعة وأغلق الباب. الآخر وقف ساكناً الى

درجة انه لم يكن في المكان. حلّ صمت مديد ولطيف، وكانت تقطعه همهمات بعيدة لأصوات وايقاع الموسيقى، وارتجافات هزيلة لمحرك في مكان ما تحتنا.

- «هل ترغب في شراب؟».

- «شكراً».

قام الحارس الغوريلا بتحضير كأسين عند البار الصغير. ولم يحاول اخفاء الكأسين وهو يحضرهما. ووضع واحدة عند كل طرف من الطاولة.

- «هل ترغب بسيجارة؟».

- «شكراً».

- «هل تناسبك السجائر المصرية؟».

- «بالتأكيد».

أشعلنا السيجارتين. شربنا. كان طعم الويسكي ممتازاً. الغوريلا لم يشرب.

بدأت: «ما أريده...».

- «سامحني ان قلت، ولكن هذا غير مهم، أليس كذلك؟».

قال هذا وبدت على وجهه ابتسامة الهر، ونصف اغماضة في العينين الصفراوين.

فتح الباب وعاد الغوريلا الآخر وكان بمعيته ذو السترة الضيقة، ذو فم رجل العصابات. ألقى نظرة وحيدة إليّ وتحول لون وجهه الى أبيض مثل المحارة.

قال بسرعة ومن غير أن يسترجع أنفاسه: «انه لم يمر عبري».

قال برونيت دافعاً المسدس بفتّاحة الرسائل: «كان يحمل مسدساً. هذا المسدس. لقد حشره حتى في ظهري فوق رصيف السفينة».

وردد ذو السترة الضيقة مجدداً وبسرعة: «انه لم يمر عبري أيها الرئيس».

رفع برونيت عينيه الصفراوين قليلاً وابتسم لي. وقال «حسنا؟».

قلت: «اطردوه من هنا. اسحقه في مكان آخر».

زعق ذو السترة الضيقة قائلاً: «أستطيع أن أثبت هذا بواسطة سائق التاكسي اللنش».

- «هل غادرت الرصيف منذ الخامسة والنصف؟».

- «ولا دقيقة واحدة أيها الرئيس».

- «هذا ليس جواباً. يمكن أن تسقط امبراطورية في دقيقة».

- «ولا دقيقة واحدة أيها الرئيس».

قلت مقهقهاً: «ولكن كان في مقدورنا خداعه».

قفز ذو السترة الضيقة برشاقة كملاكم وانهمرت قبضته مثل هراوة، وكادت تلطم جبهتي. ثم سمعت ضجة. بدا وكأن قبضته قدت من وسط الطريق. انطرح الى جانب المكتب، حاول أن يتشبث بحافة الطاولة ثم انقلب على ظهره. كان أمراً جميلاً ان أشهد سقوط أحد ما غيري، لا لشيء سوى لكسر الرتابة.

تابع برونيت يبتسم لي، وقال: «أخشى أن لا تكون جنيت عليه، تبقى الآن مسألة الباب عند قدم سُلّم القمريات».

ـ «لقد كان مفتوحاً صدفة».
ـ «أليس بوسعك التفكير في جواب أفضل؟».
ـ «ليس وسط هذا الحشد».
قال برونيت ناظراً أليّ فقط: «سوف أتحدث اليك بمفردنا».
رفع الرجل الغوريلا، صاحب السترة الضيقة بذراعيه وجرّه عبر القمرية، بينما فتح زميله الباب الداخلي. خرجا وأغلق الباب.
قال برونيت: «حسناً. من أنت؟ وما الذي تريده؟».
ـ «أنا تحري خاص، وأريد أن أتحدث مع رجل يدعى مالوي الموظ».
ـ «أثبت لي انك تحرٍ خاص».
أظهرت له هذا. ثم رمى المحفظة معيداً إياها إليّ عبر الطاولة. تابعت شفتاه المسمّرتان الابتسام، وكانت ابتسامته الآن مسرحية بعض الشيء.
قلت: «إنني أحقق في جريمة. جريمة قتل رجل يدعى ماريوت عند جرف مرتفع قرب نادي بيليفردي خاصتك ليل الخميس المنصرم. يبدو ان هذه الجريمة متصلة بجريمة أخرى وقعت ضحيتها امرأة واقترفها مالوي، وهو محكوم سابق، وسارق مصرف. انه رجل شرس وصلب بكل معنى الكلمة».
أطرق قائلاً: «أنا لم أسألك بعد ما علاقة هذا بي. أعتقد انك ستصل الى هذا. ماذا لو أخبرتني كيف صعدت الى السفينة».
ـ «لقد قلت لك».

قال بلطف: «هذا لم يكن صحيحاً. اسمك مارلو أليس كذلك، لم يكن ما أخبرتني إياه صحيحاً يا مارلو. أنت تعرف هذا جيداً. ان ذاك الفتى حارس الرصيف لم يكن يكذب. اني أنتقي رجالي بعناية بالغة».

قلت: «انك تمتلك قسماً من باي سيتي. لا أعرف بالضبط أين حدود هذا القسم ولكنه كافٍ بالتأكيد لتفعل مطلق ما ترغب به. ان رجلاً يدعى سوندربورغ يدير مخبأ للمجرمين هناك. انه يتاجر أيضاً بالمخدرات، ينظم عمليات سطو ويخبىء مطلوبين من العدالة. وبالطبع ليس في مقدوره أن يقوم بذلك من غير دعم وعلاقات. لا أظن ان في وسعه القيام بهذه الأعمال من دون حمايتك. كان مالوي مختبئاً عنده، ولكنه غادر الآن. ان طول مالوي يبلغ حوالى المترين وعشر سنتيمترات ويصعب في الواقع اخفاؤه. أعتقد انه يستطيع أن يختبىء بسهولة في سفينة قمار».

قال برونيت بعذوبة: «أنت ساذج قليلاً. افترض أنني أريد اخفاءه، ما الذي يدعوني الى المجازفة واحضاره الى هنا؟»، شرب من كأسه وتابع، «على أية حال اني أتعاطى نوعاً آخر من الأعمال. تكفيني المتاعب اليومية التي أعانيها هنا كي أحافظ على مواصلات جيدة بالتاكسيات البحرية. العالم مليء بالمخابىء الصالحة لتواري أي مجرم، خصوصاً إذا كان يحمل دراهم. أليس بمقدورك أن تبتكر حجة أخرى؟».

- «أستطيع ولكن سحقاً».

- «لا أستطيع أن أخدمك بأي شيء. والآن قل لي كيف صعدت الى السفينة».

- «لا رغبة عندي باطلاعك على هذا».

- «أخشى اني سأضطر الى اجبارك على ذلك يا مارلو».
التمعت أسنانه بفعل ضوء المصباحين النحاسيين البحريين. «في النهاية، يمكنني أن أفعل هذا، كما تعرف».

- «إن أخبرتك، هل تعدني أن تنقل رسالتي الى مالوي؟».

- «أي رسالة؟».

تناولت محفظتي عن الطاولة وسحبت منها بطاقة وقلبتها على ظهرها. ثم وضعت المحفظة في جيبي وانتشلت قلماً. كتبت خمس كلمات على قفا البطاقة ودفعتها اليه فوق الطاولة. حملها برونيت وقرأ ما كان مكتوباً عليها، وقال: «إني لاأفهم شيئاً من هذا!».

- «إن مالوي سيفهمها جيداً».

تراجع على مقعده وحدّق فيّ، وقال: «أعجز عن فهمك يا رجل. انك تخاطر بحياتك لتأتي الى هنا لتعطيني بطاقة لأمررها الى سفّاح لست أعرفه. كل هذا هراء من دون معنى».

- «لن يكون له معنى ان كنت لا تعرفه».

- «لماذا لم تترك مسدسك عند الشاطىء، وقدمت الى هنا بالطريقة الاعتيادية السهلة؟».

- «لقد نسيت في المرة الأولى. ثم عرفت ان ذاك القبضاي في السترة الضيقة لن يدعني بعدها أدخل أبداً. ثم التقيت صدفة رجلاً كانت لديه طريقة أخرى».

شعت عيناه الصفراوان كما لو بنور جديد، ابتسم ولم يقل شيئاً.

ـ «هذا الرجل الذي صادفته ليس نصّاباً، مجرد انه يمضي معظم وقته على الشاطىء ولديه أذنان خارقتان. ان لديك باباً للشحن غير مقفل من الداخل ولديك أيضاً مروحة نزع عنها سلكها الواقي. يكفي أن تصرع رجلاً واحداً ليصبح ظهر السفينة ملكك. من الأفضل أن تتحقق من قائمة طاقمك يا برونيت».

حرك شفتيه بنعومة الواحدة فوق الأخرى. حدق في بطاقتي مجدداً وقال: «ليس هناك أحد يدعي مالوي فوق هذه السفينة. ولكن ان كنت تقول الحقيقة في شأن باب الشحن ذاك فسوف أصدق كل ما تقول».

ـ «اذهب بنفسك وتأكد من الأمر».

تابع محدقاً بالبطاقة وقال: «ان كان هناك سبيل أستطيع عبره ايصال هذه الرسالة الى مالوي، سأفعل ولا أعرف في النهاية لماذا أربك نفسي بكل هذا الموضوع».

ـ «ألق نظرة على باب الشحن ذاك».

بقي ساكناً لبرهة، ثم انحنى الى الأمام ودفع بالمسدس إليّ عبر الطاولة. وتمتم وكأنما لنفسه: «لا أعرف ما الذي لا أفعله. أسيطر على مدن، أعين رؤساء بلديات، أفسد الشرطة، أتاجر بالمخدرات، أخبىء مجرمين مطلوبين، أسطو على نساء عجائز مخنوقات بعقود من اللآلىء. آه كم يتسع لي الوقت». وضحك قليلاً، «يا لأوقاتي الشاسعة».

تناولت مسدسي وحشرته مجدداً تحت إبطي.

وقف برونيت وقال: «لا أعدك بشيء»، ثم رمقني بثبات وأضاف، «ولكني لن أصدقك».

- «ولِمَ لا؟».
- «لقد جازفت كثيراً لتسمع القليل».
- «أجل».
- «حسناً...»، أومأ بطريقة غير مفهومة ثم وضع يده فوق طاولة المكتب. وقال بعذوبة، «هيا صافح هذا المغفل».

صافحته. كانت يده صغيرة مشدودة وساخنة بعض الشيء.

«ألن تخبرني كيف اكتشفت أمر باب الشحن ذاك؟».

- «لا أستطيع هذا. لكن الرجل الذي أطلعني على الأمر ليس نصاباً».

قال: «في مقدوري أن أجبرك على هذا»، وهز رأسه على الفور، «لا أعتقد اني صدّقتك مرة، وسأصدقك مجدداً. اجلس وتناول كأساً أخرى».

ضغط جرساً كهربائياً. وفتح الباب عند مؤخرة الغرفة ودخل مجدداً أحد القبضايين اللطيفين.

- «ابق هنا. قدم له كأساً أخرى ان رغب بذلك. ولا أريد أي تصرفات خشنة».

جلس الغوريلا وابتسم لي بهدوء. وخرج برونيت بسرعة من غرفة المكتب. ودخنت سيجارة. أنهيت كأسي. وأحضر لي الغوريلا كأساً أخرى. أنهيت هذه أيضاً وسيجارة جديدة كذلك.

عاد برونيت وغسل يديه في احدى الزوايا، ثم قعد الى

طاولة مكتبي مجدداً. أشار برأسه باتجاه الغوريلا. فخرج الغوريلا صامتاً.

تفحصتني العينان الصفراوان بإمعان، وقال: «لقد كسبت يا مارلو. ربماه ان لديَّ مئة وأربعة وستين رجلاً في طاقمي. حسناً...»، هز كتفيه بلامبالاة وتابع، «يمكنك أن تعود في التاكسي البحري، لن يضايقك أحد. وبالنسبة لرسالتك، ان لدي بعض المعارف وسوف أهتم بالأمر. عمت مساء. ويمكنني أيضاً أن أشكرك على الاستعراض الذي قدمته لي».

قلت: «عمت مساء» ووقفت وغادرت.

كان هناك رجل آخر عند رصيف نزول الركاب. أبحرت الى الشاطىء في تاكسي آخر. توجهت الى صالة البينغو واتكأت على أحد الجدران بين الحشد.

قدم ريد بعد بضع دقائق واتكأ الى جانبي على الجدار.

قال ريد بصوت خفيض: «لقد كان الأمر سهلاً كما يبدو؟»، وكانت أصوات مرددي الأرقام في الصالة صاخبة مرتفعة.

ـ «لقد نجحت بذلك، واني مدين لك بذلك. لقد حقق لنا استعراضك صفقة. لقد أقلقه الأمر جداً».

تطلع ريد في كل الاتجاهات وأدار شفتيه قليلاً على مقربة من أذني وسأل: «هل عثرت على رجلك؟».

ـ «لا. ولكن آمل أن يجد برونيت وسيلة لايصال رسالة له».

أدار ريد رأسه وحملق في الطاولات مجدداً. تثاءب وابتعد قليلاً عن الحائط. أطلّ ذو الأنف الصقري مجدداً. اقترب اليه

ريد وقال: «كيف الحال يا أولسون»، وكاد يوقعه أرضاً وهو يدفعه مجتازاً إياه.

حدق فيه أولسون حانقا وسوّى قبعته. ثم بصق مغتاظاً على الأرض.

ما ان غادر، غادرت أنا كذلك المكان، وتوجهت الى موقف السيارات عند محطة القطار حيث كنت أوقفت سيارتي.

قدت عائداً الى هوليوود، أوقفت السيارة وتوجهت الى مكتبي.

خلعت حذائي وتجولت في المكتب بجواري متحسساً الأرض بأصابع قدميّ. كانت ستبقى خدرة لبعض الوقت.

ثم قعدت عند حافة سريري المخرّب وحاولت أن أحلل الأمور، وأقدر الوقت. لن ينجح الأمر. قد يستغرق العثور على مالوي ساعات أو أياماً. ربما لن يعثروا عليه أبداً قبل أن تقبض عليه الشرطة ـ حياً!

ـ ٣٩ ـ

كانت الساعة قرابة العاشرة حين اتصلت برقم منزل غرايل في باي سيتي. وخطر لي ان الوقت متأخر وربما لن أحظى بها، ولكنه لم يكن. وكما في كل مرة عانيت عبر الخادم والنادل لأستطيع في النهاية سماع صوتها في الهاتف. بدت مبتهجة وناضجة.

قلت: «كنت وعدتك أن أتصل بك. ان الوقت متأخر بعض الشيء، ولكن كان عليّ أن أقوم بكثير من الأشغال».

أضحى صوتها هادئاً: «هل تعرضت لفخ آخر؟».

- «ربما لا. هل يعمل سائقك في هذا الوقت المتأخر؟».

- «انه يعمل طوال الوقت الذي أرغب أنا».

- «ماذا لو تمرين لاصطحابي؟ سوف أعصر نفسي خلال هذا الوقت داخل بدلة حفلة تخرّجي».

تشدّقت قائلة: «يا للياقة. هل أستحق كل هذا؟»:

لا بدَّ وان آمثور استطاع تحقيق المعجزات بمخارجها الصوتية ـ هذا ان كان هناك أبداً منذ البداية أي سوء فيها.

- «سوف أريك طبقة يابانية».

- «واحدة فقط؟».

- «انها مجرد شقة صغيرة لرجل أعزب».

قالت متشدقة من جديد: «لقد سمعت بأشياء من هذا القبيل». ثم غيّرت نبرتها وتابعت: «لا تلعب دور الغاوي العصبي. ان لك بنية فاتنة يا رجل. ولا تدع أحداً يقول لك غير ذلك. أعطني العنوان مجدداً».

أعطيتها العنوان ورقم الشقة. وقلت لها: «ان باب الردهة مقفل. ولكني سأهبط وأفتح المزلاج».

قالت: «هذا جيد. هكذا لن أضطر الى أن أحضر معي مفتاحي العمومي».

أقفلت السماعة، وبقيت وحيداً مع شعور غريب كما لو أنني تحدثت مع شخصية لا وجود لها.

هبطت الدرج الى الردهة وفتحت المزلاج، ثم أخذت دوشاً. وارتديت بيجامتي وتمددت على السرير. كان يمكن

أن أغفو لمدة أسبوع. انجرفت مجدداً عن السرير وفتحت مزلاج الباب، وكنت نسيت أن أفعل ذلك ومشيت وكأنما عبر مترين من الثلج القاسي الى مطبخي الصغير وأخرجت كؤوساً وقنينة ويسكي كنت احتفظت بها للاغواءات الفاخرة.

تمددت مجدداً على السرير، وقلت بصوت مرتفع: «صلّ، لم يتبق لك سوى الصلاة».

أغلقت عيني، خيّل إليّ أن جدران الغرفة الأربعة كانت ترتجف كارتجاج مركب، وان الهواء كان يرشح ضباباً وحفيف ريح بحرية. وشممت الرائحة النتنة الفاسدة لزنزانة مقفرة. شممت أيضاً رائحة مازوت وأيضاً فتى في قميص بنفسجية يقرأ تحت مصباح عار بواسطة نظارتي جدّه. تسلقت وتسلقت حافة مروحة. تسلقت جبال الهيمالايا ووصلت الى الأعلى وأحاطني رجال يحملون بنادق رشاشة. تحدثت مع رجل قصير وانسانيّ بمفهوم ما، وكان مجرد رجل مبتز وربما أسوأ. ثم فكرت في عملاق بعينين بنفسجيتين وشعر أحمر، وكان ربما أطيب رجل التقيته في حياتي.

توقفت عن التفكير. تحركت أضواء أمام جفني المغلقين. كنت تائهاً في الفضاء، كنت مثل ملك المغفلين عائداً بخفّي حنين من مغامرة حمقاء. كنت رزمة ديناميت بمئة دولار انفجرت محدثة ضجيجاً أو مثل مرآبٍ وهو يحدّق الى ساعة يد ليرهنها بدولار واحد. كنت بقة حمراء الرأس تزحف صاعدة حافة مبنى البلدية.

كنت نائماً.

صحوت ببطء، رغماً عني، وحدقت عيناي الى ضوء

منعكس على السقف من اللمبة. كان شيء ما يتحرك بخفة في الغرفة.

كانت الحركة ماكرة، ساكنة وثقيلة. أنصتّ اليها. ثم أدرت رأسي ببطء ونظرت الى الموظ مالوي. كانت هناك ظلال وتحرك بين الظلال بسكون كما كنت رأيته يفعل مرة من قبل. كان للمسدس في يده لمعان زيتي داكن وفيه رهبة سلاح معد بشكل ممتاز للاستخدام. كانت قبعته مدفوعة الى الخلف فوق شعره الأسود الجعد، وراح أنفه يتنفس، مثل أنف كلب صيد.

رآني أفتح عيني. اقترب بهدوء الى جانب السرير ووقف ينظر إليّ من فوق.

قال: «لقد استلمت رسالتك؛ لقد جئت بمفردي. لم ألحظ أي شرطي في الخارج. إن كان الأمر خدعة. فسوف نخرج نحن معاً من هنا جثتين».

انقلبت قليلاً على السرير، وراح يتحسس برشاقة أسفل المخدتين. كان وجهه لايزال شاسعاً؛ شاحباً، وكانت عيناه الغائرتان لاتزالان بطريقة ما لطيفتين. كان هذه الليلة يرتدي معطفاً ضيقاً. كان ممزقاً عند احد الكتفين وربما حدث ذلك وهو يرتديه. قد يكون أكبر قياس متوفر، ولكنه ليس بالقياس الكافي لالموظ مالوي.

قلت: «كنت آمل أن تمر بي، لا علم عند أي شرطي بهذا. لقد أردت بكل بساطة أن ألتقيك».

قال: «تابع اني أنصت».

ابتعد الى الجانب نحو الطاولة، وضع المسدس، ثم سلخ

معطفه عنه، وجلس في أفضل مقاعدي، صرّ المقعد ولكنه استطاع الصمود. تراجع ببطء ورتّب وضع المسدس بطريقة يكون فيها قريباً من يده اليمنى. انتشل علبة سجائر من جيبه وخضّها مخرجاً واحدة وحشرها بين شفتيه من غير أن يلمسها بأصابعه. أشعل عود ثقاب بإبهامه، وانبعثت رائحة الدخان الحادة عبر الغرفة.

قال: «هل أنت مريض؟».

- «إني أستريح. لقد كان نهاراً شاقاً».

- «كان الباب مفتوحاً. هل تتوقع حضور أحد ما؟».

- «امرأة». حدّق فيّ بارتياب.

قلت: «ربما لن تأتي. وان فعلت فسوف أؤخرها بالحيلة بعض الشيء».

- «من هي هذه المرأة؟».

- «آه، مجرد امرأة، ان جاءت فسوف أتخلص منها. أفضل أن أتحدث اليك».

ابتسامته الناحلة تحركت بالكاد فوق شفتيه. نفخ سيجارته بأسلوب أخرق. كما لو انها كانت أصغر بكثير من أن تتمكن أصابعه من امساكها براحة.

سأل: «ما الذي جعلك تعتقد اني كنت على المونتيشيتو؟».

- «انه شرطي من باي سيتي. انها قصة طويلة ومعقدة جداً».

- «هل شرطة باي سيتي تطاردني؟».

- «وهل سيضايقك ذلك؟».

ابتسم ابتسامته الضئيلة مجدداً. ثم هز رأسه قليلاً.

قلت: «لقد قتلت امرأة. جيسي فلوريان. لقد كانت غلطة».

استغرق في التفكير. ثم أطرق موافقاً. وقال بهدوء: «لو كنت مكانك كنت تغاضيت عن هذا الأمر».

قلت: «ان هذه المسألة خربت كل الأمور. أنا لست خائفاً منك. أنت لست قاتلاً، انك لم تقصد قتلها. تلك الحادثة الثانية.. في سنترال أفينيو. كان يمكن أن تسوى وتفلت منها. ولكنك لن تفلت من قضية ضرب رأس امرأة بقائمة السرير الى أن فرز نخاعها واندلق فوق وجهها».

قال بنعومة: «انك تجازف جداً يا صاحبي».

قلت: «لقد تحملت الى الآن الكثير من الضرب. ولم أعد أعرف الفرق. أنت لم تكن تقصد قتلها أليس كذلك؟».

كانت عيناه قلقتين، وكان رأسه محنياً وهو يستمع بانتباه.

قلت: «أظن ان الوقت قد حان لتعرف مدى قوّتك».

قال: «لقد فات الأوان».

قلت: «لقد طلبت اليها أن تخبرك شيئاً. أمسكت عنقها وهززتها. لقد كانت ميتة من قبل. ولذلك.. رحت تضرب رأسها بعنف على قائمة السرير.

حدّق بيّ.

قلت: «أنا أعرف ماذا طلبت أن تخبرك».

ـ «تابع».

ـ «كان هناك شرطي برفقتي حين عثرنا عليها. واضطررت أن أكشف أوراقي».

- «هل أخبرته كل شيء؟».
- «تقريباً. ولكني لم أخبره عن هذه الليلة!».

حدق بي: «حسناً، كيف عرفت اني كنت في المونيشيتو؟». كان سألني هذا من قبل. بدا انه نسي هذا.

- «لم أكن أعرف. ولكنني اعتقدت ان سبيل البحر كانت الطريقة الأسهل للهروب. حسب الاجراءات المتبعة في باي سيتي كان في وسعك أن تصل بسهولة الى أي من السفينتين الكازينو. ومن هناك في مقدورك أن تغادر البلاد كلياً. وبالطبع بواسطة ومساعدة الأشخاص المناسبين».

قال بذهول: «ان ليرد برونيت رجل ممتاز. هكذا سمعت. أنا لم أتحدث اليه حتى».

- «لقد أوصل اليك الرسالة؟».
- «سحقاً، هناك يا صديقي أكثر من عشر شبكات علاقات قادرة على خدمته في هذا الأمر. متى سنقوم بما قلته لي في رسالتك. لقد خالجني حدس انك لم تكن تخادع. ما كنت لأجازف بالقدوم الى هنا لولا ذلك. الى أين سنتوجه؟».

أطفأ سيجارته وراح يراقبني. ارتسم ظلّه على الجدار، ظل عملاق. كان ضخماً الى درجة انه بدا غير حقيقي.

سألني بغتة: «ما الذي جعلك تعتقد اني قتلت جيسي فلوريان؟».

- «فسحات آثار الأصابع على العنق. وواقع انه كان لديها ما تريد اكتشافه. وأخيراً حقيقة انه في وسعك قتل الناس من غير أن تكون قاصداً الأمر».

- «هل اتهمتني الشرطة بالجريمة؟».
- «لست أدري».
- «ما الذي كنت تريد اكتشافه منها؟».
- «لقد خطر لك انها تعرف أين هي فيلما».

أطرق بصمت وتابع يحدّق بي.

قلت: «ولكنها لم تكن تعرف. ان فيلما كانت أحذق من ذلك بكثير».

انحنى مالوي قليلاً الى الأمام وابتسم منتشلاً مسدسه. حاول أحد ما فتح مسكة الباب. وقف مالوي ببطء، وانحنى قليلاً لاوياً رأسه متنصتاً. ثم تطلّع الى الخلف نحوي.

قعدت على السرير، وضعت قدمي على الأرض ثم وقفت. راقبني مالوي صامتاً، من غيرأدنى حركة. توجهت نحو الباب.

سألت واضعاً شفتي لصق حاجب الباب: «من هذا؟».

كان صوتها بالذات: «افتح أيها المغفل. هنا دوقة ويندسور».

- «انتظري دقيقة واحدة».

تطلعت الى الخلف الى مالوي. كان متجهماً. دنوت منه وقلت بصوت منخفض جداً: «ليس هناك أي سبيل آخر للخروج من هنا. أدخل الى غرفة الملابس خلف السرير وانتظر. سوف أتخلص منها».

استمع إليّ مفكراً. كانت تعابير وجهه غير مفهومة. كان رجلاً لا يملك ما يمكن أن يخسره. كان رجلاً لا يعرف الخوف. لم يكن الخوف أصلاً مصنوعاً على مقياسه. أطرق

موافقاً في النهاية، وتناول قبعته ومعطفه، وتقدم بصمت حول السرير وإلى داخل غرفة ارتداء الملابس. أغلق الباب، ولكنه لم يقفل كلياً.

تطلعت في الأرجاء إلى أي أثر منه. لا شيء سوى عقب سيجارة كان يمكن أن يدخنها أي كان. توجهت الى باب الغرفة وفتحته. كان مالوي أقفل المزلاج حين دخل.

كانت تقف هناك نصف مبتسمة، في معطف أبيض من فرو الثعلب كانت قد أخبرتني عنه. تدلى من أذنيها قرطان زمرديان وتواريا تقريباً داخل فرائها الأبيض الناعم. كانت أصابعها طرية وملتفة حول حقيبة سهرة صغيرة كانت تحملها.

غابت ابتسامتها حين رأتني، تفحصتني من الأعلى الى الأسفل. كانت عيناها الآن باردتين.

قالت عابسة: «آه. هكذا الأمر إذن. بيجاما وروب دو شامبر. يا لي من مغفلة!».

انزحت من أمام الباب ممسكاً إياه وقلت: «ليس الأمر كذلك على الاطلاق. لقد كنت أرتدي ملابسي حين مرّ بي أحد الشرطيين. لقد غادر للتو».

- «راندال؟».

أطرقت موافقاً. كذبة مع اطراقة رأس هي كذبة بأية حال. ولكنها ليست كذبة سهلة. ترددت لحظة، ثم اجتازتني مع هبة فراء عابقة بالعطر.

أغلقت الباب. مشت ببطء عبر الغرفة، وحدقت بنظرة غائبة، ثم استدارت بسرعة.

قالت: «دعنا نتوافق على هذا الأمر. لست من النوع السهل الاغراء. أو من رومنسيات الصالونات. كنت كذلك في فترة ما من حياتي واكتفيت. اني أحب أن تجري الأمور بأسلوب مختلف متميز».

كنت لا أزال متكئاً بعيداً عنها عند أول الغرفة وقلت: «هل تتناولين كأساً قبل أن تغادري؟».

- «هل أنا مغادرة؟».

- «لقد أعطيتني انطباعاً انك لم تحبي المكان».

- «كنت أردت أن أسجل نقطة، وقد أجبرني ذلك على أن أكون مبتذلة بعض الشيء لأفعل هذا. أنا لست واحدة من تلك العاهرات الرخيصات. في وسعك الحصول عليَّ - ولكن ليس فقط بمجرد الاقتراب. ان الأمر يتوجب بعض المشقة. أجل سأتناول كأساً.

خرجت الى المطبخ الصغير وحضّرت كأسين من الشراب بيدين مرتعشتين بعض الشيء. حملتهما وناولتها واحدة.

لم يصدر مطلق صوت من غرفة الملابس، ليس حتى صوت تنفس.

هزت الكأس وتذوقتها ثم نظرت عبرها الى الجدار البعيد. وقالت: «لا أحب أن يستقبلني الرجال في البيجاما. انه أمر مضحك. لقد أعجبت بك. أعجبت بك كثيراً. ولكن في مقدوري تخطي هذا. طالما استطعت الشفاء من هكذا أمور».

أطرقت وشربت.

قالت: «ان معظم الرجال هم مجرد حيوانات مقرفة. في الواقع انه عالم قذر. هذا هو رأيي».

- «لا بد وان المال يساعد».

- «قد تعتقد هذا ان كنت لم تمتلكه أبداً. وفي الحقيقة ان جلّ ما يفعله المال هو إضافة مشاكل جديدة». وابتسمت بغرابة وأضافت: «وتنسى كم كانت شاقة مشاكلك القديمة».

تناولت من حقيبتها علبة سجائر ذهبية، واقتربت أنا منها رافعاً لها ثقابة مشتعلة. نفخت سحابة غريبة من الدخان أشبه بالريشة وراقبتها بعينين نصف مغمضتين.

قالت فجأة: «اقعد الى جانبي».

- «دعينا نثرثر قليلاً أولاً».

- «في شأن ماذا؟ آه - عقدي اليشب».

- «في شأن الجريمة».

لم يتغير وجهها البتة، نفخت سحابة جديدة من الدخان، وهذه المرة بعناية أكثر، وببطء أشد: «انه موضوع مقرف. هل من الضروري أن نفعل؟».

هززت كتفي بلامبالاة.

قالت: «لين ماريوت لم يكن قديساً. ولكني مازلت لا أرغب في التحدث عن الأمر».

حدّقت فيَّ ببرودة لوقت طويل، ثم غرزت يدها في حقيبتها المفتوحة منتشلة محرمة.

قلت: «شخصياً أنا لا أعتقد انه كان كشافاً لعصابة سرقة المجوهرات. ان الشرطة تعتقد ذلك ولكنها في الواقع تفترض

أشياء كثيرة. لست أعتقد حتى انه كان مبتزاً، بكل معنى الكلمة. هذا طريف، أليس كذلك؟».

ـ «أهكذا تجده؟» وكان صوتها الآن بارداً، بارداً جداً.

ـ «حسناً، في الواقع لا». وافقتها وشربت ما تبقى من كأسي. «انه أمر بمنتهى اللطف من قبلك انك أتيت يا سيدة غرايل. ولكن يبدو ان المناخ غير مناسب. أنا لا أعتقد ان ماريوت قتلته العصابة. ولا أعتقد انه توجه الى الوادي ليشتري عقد اليشب. ولا أظن ان عقد اليشب سرق أصلاً. أعتقد انه توجه الى الوادي ليُقتل، على الرغم من انه اعتقد انه ذاهب الى هناك للمساعدة في ارتكاب جريمة. ولكن ماريوت كان قاتلاً فاشلاً جداً».

إنحنت قليلاً الى الأمام وأضحت ابتسامتها زجاجية متسمّرة. وبغتة، ومن غير أي تحول حقيقي في وجهها، لم تعد جميلة. بدت كمجرد أي امرأة كانت خطيرة منذ مئة سنة، وجريئة منذ عشرين سنة، ولكنها اليوم مجرد ممثلة هوليودية من الدرجة الثانية.

لم تتفوه بحرف، ولكن يدها اليمنى كانت تربت بعصبية على مشبك حقيبتها.

قلت: «انها جريمة سيئة ومحزنة للغاية. انها أشبه بمجرم شكسبير الثاني في ذاك المشهد من مسرحية «الملك ريتشارد الثالث». ذاك الرجل الذي كان مايزال متردداً بين ضميره وبين رغبته بالمال، وفي النهاية لم يرتكب الجريمة لأنه لم يستطع أن يقرر. مجرمون كهذا يكونون في الواقع خطيرين جداً. ينبغي التخلص منهم... وأحياناً بواسطة هراوات».

ابتسمت وقالت: «ومن تظن انه كان على وشك أن يقتل؟».

- «يقتلني أنا».

- «يصعب تصديق هذا في الحقيقة. ان يكون هناك من يكرهك الى هذا الحد. وأنت قلت للتو ان عقد اليشب لم يسرق البتة. هل لديك اثبات ما على كل هذا؟».

- «أنا لم أقل أبداً ان لديَّ أي اثبات. قلت ان هذه مجرد أفكار».

- «إذن لماذا تتحامق وتتحدث عنها؟».

قلت: «ان الدليل يكون دائماً أمراً ذا صلة بالافتراضات. انه ليس سوى تراكم افتراضات واحتمالات تنتهي الى كسر توازنها. انها أيضاً مسألة استنتاج. كان الدافع الى قتلي ضعيفاً بمعنى ما - مجرد ما في الأمر اني كنت أحاول اقتفاء أثر مغنية في أحد ملاهي شارع سنترال أفينيو وصادف أن يلازم هذا خروج محكوم يدعى مالوي الموظ من السجن وشروعه أيضاً في التفتيش عنها. ربما كنت أنا أساعده في العثور عليها. يبدو واضحاً ان العثور عليها كان أمراً غير مستحيل، وإلاَّ لما كان الأمر يستحق الإدعاء أمام ماريوت انه كان ينبغي قتلي وقتلي على وجه السرعة. ومن الواضح انه ما كان ليصدّق هذ لو لم يكن الأمر كذلك. ولكن كان هناك في الواقع دافع أقوى لقتل ماريوت، وهذا الأمر لم يأخذه هو في الحسبان لسبب مر ثلاثة، إما الغباء، أو الحب، أو الجشع، وربما للأسباب الثلاث مجتمعة.

كان خائفاً ولكن ليس على نفسه. كان خائفاً من العنف

الذي كان هو جزءاً منه، وكان يمكن أن يؤدي به الى السجن أو ما هو أسوأ من ذلك. ولكنه من جانب آخر كان يحارب من أجل قوته. وهكذا قرر أن يجازف».

توقفت. أطرقت قائلة: «هذا مهم جداً، ان كان الواحد يعرف عما تتحدث فعلاً».

قلت: «انه يعرف».

حدّقنا في بعضنا بعضاً. كانت الآن تضع يدها داخل الحقيبة. وعرفت جيداً ماذا كانت تمسك. لكنه لم يكن خرج بعد. ان كل حدث يحتاج الى وقته المناسب.

قلت: «دعينا من المزاح. إننا وحدنا هنا. لا شيء مما يقوله أي منا سيكون له أي مصداقية ضد كلام الآخر. اننا نلغي كلام واحدنا للآخر. فتاة بدأت في الحضيض وأصبحت زوجة ملياردير. وأثناء الطريق تعرفت اليها امرأة عجوز مهلهلة، ربما كانت سمعتها تغنّي على محطة الراديو، وعرفت الصوت وتوجهت لرؤيتها لتتأكد، وكان ينبغي أن تحفظ هذه العجوز لسانها وتصمت. ولكنها كانت رخيصة، وهكذا لم تعرف سوى القليل. ولكن الرجل الذي كان مسؤولاً عن الاهتمام بمسألتها، ودفع معاشها الشهري، وكان يمتلك أيضاً صك ملكية البيت الذي كانت تسكن فيه، وكان باستطاعته أن يرميها في السجن إن حاولت اللعب بذيلها. كان ذاك الرجل يعرف كل شيء. وكان سعره مرتفعاً جداً. ولكن هذا لم يكن بذي أهمية كذلك. ما دام لا أحد غيره يعرف. ولكن في يوم من الأيام كان سيخرج رجل قاس من السجن وهو يدعى مالوي الموظ، وسيبدأ البحث والتفتيش عن حبيبته السابقة.

لأن هذا المغفل الضخم كان يحبها، ولايزال. وهذا ما يجعل
لأمر ظريفاً، وظريفاً الى درجة مأسوية. وخلال هذا الوقت يبدأ
حد رجال التحري المستقلين حشر أنفه في المسألة أيضاً.
وهكذا تصبح العقدة الضعيفة بين الحلقات، وهو ماريوت،
بدون نفع على الاطلاق. لا بل أصبح وجوده تهديداً. انه
ليس من النوع الصلب، سوف يكتشفون أمره وسيتكلم تحت
الضغط. سيذوب سريعاً أمام حرارة ما سيواجهه. ولذلك جرى
قتله قبل أن يتاح له أن يذوب. وبواسطة هراوة. وأنت من فعل
هذا».

كل ما فعلته كان انها أخرجت يدها من حقيبتها حاملة
مسدساً. كل ما فعلته كان توجيهه نحوي والابتسام. كل ما
فعلته أنا كان لا شيء.

ولكن هذا لم يكن كل ما حدث. فقد خرج الموظ من غرفة
الملابس مصوباً مسدسه الكولت ٤٥ الذي بدا كدمية في
مخلبه.

لم ينظر إليّ البتة. تطلع الى السيدة لوين لوكريدج غرايل.
انحنى الى الأمام مبتسماً لها وتحدث اليها بعذوبة.

قال: «أعتقد اني عرفت الصوت. لقد استمعت الى هذا
الصوت طوال ثماني سنوات ـ بكل ما استطعت أن أتذكره
منه. في مطلق الأحوال لقد كنت أفضلك حمراء الشعر. كيف
الحال يا حبيبتي. لقد مضى وقت طويل ولم نتلاق».

أدارت المسدس. وقالت: «ابتعد عني يا ابن العاهرة».

وقف من غير حراك ورمى المسدس الى حانبه. كان لايزال
على بعد خطوة منها. وكان يلهث.

قال بصوت خفيض: «لم يخطر لي البتة، إلاّ ان الفكرة راودتني صدفة. انك أنت من سلّمني للشرطة. أنتِ. صغيرتي فيلما».

رميت وسادة، ولكنها كانت بطيئة جداً. أطلقت عليه خمس رصاصات في بطنه. ولم تحدث الرصاصات صوتاً أكثر من صوت انزلاق أصابع داخل قفاز.

ثم أدارت المسدس وأطلقت عليّ، لكنه كان فارغاً. قفزت قاصدة مسدس مالوي المرمي على الأرض. لكن الوسادة الثانية لم تخطىء. كنت على مقربة من السرير ودفعتها بعيداً قبل أن تتمكن من ابعاد الوسادة عن وجهها. تناولت الكولت من على الأرض ثم عدت مبتعداً الى ما وراء السرير حاملاً إياه.

كان ما زال واقفاً على قدميه، ولكنه كان يتأرجح. كان فمه مرخياً، ويداه تتحسسان بطنه. انهار راكعاً على ركبتيه، ثم سقط الى الجانب على السرير فوق وجهه. وملأ لهاثه الغرفة.

كنت رفعت سماعة الهاتف قبل استطاعتها القيام بأي حركة. كانت عيناها رماديتين كامدتين مثل مياه نصف مجلّدة. ركضت في اتجاه الباب ولم أحاول ايقافها. تركت الباب مشرعاً، ولذلك حين انتهيت من اتصالي توجهت اليه وأغلقته. أدرت رأسه قليلاً فوق الفراش، كي لا يختنق. كان مايزال حياً، ولكن ما كان لأحد أن يبقى طويلاً على قيد الحياة بعد خمس رصاصات في البطن، وحتى الموظ مالوي.

عدت مجدداً الى الهاتف واتصلت براندال في منزله. قلت «مالوي. انه موجود في شقتي. وقد أطلقت عليه السيدة غرايل خمس رصاصات في بطنه. اتصلت بالمستشفى. لقد فرّت».

- «لم يكن في مقدورك ألاّ تتحاذق، أليس كذلك؟». وكان هذا كل ما قاله قبل أن يقفل السماعة وبسرعة.

عدت الى السرير. كانَ مالوي الآن جاثماً على ركبتيه الآن قرب السرير، محاولاً النهوض، وكان ممسكاً في قبضته بقسم كبير من غطاء الفراش. كان وجهه ينضح عرقاً. جفناه كانا يرفّان ببطء، وكانت شحمتا أذنيه الآن سوداوين.

كان لايزال على ركبتيه محاولاً النهوض حين وصلت سيارة الاسعاف. وتوجب أربعة رجال لوضعه على الحمالة.

قال طبيب سيارة الاسعاف قبيل خروجه: «لديه حظ ضئيل بالنجاة إن كانت الرصاصات من عيار ٢٥ ملم. فيتوقف الأمر على ما أصابته في الداخل. ولكن لديه بعض الحظ».

قلت: «انه لا يريده».

لم يخذلني. مات في الليلة نفسها.

- ٤٠ -

قالت آن ريوردان متطلعة إليّ عبر سجادتها المزينة بالرسوم: «كان يجب أن تقيم حفلة عشاء. بأوانٍ من الفضة والكريستال وشراشف بيضاء من الكتان. هذا ان كانوا مازالوا يستخدمون الشراشف البيضاء في هذه الأمكنة حيث يقيمون حفلات العشاء. وأيضاً شموع، ونساء مرتديات أفضل حليّهن، ورجال في ربطات عنق بيضاء، وخدم يتجولون بخفّة حاملين قناني نبيذ ملفوفة بالقماش، ورجال شرطة مرتبكون داخل بدلاتهم المستأجرة. - ومن ذا لا يكون كذلك بحق الله - ومشتبهون بابتساماتهم الضئيلة الهشة وأياديهم القلقة.

وأنت على رأس طاولة طويلة قاصاً عليهم كل ما حدث، بتمهل وتفصيل مع ابتسامتك القليلة الفاتنة، ولكنتك الانكليزية الأوكسفوردية المزيّفة».

قلت: «أجل. ماذا لو أمسكت أنا شيئاً ما بيدي، بينما تستعرضين أنت ذكاءك المفرط؟».

غادرت الى المطبخ، حرتقت بأكواب من الثلج وعادت، بكأسين طويلتين، وقعدت مجدداً.

قالت وهي تشرب: «لابد وان فواتير المسكرات لدى صديقاتك فاحشة بعض الشيء؟».

قلت: «وفجأة فقد النادل الوعي. ولكن لم يكن النادل من قام بالجريمة. لقد فقد وعيه فقط ليتدلّع».

ابتلعت بعض شرابي وقلت: «لا ليست القصة من هذا النوع. انها ليست بالقصة الرشيقة أو الحاذقة. انها مجرد قصة سوداء ودموية».

- «إذن لقد نجحت في الفرار؟».

أطرقت موافقاً. وقلت: «حتى الساعة. لم تتوجه أبداً الى المنزل. لابد وان لديها مخبأ صغيراً حيث يمكنها أن تبدل ثيابها ومظهرها. في النهاية لقد كانت تعيش في حالة فزع، كالبحارة. كانت بمفردها حين جاءت لرؤيتي، من دون سائق جاءت بسيارة صغيرة وتركتها على بعد ما يقارب الكيلومتر من شقتي».

- «سوف يقبضون عليها، هذا ان حاولوا فعلاً».

- «لا تكوني هكذا. ان وايلد المدعي العام رجل شريف. لقد

عملت معه فترة. ولكن حتى لو قبضوا عليها، وماذا إذن؟ انهم بمواجهة عشرين مليون دولار، ووجه رائع وأحد أهم المحامين في البلاد سيكون أمراً بمنتهى المشقة إثبات انها قتلت ماريوت. كل ما لديهم ليس سوى دافع قوي من حياتها الماضية. هذا ان استطاعوا كشف ماضيها. من المحتمل ان سجلها نظيف لدى الشرطة، وإلاّ لما كانت لعبتها بهذه الطريقة».

ـ «ماذا بشأن مالوي؟ لو كنت أخبرتني عنه من قبل لكنت اكتشفت من تكون على الفور. بالمناسبة كيف اكتشفت ذلك؟ ان ذينك الصورتين الفوتوغرافيتين لم تكونا للمرأة نفسها».

ـ «لا. وأشك أيضاً حتى في أن تكون السيدة العجوز فلوريان قد عرفت انه كان جرى استبدالهما. كانت بدت متفاجئة بعض الشيء حين برزت لها صورة فيلما في زي المهرج بيرو ـ تلك التي كان كتب عليها فيلما فالينتو ـ ولكن قد تكون اكتشفت ذلك وربما أخفت الأمر وقد راودها انه سيكون في وسعها بيعها لي في وقت لاحق. كانت تعرف بالتأكيد انها صورة لا قيمة لها. مجرد صورة لفتاة أخرى كان ماريوت استبدلها بالأصلية.

ـ «ان هذا مجرد افتراض».

ـ «لا بد وان الأمور جرت بهذه الطريقة. فمنذ اللحظة الأولى التي اتصل بي ماريوت وراح يلفق لي تلك الرواية عن المجوهرات والفدية، لم تكن المسألة في الواقع إلاّ لأنني كنت توجهت الى عند السيدة فلوريان وتحرّيت عن فيلما. ولما قتل ماريوت فلابد لأنه كان العقدة الأضعف في السلسلة. السيدة فلوريان لم تكن تعلم ان فيلما أضحت السيدة لوين لوكريدج

غرايل. يستحيل انها كانت تعرف. لقد اشتروها بسعر بخس جداً. يقول غرايل انهما توجها الى أوروبا ليتزوجا. وانها تزوجت باسمها الحقيقي. يرفض أن يفصح أين ومتى. ويرفض أن يكشف مكان وجودها. لا أعتقد انه يعرف، لكن الشرطة مقتنعة بالعكس».

ـ «لماذا يرفض أن يفصح عن هذا؟» وضعت آن ريوردان ذقنها داخل قبضتها وحدّقت فيّ بعينين حزينتين.

ـ «انه مغرم بها بجنون، ولا يعير أدنى اهتمام لمغامراتها في الأحضان».

قالت آن ريوردان بنبرة جليدية: «لا بد انها استمتعت بين أحضانك».

ـ «كانت تلاعبني لخداعي فقط. لأنها كانت تخشاني بعض الشيء. إنها لم ترد قتلي لأن قتل رجل يعتبر الى حد ما شرطياً، مسألة خطرة وحساسة. ولكنها كانت ستحاول في النهاية، كما كانت ستقتل بالتأكيد جيسي فلوريان، لو لم يعفها مالوي من هذا العناء».

قالت آن ريوردان: «أراهن انك تستمتع جداً في أن تكون قضاياك مع شقراوات فاتنات. حتى ولو كان في الأمر بعض المجازفة. كما أعتقد انه يكون عموماً».

لم أقل شيئاً.

ـ «أعتقد انه ليس في وسعهم أن يحاكموها لمقتل مالوي، لأنه كان يحمل مسدساً».

ـ «لا. لا يمكنهم ان أخذنا بعين الاعتبار علاقاتها المهمة».

عيناها المرقطتان بالذهب تفحصتاني برزانة وقالت: «هل تعتقد انها نوت حقاً قتل مالوي؟».

قلت: «لقد كانت خائفة منه. كانت سلّمته الى الشرطة منذ ثماني سنوات. بدا واضحاً انه كان يعلم ذلك. ولكنه ما كان ليؤذيها. كان مغرماً بها أيضاً أجل أعتقد انها نوت قتل كل من كانت مضطرة الى قتله. كان ما تكافح من أجله مهماً جداً. ولكن في النهاية لا يمكن اخفاء أمور كهذه الى الأبد. لقد أطلقت عليّ النار في الشقة ـ ولكن المسدس كان فارغاً آنذاك. كان يجدر بها أن تقتلني تلك الليلة حين خدعت ماريوت وقتلته».

قالت آن بنعومة: «لقد كان مغرماً بها. أعني مالوي. لم يكن يأبه لتوقفها طوال ست سنوات عن مراسلته أو امتناعها عن زيارته حين كان في السجن. لم يأبه البتة على الرغم من انها سلّمته للشرطة مقابل مكافأة. كل ما فعله كان ابتياع ملابس جديدة والانطلاق بحثاً عنها لحظة خرج من السجن. وهي استقبلته بخمس رصاصات في بطنه. كان هو نفسه اقترف جريمتين أيضاً، ولكنه كان يحبها. يا له من عالم غريب!».

أنهيت كأسي وتطلعت اليها مجدداً بنظرة عطش. تجاهلتني وقالت:

ـ «واضطرت الى اطلاع غرايل على حقيقتها ولم يأبه أيضاً. سافر ليستطيع الزواج منها تحت اسمها الحقيقي، وباع محطة الراديو خاصته، ليقطع مطلق صلة مع كل الذين كان يمكن أن

يتعرفوا اليها، وأعطاها ما كان في وسع المال أن يشتريه، وهي أعطته... ماذا؟».

ـ «هذا صعب التفسير». وهززت المكعبات الثلجية في قعر كأسي. هذا لم ينفعني أيضاً وتابعت: «أعتقد انها وهبته كبرياء ما، بمجرد ان يكون هو هذا الرجل العجوز زوجاً لامرأة شابة جميلة أخّاذة. كان يعشقها. لماذا بحق الله نتكلم عن هذا؟ ان هذه الأمور تحدث يومياً. لم يكن يهم البتة ماذا كانت تفعل، أو مع من كانت تخرج، أو ماذا كانت من قبل. كان يعشقها».

قالت آن ريوردان بهدوء: «تماماً مثل الموظ مالوي».

ـ «هيا بنا نقم بنزهة قرب الشاطيء».

ـ «أنت لم تخبرني شيئاً في شأن برونيت، أو عن تلك البطاقات التي كانت داخل سجائر الماريجوانا، أو عن آمثور، أو الدكتور سوندربورغ، أو ذاك الدليل المفتاح الذي شقّ لك طريق الحل العظيم؟».

ـ «كنت أعطيت السيدة فلوريان احدى بطاقاتي. فوضعت عليها كأساً بليلة. تلك البطاقة كانت في أحد جيوب ماريوت وعليها أثر الكأس وكل ما هنالك. كان ماريوت رجلاً مرتباً وما كان ليفعل هذا بأي بطاقة أو مطلق شيء من ممتلكاته. هذا كان دليلاً ان صح القول. وحين تشكين بأمر ما، يصبح من السهل ايجاد الروابط الأخرى، منها على سبيل المثال ان ماريوت كان يمتلك صك ملكية منزل السيدة فلوريان وذلك لمنعها من الكلام. أما بالنسبة لآمثور فانه نصّاب قذر. لقد ألقوا القبض عليه في أحد فنادق نيويورك واتضح انه محتال عالمي. لديه سجل لدى الاسكتلنديارد، وسجل آخر في باريس. لا

أعرف كيف استطاعوا جمع كل هذه المعلومات عنه البارحة أو ما قبل البارحة وبهذه السرعة. ان هؤلاء الفتيان يعملون بسرعة خارقة حين يروق لهم ذلك. أعتقد ان راندال كان حضّر كل هذه السجلات منذ أيام، وكان يخشى أن أكتشفها أنا. لكن لم تكن لآمثور أي علاقة بمقتل أي كان، أو حتى سوندربورغ. لم يعثروا بعد على سوندربورغ. انهم يعتقدون ان له سجلاً إجرامياً كذلك، ولكنهم لم يتأكدوا من الأمر إلى أن يقبضوا عليه. في ما يختص بيرونيت، ليس في وسعك أن تثبتي مطلق أمر ضد رجل من هذا النوع. حتى ولو أوقفوه أمام هيئة محكمة عليا فسيرفض أن يتفوه بأي كلمة، وسيطالب بحقوقه المدنية. وبالتأكيد لن يأبه البتة لسمعته.

لقد جرت تغييرات مهمة هنا في سلك شرطة باي سيتي. لقد طرد رئيس الشرطة بتهمة الفساد، وأخفضوا مناصب نصف عدد رجال التحري ليصبحوا مجرد شرطيين جوّالين، واستعاد رجل طيب جداً يدعى ريد نورغارد وظيفته في السلك، وكان ساعدني في الصعود الى سفينة «المونتيشيتو».

ان رئيس البلدية يقوم بكل هذا، انه يقوم بتغيير سرواله كل ساعة مادامت الأزمة مستمرة».

ـ «أوَهل أنت مضطر الى قول أشياء كهذه؟».

ـ «انها اللمسة الشكسبيرية. هيا بنا نقم بنزهة. بعدما نتناول كأساً أخرى».

ـ «يمكنك احتساء كأسي» قالت آن ريوردان هذا، ونهضت محضرة إليّ كأسها غير الممسوسة. وقفت أمامي حاملة إياها، وكانت عيناها محملقتين وخائفتين بعض الشيء.

قالت: «أنت بمنتهى الروعة. بمنتهى الشجاعة والاصرار، وتعمل لقاء أجر ضئيل جداً. الجميع يضربك على رأسك، يحاول خنقك، يلطمك على حنكك، ويحشوك بالمورفين، ولكنك تتابع متقدماً وبعناد الى أن تنهك الجميع في النهاية. ما الذي يجعلك رائعاً الى هذه الدرجة؟».

دمدمت قائلاً: «تابعي. قوليها».

قالت آن ريوردان مفكّرة: «عليك اللعنة أود أن تقبلني!».

- ٤١ -

اقتضى ثلاثة أشهر حتى عثر على فيلما. ولم تصدّق الشرطة أبداً، ان غرايل كان يجهل مكان اختبائها وانه لم يعاونها على الفرار. وهكذا انطلق كل شرطيي وصحافيي البلاد مفتشين عنها في كل الأمكنة التي كان يمكن أن يخفيها فيها المال. ولم يكن المال البتة ما خبأها. على الرغم من ان مكان اختبائها كان بديهياً، فقد كان اكتشافه يحتاج فقط الى بعض التفكير.

في احدى الليالي دخل رجل تحر من بالتمور ذو عينين خارقتين ونادرتين كحمار وحشي زهري اللون، وتجول في ناد ليلي، واستمع إلى فرقة موسيقية. ولفت انتباهه مغنية فاتنة سوداء الشعر والحاجبين. كانت تغنّي بشكل بديع يخلب الألباب. شيء ما في وجهها حرك فيه وتراً ما، وراح هذا الوتر يرتج بلا انقطاع.

عاد الى مركز الشرطة، استخرج سجل المطلوبين وجعل يراجع مفتشاً فيه. حين عثر على الملف الذي يريد حدّق فيه لوقت مديد. ثم سوّى قبعته على رأسه وعاد تواً الى النادي

الليلي وطلب مقابلة مدير النادي. ثم توجها معاً الى غرف اللبس في الكواليس، وطرق المدير على أحد الأبواب. لم يكن الباب مقفلاً. دفع التحري المدير جانباً ودخل مقفلاً الباب وراءه.

لا بد وانه اشتم رائحة الماريجوانا لأنها كانت تدخنها، ولكنه لم يعر الأمر مطلق انتباه ليلتها. كانت جالسة أمام مرآة ثلاثية، تتفحص جذور شعرها وحاجبيها. لقد كان حاجباها هما بالذات. اقترب الشرطي التحري اليها عبر الغرفة مبتسماً وأبرز ملف الشرطة.

لا بد وانها أطالت التحديق في وجهها في صورة الملف وربما بقدر ما استغرق ذلك الشرطي وهو يفعل ذلك في مقر الشرطة. كان لديها بالتأكيد أن تفكر بأشياء كثيرة وهي تتأملها. جلس الشرطي عاقداً ساقيه وأشعل سيجارة. كان يراقبها بانتباه خارق، ولكن باحتراف بالغ. لم يكن يعرف جيداً النساء.

في النهاية ضحكت قليلاً وقالت: «انك فتى ذكي أيها الشرطي. كنت اعتقدت انه كان يمكن تذكر صوتي. لقد تعرف إليّ عبره أحد الأصدقاء مرة، بمجرد سماعه عبر الراديو. ولكني أغني مع هذه الفرقة منذ شهر ـ وان الحفلة تنقل مرتين في الأسبوع عبر إحدى محطات الراديو ـ ولم ينتبه أحد للأمر.

قال الشرطي متابعاً الابتسام: «أنا لم أسمع صوتك أبداً من قبل».

قالت: «أعتقد ان في مقدورنا أن نعقد صفقة ما بخصوص

هذا. أنت تعرف انه يمكننا الاستفادة بشكل ممتاز، إذا نظمنا الأمور جيداً».

قال الشرطي: «ليس معي. أنا آسف».

ـ «هيا بنا إذن». قالت هذا ووقفت منتزعة حقيبتها ومعطفها من على التعليقة. ثم توجهت نحو حاملة المعطف لكي يقوم بمساعدتها في ارتدائه. وقف ورفعه كجنتلمان.

استدارت منتشلة مسدساً من حقيبتها وأطلقت عليه النار ثلاث مرات عبر المعطف الذي كان يحمله.

كان لا يزال لديها رصاصتان في المسدس حين دخلوا عنوة محطّمين الباب. كانوا أدركوا وسط الغرفة قبل أن يتسنى لها استخدامهما. أطلقت الرصاصتين ولكن يبدو أن الطلقة الثانية كانت مجرد ردة فعل. أمسكوها قبل أن تسقط على الأرض، ولكن رأسها كان متدلياً كخرقة.

قال راندال راوياً لي ما حدث: «عاش الشرطي حتى اليوم التالي. كان يتكلم كلما استطاع ذلك. هذا قدر لنا معرفة ما حدث. لا أفهم كيف انه تصرف بتلك اللامبالاة، إلاّ انه كان يفكر بعقد صفقة ما معها. قد يكون هذا ما شوّش عليه تفكيره. ولكني لا أحب أن أفكر طبعاً بهذه الطريقة».

قلت: «اني أعتقد ذلك أيضاً».

قال راندال: «لقد أطلقت النار على نفسها مباشرة في القلب مرتين. وسمعت الأخصائيين يقولون ان هذا أمر مستحيل، وكنت متأكداً من هذا أنا نفسي. وأخبرك شيئاً آخر».

ـ «ماذا؟».

ـ «كان من الغباء قتلها ذاك الشرطي. ما كان في مقدورنا أبداً إدانتها بالجريمة، غير معقول وهي على ذلك القدر من الجمال والمال إضافة الى الملف المناقض والبارع الذي كان سيقدمه أحد أهم محامي الدفاع.

فتاة فقيرة صغيرة تسلّقت من الحضيض لتصبح زوجة رجل ثري، لكن الوحوش الجشعين الذين كانت تعرفهم من قبل لم يتركوها وشأنها. أشياء من هذا القبيل. يا للشيطان فإن هذا المحامي رينينكمب مثلاً يستطيع احضار ما لا يقل عن دزينة من العجائز الرخيصات المضحكات ليعترفن أمام المحكمة انهن كن يقمن بابتزازها منذ سنوات. وبطريقة تعجز فيها المحكمة عن إدانتهن بشيء. المحكمة سوف تقتنع بذلك بالتأكيد. لقد تصرفت بذكاء حين هربت وحدها جاعلة غرايل خارج المسألة كلياً، ولكنها ما كانت لتكون أكثر ذكاء لو انها عادت الى المنزل حين ألقي القبض عليها».

قلت: «آه. أوَهل تظن انها أبقت غرايل خارج المسألة؟».

هز رأسه إيجاباً. قلت: «هل تعتقد انه كان لديها سبب معين لتتصرف على هذا النحو؟».

حدّق فيّ. وقال: «قل لي ماذا يجول في رأسك، وسأتنبأ على الفور».

قلت: «لقد كانت مجرمة. ولكن هكذا كان مالوي أيضاً. ولكن هذا لم يكن في دمه. ربما لم يكن شرطي بالتيمور طاهراً الى الدرجة التي كشفها سجّله. ربما كانت وجدتها فرصة ـ لا للهرب، كانت بالتأكيد تعبت من الاختباء والمراوغة إذاك ـ

ولكنها وجدتها في الواقع فرصة لترد الجميل الى الرجل الوحيد الذي كان قدم اليها حقيقة فرصة ما في حياتها».

حدق فيّ راندال فاغراً فاه فيما كانت عيناه غير مقتنعتين.

قال: «اللعنة أوَهل كان ينبغي أن تقتل شرطياً لتفعل هذا؟».

- «أنا لم أقل انها قديسة، أو انها مشروع فتاة لطيفة. أبداً ما كانت لتقتل نفسها لو لم تكن محشورة في الزاوية. ولكن ما قامت به والأسلوب الذي تصرفت به كان سيمنعها بكل تأكيد من الوصول الى المحاكمة. فكر في هذا. قل لي من كانت تلك المحاكمة ستؤذي بالدرجة الأولى؟ ومن سيكون الأقل قدرة على تحملها؟ في الربح، في التعادل أو في الخسارة، من كان سيدفع الثمن الأكبر في هذا الاستعراض؟ انه رجل عجوز كان يعشقها من دون فطنة، ولكن بكل كيانه».

قال راندال بحدة: «ان هذا مجرد تفسير عاطفي».

- «بالطبع. لقد بدا كذلك حين قلته. قد يكون كله مغلوطاً بمطلق الأحوال. وداعاً. هل وصلت بقتي الحمراء مجدداً الى هنا؟».

لم يعرف عما كنت أتحدث.

حملني المصعد الى الطبقة الأرضية وهبطت درجات البلدية. كان نهاراً لطيفاً. وكان في الوسع رؤية مسافة بعيدة... ولكن ليس الى حيث غادرت فيلما.

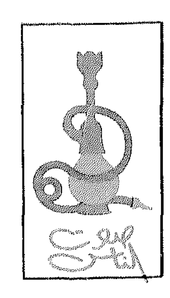












قيلما غانية حسناء ذات شعر احمر تعمل في احدى حانات الليل، افتقدها اصدقائها بعد ثماني سنوات ولم يعثر لها على اثر.

شاءت الصدف، ان يلتقي البوليس السري مارلو، على باب الحانة بالرجل الذي يبحث عنها. ثم يجد نفسه مورطاً في كشف ملابسات سلسلة من الجرائم قادته الصدف الى متابعتها.

ماذا حلّ "بقيلما" وماذا فعل مارلو للبحث عنها؟



1855131595